صيحة القطعة 49

توماس بنشون

ترجمة إيهاب عبد الحميد

رواية

التنوير

مكتبة ٣٨٩

توماس بنشون

صيحة القطعة 49

مكتبة - 389

t.me/ktabpdf مكتبة

الكتاب: صيحة القطعة 49/ رواية

تأليف: توماس بنشون

ترجمة: إيهاب عبد الحميد

عدد الصفحات: 208 صفحة

مكتبة ٢٠١٩ ٣٢٢

الطبعة الأولى: 2017

الترقيم الدولي: 978-977-6483-94-1

رقم الإيداع: 2016/23534

The Crying of Lot 49 by Thomas Pynchon
Copyright © 1965, 1966, 1993, 1994 by Thomas Pynchon
Arabic translation rights arranged with Melanie Jackson Agency, LLC

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - جاردن سيتي - 2 شارع فؤاد سراج الدين (السرايا الكبرى) - الدور الأرضي - شقة رقم 2.

هاتف: 0020223921332

بريد إلكتروني: cairo@dar - altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

t.me/ktabpdf مكتبة

توماس بنشون

صيحة القطعة 49

ترجمة: إيهاب عبد الحميد

مكتبة - 389

التنوير

t.me/ktabpdf مكتبة

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور
والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين
واجعلها من ورثة جنة النعيم
ذكرى لـ نورسين

متاهات بينشون

مع اقترابه من الثمانين، وبعد عدد من الروايات التي وضعته في مصاف رواد الأدب الأمريكي، لا يزال توماس بينشون غارقا في الغموض، لا بكتاباته فحسب، وإنما بشخصه ذاته.

قد تكون شغوفا ببينشون، قارئا لكل أعماله ودارسًا لها، لكنك إن رأيته جالسا بجوارك في المقهى لن تتعرف عليه، إذ لم يُنشر له سوى عدد محدود من الصور عندما كان صبيا في المرحلة الثانوية. ومنذ احترافه الأدب، ظل حريصا على البعد عن أعين الإعلام، ولعقود كاملة لم يكن أحد يعرف مكان إقامته.

في عام 1997، استطاع طاقم شبكة «سي إن إن» اقتناص لقطة ظهر فيها- بصحبة آخرين- بالقرب من منزله في مانهاتن بمدينة نيويورك. على إثرها اتصل بالمحطة وطلب عدم تحديد هويته وسط الأشخاص الذين ظهروا في الصورة. وفي العام التالي تمكن أحد مراسلي «صنداي تايمز» من التقاط صورة له بينما كان يتجول على قدميه مع ابنه.

أهي «غرابة أطوار»؟ رغبة متعمّدة في الالتحاف برداء من الغموض يميزه عن غيره من أبناء مهنته؟ أم هي كراهية متأصّلة للتنميط الذي يسخر منه في أعماله، وذعر من أن يتحول هو نفسه إلى «نجم» على الطريقة النمطية؟ أن يجري «تسليعه» على النحو الذي يزدريه؟

t.me/ktabpdf مكتبة

ولد توماس بينشون عام 1937 في جزيرة «لونج آيلاند» بمدينة «نيويورك»، القلب النابض للفكرة الأمريكية بعنفوانها وفوضاها. بعد إنهاء المرحلة الثانوية، بدأ دراسته الجامعية عام 1953 بدراسة الفيزياء الهندسية بجامعة كورنيل، وفي أواخر سنته الدراسية الثانية التحق بالبحرية الأمريكية، ليعود بعد سنتين ويدرس اللغة الإنجليزية. ومن وحي خبرته العسكرية كتب أولى قصصه عام 1959.

بعد التخرج من كورنيل بدأ في كتابة روايته «V» التي نشرها سنة 1963، وحازت جائزة «مؤسسة ويليام فوكنر»، وأدرجت ضمن القائمة القصيرة لجائزة «بوكر». وقد عيّن «كاتبا تقنيا» في شركة «بوينج» العملاقة بمدينة سياتل، وكان من مهام وظيفته كتابة مراجعات وعروض لمنتجات الشركة. لم يبق طويلا في وظيفته، وبعد استقالته عاش في نيويورك والمكسيك وكاليفورنيا معظم سنوات الستينيات والسبعينيات، حيث كتب مراجعات لعدة أعمال أدبية، وظهرت مناصرته للقضايا المناهضة للحرب والعنصرية.

مسيرة بينشون الحياتية والمهنية واهتماماته الشخصية والدراسية تظهر بجلاء في أعماله، التي تحفل بالمصطلحات الهندسية، المفردات العسكرية والبحرية والطيران، تاريخ الأدب، والثقافة الحديثة والموسيقى، الفيزياء الخيالية، السيارات المستعملة، القانون الوضعي، البريد، المفاهيم الفلسفية والنفسية، التراكيب اللغوية غير التقليدية، الأحاجي والألغاز، الحياة المفرغة من الحب، قوة الأشياء، إلى جانب تأثره الواضح والعميق بالتاريخ، وخاصة بتاريخ الحروب، وتحديدا بحروب النصف الأول من القرن: الحربين العالميتين، حرب فييتنام، والحرب الباردة.

في عام 1966 نشر الرواية التي بين أيدينا، «صيحة القطعة 49»، والتي

t.me/ktabpdf مكتبة

اختارتها مجلة «تايم» من بين أفضل 100 رواية كتبت باللغة الانجليزية قاطبة بين عامي 1923 و2005، وحازت جائزة مؤسسة «ريتشارد وهيلدا روسينتال» فور نشرها.

حتى الآن، نشر بينشون ثمان روايات، كان آخرها في عام 2013 روايته بعنوان «الحافة الدامية». وضمت أعماله أيضا «قوس قزح الجاذبية» Gravity's Rainbow، و«فاينلاند» Vineland و«ماسون وديكسون» Mason & Dixon، و«ضد اليوم» Against the Day، و«رذيلة فطرية» Inherent Vice، بالإضافة إلى مجموعة قصصية واحدة بعنوان «بطيء التعلم» Slow Learner.

وبرغم أن الشائع عن بينشون أنه يكتب لقارئ «غير تقليدي»، فقد حرص في هذه الرواية على اختيار بطلة «تقليدية» في رحلتها المتشعبة في دهاليز الحياة الأمريكية، التاريخ الأمريكي، الرأسمالية الأمريكية، بل والفكرة الأمريكية في حد ذاتها.

بطلة الرواية ربة منزل أبسط من أن تخوض هذه التجربة الرهيبة في الوعي، تجربة فُرضت عليها قسرا ولم تخترها بنفسها، رحلة تقطعها كالسائرين نياما وسط مؤامرة كبرى، وداخل شرايين «الوجود» الأمريكي ذاته في لحظة ربما كانت الأكثر إرباكا في تاريخ الأمة الكبيرة. تحاول، أو ربما يحاول الكاتب، إضفاء قدر من النظام على العشوائية.

في هذه الرواية، تتبدى الملامح الأساسية لكتابات بينشون: مساعيه لحل لغز المؤامرة المجهولة التي ينسجها الوجود ضد الإنسان؛ كراهيته للتنميط، سخريته من التنميط، بل وتنميطه- حتى- للتنميط؛ ازدراؤه للنظام الرأسمالي؛ سخريته من اللغة الفصيحة والعامية؛ عينه التي لا تصدق شيئا وتحثّ القارئ على إعادة اكتشاف كل الأشياء وعدم القبول بأي مسلَّمات؛ خياله الجامح المعقد، والمتثاقف أحيانا، وكأنه يطلب من

t.me/ktabpdf مكتبة

القارئ أن يتحلى بقدر كبير من المعرفة، وقدرة على استشفاف الجموح لكي يفهم مقصده، لكن حين يفهمه، يستمتع به أيما استمتاع، لأنه خيال نادر، يداعب خلايا في الدماغ لا تغازلها الكتابات الأدبية عادة، فيلكزها وينشّطها.

مع ذلك نحن نرى في هذه الرواية كاتبا يعرف حدود الغموض، إذ يقدم لنا قصة رئيسية واحدة يتابعها من الصفحة الأولى إلى الأخيرة، بل إنه، وسط خضم الأحداث المتشابكة (حتى أنه يؤلف مسرحية كاملة ويدرجها وسط روايته)، والمصطلحات الغريبة، والعوالم غير المألوفة، والشخصيات الطريفة، يحرص على تذكير القارئ بالأسماء والأحداث، يحرص على إعادته للخط الرئيسي. إنه يطرح خيالا غامضا يمكن للقارئ المتأمل واسع الخيال أن يحل شفرته، لكنه يحرص كل الحرص على استخدام «سرديته» كخيط متين يمسك به قارئه ولا يفلته.

رواية «صيحة القطعة 49» هي تراجيديا ساخرة، مزحة ومأساة طويلة ومعقدة. شبكة من الحبكات البيزنطية التي تتطور في ظروف خالية من الحب. متاهة تخوضها البطلة، ومعها القارئ، في دهاليز العوالم الظاهرة والخفية، في أضابير الحبكات والمؤامرات، في مسارات مهلوسة، حافلة برسائل وشفرات، ذات معان واضحة جلية، أو ليس لها أي معنى على الإطلاق.

إنها رحلة ممتعة داخل متاهة تصنعها البطلة بنفسها، كما تلف القطة نفسها في بكرة من الخيط. إنها محاولة للبحث عن «حقيقة كبرى» قد لا يكون لها وجود. إنها أمريكا كما لم يكتبها أحد من قبل.

عن ترجمة بينشون

الترجمة خيارات.

والكمال هدف يُسعى إليه ولا يُدرك.

وعلى مترجم بينشون أن يحدد منهاج ترجمته بوضوح، حتى لا يضيع وسط شبكة معقدة من الخيارات.

كان خيارنا منذ البداية تقديم ترجمة يقرأها القارئ العربي المعاصر المعتاد على قراءة الأدب.

هي ليست للدارسين والنقاد (لا نظن أن دارسا لبينشون يمكن أن يكون رأيا نقديا حصيفا من دون قراءته بلغته الأصلية)، بل هي مخلصة لقارئ شغوف يبحث عن متعة مختلفة وخيال متجاوز.

والترجمة عموما هي لعبة المكسب والخسارة.

كل من البدائل المطروحة في كل فقرة وجملة ولفظة يجعلك تكسب شيئا وتخسر آخر.

هذه حقيقة يجب أن يستسلم لها المترجم بشجاعة مهما كان طامحا إلى المثال.

لقد سعينا إلى تقديم رواية «مفهومة» و«ممتعة»، فأن تفقد الرواية

مكتبة t.me/ktabpdf

أحد هذين العنصرين، ولو حتى بدعوى «أمانة الترجمة»، سيكون اغتيالا حقيقيا للكاتب في لغة أخرى.

هنا، نعدد بعض النقاط الرئيسية للمنهاج الذي اتبعناه في ترجمة بينشون:

الجرأة:

ليست «الجرأة» بالصفة الحميدة في الترجمة في جميع الأحوال، إذ يغلب الظن على كونها تتناقض أحيانا مع «الدقة» و«الأمانة»، بوصفهما أكثر أهمية.

لكن ترجمة بينشون تحتاج إلى قدر جدي من «الجرأة»، لولاها لانسحق المترجم أمام العنفوان اللغوي للكاتب. والحقيقة أن القارئ يحتاج إلى ملاحظة هذه «الجرأة» في ترجمة روح النص منذ الصفحات الأولى. إن المترجم هنا يجد نفسه وسيطا في «اللعبة» التي يلعبها بينشون مع قارئه، ويحتاج إلى التحلي بقدر من هذه الجرأة لكي يكتسب ثقة القارئ، ومن ثم يستطيع إقناعه بالاشتراك في هذه اللعبة.

يتبدى ذلك من خلال التصدي بقدر من «التأويل» لبعض التراكيب أحيانا، بدلا من نقلها بـ«دقة» و«أمانة» تصبح معها- بالنظر إلى الاختلاف الثقافي والخسائر الطبيعية التي تنشأ من اختلاف اللغات- مفرطة في الغموض ومستعصية على الفهم.

في هذا السياق أيضا اخترنا- في مواضع قليلة- اللجوء إلى كلمات ذات أصل أجنبي، بدلا من المفردات الفصيحة التي لا تؤدي المعنى بدلالاته المباشرة. وافترضنا أن قراء بينشون قادرين، على الأقل، على فهم هذه المفردات البسيطة. فهل يستعصي على القارئ فهم مفردة مثل «سويت شيرت» أو «تي شيرت»؟ وماذا عن كلمة «تلفزيون» التي دخلت

اللغة العربية منذ عهد طويل ولم تستطع مفردات فصيحة أن تزيحها عن موقعها؟ هل هناك ترجمة جيدة لكلمة «فلاش باك» تنقل الإحساس بالقدر نفسه من السرعة والكفاءة؟

على الجانب الآخر فإن التردد في الصياغة الذي يفضل الصياغات «الأسلم» على حسابات الصياغات الأكثر جرأة قد يكون مستساغا من باب إبراء الذمة في نصوص أخرى، لكننا وجدناه هنا أمرا غير مقبول. إذ أن المسألة لا تقتصر على «بعض الصياغات»، وإنما تتجاوزها لذهنية سردية متكاملة.

مرة أخرى: ليست الجرأة هنا غاية مبتغاة في ذاتها، وإنما وسيلة لتحقيق أكبر قدر ممكن من «المتعة» و«المفهومية».

الغموض الفني:

في كثير من الأحيان، عندما يواجه المترجم تراكيب سردية أو لغوية غامضة أو ملتبسة، لا يجد أمامه بدائل تمنحه المستوى نفسه من الغموض في اللغة المستهدفة. بل يجد بدائل تمنحه درجة أكبر أو أقل. ما لم نجد الدرجة نفسها من الغموض الفني، مِلنا عادة- في هذه الترجمة- إلى اختيار البديل الأقل غموضا، تماشيا مع قواعد «المفهموية» و«الإمتاع» سالفة الذكر.

الإحالات

ليست الهوامش الشارحة جهدا محمودا من المترجم في جميع الأحوال، عند تصديه لترجمة العمل الأدبي، ولا يجب أن تكون من دواعي فخره، كونها تقطع التدفق السردي، وتخرج القارئ من بين السطور.

مكتبة t.me/ktabpdf

لكن الواقع أن رواية كهذه لا يمكن قراءتها من دون فهم إحالاتها. لذلك كانت الاستعانة- التي قد يراها البعض للوهلة الأولى مفرطة- بالهوامش الشارحة.

لدينا القارئ الأمريكي «الأصلي»، ابن ستينيات القرن العرشين (وقت ظهور الرواية)، ولدينا القارئ العربي ابن العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين (وقت ظهور الترجمة)، وبينهما طيف واسع مكاني، وزماني، ولغوي.

يقودنا هذا إلى مشكلة أخرى، هي أن الإحالات قد تكون غامضة في الأصل، تبعا لمستوى القارئ. أي أن هناك قارئ أمريكي يمكن ألا يفهم إحالة معينة، في حين يفهمها قارئ آخر، بحسب درجة معرفته. فأي الإحالات تستحق الشرح وأيها يفضل تركه على حاله؟

في هذا السياق، كان أمامنا خياران: إما أن نوفر شروحات لجميع الإحالات التي نراها مهمة، ما يجعل القارئ العربي أكثر «علما» من بعض القراء الأمريكيين، لكنه يبطئ من إيقاع القراءة؛ أو أن نهمل عددا كبيرا من الإحالات، بزعم أن كثيرا منها يستعصي على القارئ الأمريكي «العادي» نفسه.

وقد اخترنا بلا جدال الخيار الأول، تطبيقا لمنهاج «المفهومية» و«المتعة».

الإيقاع:

في كثير من الأحيان، وتجنبا للهوامش الشارحة، التي استخدمناها بكثرة على أي حال، اضطررنا إلى استخدام أكثر من لفظة لترجمة لفظة واحدة، مع أن هذا قد يخل بعض الشيء بالإيقاع.

ولأن الترجمة- كما أسلفنا- خيارات، لكل منها ميزاته وعيوبه، فقد

مكتبة t.me/ktabpdf

اخترنا البديل الأفضل في رأينا، ولو خسرنا أحيانا الإيقاع خسارة تستحق الرثاء.

الأسماء

على الجانب الآخر، قررنا أن نمسك عن وضع هوامش بالإحالات التي قد تنشأ عن أسماء الشخصيات والأماكن التي اختارها الكاتب.

والحق أن اختيار بينشون لهذه الأسماء يستحق دراسة بذاتها. هناك أسماء سيفطن القارئ بنفسه لإحالاتها، مثل اسم البطلة (أوديبا). لكننا عموما لم نرغب في إرهاق القارئ بالتأويلات المختلفة للأسماء.

مع ذلك، فمع ظهور شخصية ما بوصفها «تاريخيه»، كنا نحرص- أحيانا- على وضع هامش يوضح للقارئ ما إن كانت حقيقية فعلا- كما يقول الكاتب- أم أنها من ابتداعه ووحي خياله.

تقطيع الجمل الحوارية:

لدينا- عموما- طريقتان لترجمة الجمل الحوارية:

الأولى هي الطريقة المعيارية للغة العربية، حيث يسبق القائل قوله، وهي التي نستخدمها على وجه العموم في هذه الترجمة. انطلاقا من كون الجملة الحوارية المعيارية في الانجليزية تستحق النقل إلى جملة حوارية معيارية في العربية. والأمانة هنا تقتضي الالتزام بـ«المعيارية» أكثر من «طريقة تقطيع الجملة».

مع ذلك، فقد لجأنا إلى الإبقاء على التقطيع «الأصلي» للجملة (القول قبل القائل)، وهي الطريقة الثانية، حين رأينا غرضا آخر من ذلك، وهو «الالتفات». أي عندما شعرنا أن الهدف هو إثارة انتباه القارئ لعبارة معينة، أو مفاجأته، قبل أن يعرف من القائل. وهي عموما عملية تقديرية بالأساس.

t.me/ktabpdf مكتبة

وأخيرا:

هذه نسختنا الخاصة من رواية «صيحة القطعة 49»، التي حاولنا خلالها الموازنة بين المتعة والمفهومية والدقة والأمانة، في نقل الرواية الأصلية إلى العربية، مستغلين ما نمتلكه من أدوات، محدودة بأي حال.

إننا واعين بخسائرنا قدر ما نحن واعين بـ«المكاسب»، ونتمنى أن يتفق القارئ على أن المكسب من وراء هذه الترجمة أكبر كثيرا من «خسارة» ترك النص مهجورا بدعوى «استحالة ترجمته».

وفي النهاية، نتمنى- قبل كل شيء- قراءة ممتعة.

إيهاب عبد الحميد

1

ذات أصيل صيفيّ عادت السيدة أوديبا ماس إلى بيتها من حفلة «تابروير»[1]، كانت مضيفتها قد أكثرت ربما من خمر «الكيرش» في طبق «الفوندو» لتجد أنها، أوديبا، قد سُميت قيِّما، أو «قيِّمة» كما فضَّلت، على وصية المدعو «بيرس إنفيراريتي»، أحد أباطرة العقارات في كاليفورنيا الذي سبق أن خسر مليوني دولار في وقت فراغه لكنه ظل يحتفظ بأصول عديدة ومتشابكة، تكفي لجعل فرزها بالكامل أكثر من مجرد مهمة فخرية. وقفت أوديبا في غرفة المعيشة، تتلقى نظرات العين الخضراء الميتة لجهاز التلفزيون، ونطقت باسم الرب، وحاولت أن تشعر بالسكْر قدر المستطاع. لكن ذلك لم ينفعها. فكرت في غرفة فندقية في «مزالتان»[2] كان بابها قد صُفع للتو، وبدا ذلك دهرًا، موقظا مائتي طائر في البهو بالأسفل؛ في شروق فوق منحدر المكتبة في جامعة «كورنيل» لم يره أحد ويا للعار، إذ كان المنحدر يواجه الغرب؛ في نغمة موحشة

(1) حفلة تابروير Tupperware: نوع من الحفلات تعرض فيه المضيفة على ضيفاتها بضائع من محلات «تابروير» لمن تريد الشراء، كانت جزءا من استراتيجية تسويق سلسلة المحلات المتخصصة في الأدوات المنزلية وأدوات الطبخ، وفي الوقت نفسه توفّر دخلا لصاحبة البيت تتحصل عليه من عمولتها.

(2) مزالتان: مدينة مكسيكية.

t.me/ktabpdf

مكتبة

جافّة من الحركة الرابعة لـ«كونشرتو بارتوك للأوركسترا»[1]؛ في تمثال نصفي أبيض لـ«جاي جولد»[2] كان بيرس يحتفظ به فوق الفراش على رف ضيق جدا مثيرًا لديها هاجسا محوِّما أن ينقلب يومًا عليهما. أهكذا مات، تساءلت، بين الأحلام، مهشّما بالأيقونة الوحيدة في المنزل؟ لم يثِرْ ذلك إلّا ضحكها، عاليًا وخارجًا عن السيطرة: كم أنت دنيئة يا أوديبا، قالت لنفسها، أو للغرفة، التي كانت تعرف.

كان الخطاب من مكتب «وارب، ويستفول، كوبيتشك، ومكمينجس» للمحاماة في لوس أنجليس، وموقّعا باسم شخص يدعى «ميتسجر»[3]. جاء فيه أن بيرس توفّي في الربيع، ولم يعثروا على وصيته إلّا مؤخرا. كان ميتسجر قد عُيِّن قيِّما مشاركا ومستشارا خاصا في أية نزاعات تنشأ. وكانت أوديبا قد سُمّيت أيضا لتنفيذ الوصية في حاشية ترجع إلى عام مضى. حاولت أن تتذكر ما إذا كان أي شيء غير معتاد قد حدث في تلك الآونة. وخلال ما تبقى من الأصيل، خلال رحلتها إلى السوق في وسط مدينة «كينريت أمونج ذا باينز»[4] لشراء جبن الريكوتا والاستماع إلى تسجيلات شركة «موتساك» (اليوم اجتازت المدخل ذي الستارة الخرزية أثناء الفاصلة الرابعة في التسجيل التنويعي لأوركسترا «فورت وين» لموسيقات القرن الثامن عشر لكونشرتو النفّاخة لفيفالدي، مع

(1) بارتوك: هو بيلا بارتوك، مؤلف موسيقي مجري هاجر إلى أمريكا هربا من النازي.
(2) جاي جولد: أحد كبار مطوّري السكك الحديدية الأمريكيين وأحد كبار أثرياء عصره، توفي 1892.
(3) ميتسجر Mitzger بالألمانية تعني: الجزار.
(4) «كينريت أمونج ذا باينز» Kinneret-Among-The-Pines: اسم خيالي لهذه المدينة، وترجمته «كينريت بين أشجار الصنوبر»، وكينريت هو الاسم العبراني لبحيرة طبرية الواقعة بين الجولان والجليل.

مكتبة t.me/ktabpdf

السوليست «بوليد بيفر»)[1]؛ ثم إلى التشمس أثناء جمع بردقوشها وريحانها من أحواض الزرع، وقراءة عروض الكتب في العدد الأخير من مجلة «ساينتيفك أميركان»، ومن ثم إلى رص طبقات اللازانيا، وفرش الثوم على رغيف الخبز، وتقطيع أوراق الخس، ثم أخيرا، بعد إشعال الفرن، وأثناء تحضير كوكتيل الـ«ويسكي ساور» مع حلول الغسق استعدادا لعودة زوجها، «ويندل (موتشو) ماس» من العمل، راحت تتساءل، وتتساءل، تخلط أوراق كوتشينة أيامها الغليظة التي بدت (ألن تكون هي أول من يعترف بذلك؟) متطابقة على نحو أو آخر، أو أنها مرتَّبة ببراعة مثل كوتشينة مشعوذ، تشير أوراقها جميعا إلى الاتجاه نفسه، فتستطيع العين المدرَّبة التقاط أي ورقة غريبة من دون جهد. استغرقت حتى منتصف برنامج «هنتلي وبرينكلي»[2] لتتذكر أن العام الماضي في الساعة الثالثة، أو نحو ذلك، ذات صباح جاءتها مكالمة هاتفية دولية، لن تعرف قط من أين (إلا لو كان الآن قد ترك يومياته) حيث شرع صوت يكلمها بلكنة سلافية ثقيلة زاعما أنه السكرتير الثاني في قنصلية ترانسلفانيا، ويبحث عن وطواط هارب؛ ثم عدَّل صوته ليقلد الزنوج[3]،

---

(1) الفقرة كلها ساخرة، فشركة «موتساك» تخصصت في ما يطلق عليه «موسيقى المصاعد» أو «موسيقى الخلفيات» - وبالطبع فإن فيفالدي لم يؤلف كونشرتو لآلة «النفَّاخة»، رغم أنه ألف الكثير من الكونشرتوات لمختلف الآلات الموسيقية - و«القرن الثامن عشر» بالإيطالية في الأصل Settecento - والتسجيل التنويعي variorum هو تسجيل يشمل الأصل مع كل تعديلاته من أجل تتبع عملية تأليف المقطوعة.

(2) هنتلي وبرينكلي: برنامج الـ«توك شو» المسائي الأبرز على قناة «إن بي سي» في الستينيات والسبعينيات.

(3) الزنوج Negro: جدير بالذكر أن هذه المفردة في الستينيات ربما لم تحمل درجة الإهانة نفسها التي تحملها في أيامنا هذه.

t.me/ktabpdf مكتبة

ثم إلى لهجة باتشوكو عدائية، مشحونة بالـ«تشيجا» والـ«ماريكون»[1]؛ ثم إلى ضابط جستابو يسألها صارخًا إن كان لها أقارب في ألمانيا وأخيرا تحول إلى صوت «لامونت كرانستون»[2]، الصوت الذي ظل يتكلم به طيلة الطريق إلى مازلتان. تمكنت أخيرا من مقاطعته قائلة «بيرس، من فضلك. ظننت أننا—»

بجدية: «لكن يا مارجو. لقد عدت لتوي من عند المفتش ويستون[3]، وعرفت أن ذلك المسنَّ في بيت المرح قد قُتل بالسَّبَطانة نفسها التي قَتلت البروفيسور كواكنبوش»[4] أو شيء من هذا القبيل.

قالت: «بالله عليك!». كان موتشو قد استدار وراح ينظر إليها.

اقترح عليها موتشو بعقلانية: «لماذا لا تغلقين الخط في وجهه».

قال بيرس: «سمعت هذا. أظن أنه حان الوقت لكي يحظى ويندل ماس بزيارة من 'الظل'». حل صمت، راسخ وشامل. وهكذا كان ذلك آخر ما سمعته من أصوات. لامونت كرانستون. كان لخط الهاتف أن يشير إلى أية وجهة، أن يستطيل لأي مدى. ثم انتقل غموضه البالغ، في الأشهر التالية للمكالمة، إلى الذكرى التي انتعشت: ذكرى وجهه، وجسده، والأشياء التي أهداها لها. الأشياء التي كانت حتى وقتها تتظاهر من حين

---

(1) باتشوكو Pachuco: شباب أمريكيين- مكسيكيين ابتدعوا ثقافة خاصة في الثلاثينيات والأربعينيات في جنوب غرب الولايات المتحدة، ولفظتا «تشيجا» chiga و«ماريكون» maricon تعنيان «نكاح» و«شاذ جنسيا» على الترتيب.

(2) لامونت كرانستون: شخصية من حلقات المسلسل المصوَّر والإذاعي «الظل» The Shadow، وتمثل أحد شباب المدينة الأثرياء.

(3) مارجو- المفتش ويستون: من شخصيات المسلسل سابق الذكر.

(4) البروفيسور كواكنبوش: شخصية ظهرت مع ثلاثي «المهرجين الثلاثة» The Three Stooges في عدد من أعمالهم- والسبطانة هي أنبوب طويل فيه مقذوف يطلق بالنفخ.

t.me/ktabpdf مكتبة

إلى آخر بأنها لم تسمعه يقولها. هذا الغموض استولى عليه، دافعا إياه إلى حافة النسيان. انتظر «الظل» عامًا قبل أن يفي بالزيارة. لكن الآن لديها خطاب ميتسجر. فهل اتصل بها بيرس العام الماضي لكي يخبرها بحاشية الوصية هذه؟ أم أنه قرر ذلك لاحقا، مدفوعا بشكل ما بضيقها ولا مبالاة موتشو؟ شعرت أنها في العراء، مخدوعة، مُهانة. لم يسبق لها أن نفذت وصية في حياتها، ولم تعرف من أين تبدأ، ولم تعرف كيف تخبر مكتب المحاماة في لوس أنجليس أنها لا تعرف من أين تبدأ.

«موتشو يا عزيزي»، صاحت، في نوبة عجز.

اندفع موتشو ماس، وقد عاد إلى البيت، عبر الباب السلكي، وبادر بالقول «اليوم كانت هزيمة أخرى».

وبادرت هي أيضا «دعني أخبرك». لكنها تركت موتشو يبدأ.

كان يعمل «دي جيه» DJ في شبه الجزيرة ويعاني من أزمات ضمير منتظمة تجاه مهنته. وكان عادة ما يبادر بالقول: «لا أؤمن بأي من هذا يا أُود. أحاول، لكنني حقيقة لا أستطيع»، ويغوص إلى الأسفل، أعمق ربما مما تستطيع الوصول إليه، وهكذا كانت هذه الأوقات غالبا ما تدفعها إلى حافة الهلع. ربما كان منظرها وهي تكاد تفقد السيطرة إلى هذا الحد هو ما يعيده إلى أعلى.

«أنت حساس جدا». نعم، كان عليها أن تقول المزيد، لكن هذا ما خرج منها. وكان صحيحا، بأيّ حال. على مدار عامين ظل يعمل مندوب مبيعات للسيارات المستعملة، ومن ثم كان يدرك تماما ما تعنيه تلك المهنة التي كانت ساعات العمل فيها بالنسبة له عذابًا مقيمًا. كان موتشو يحلِق شفته العليا كل صباح ثلاث مرات، ثلاث مرات في الاتجاه العكسي لإزالة أوهى همسة من الشوارب، بشفرات جديدة كانت لا تني تدميه لكنه ظل مواظبا؛ وكان يشتري بدلات منسدلة على الكتفين، ثم يذهب

إلى خياط لكي يضيِّق الياقات أكثر بصورة غير طبيعية، وعلى شعره كان لا يستخدم إلا الماء، ممشطا إياه مثل «جاك ليمون» لكي يدفعه إلى الوراء أكثر. كان منظر نشارة الخشب، حتى بِراية القلم الرصاص، يجعله يجفل، إذ عُرف أقرانه باستخدامها لإخراس علبة التروس المعطوبة. ورغم التزامه بحمية غذائية لم يكن بإمكانه، على عكس أوديبا، استخدام العسل لتحلية قهوته حيث كان يزعجه شأنه شأن كل شيء لزج، إذ يذكِّره على نحو لاذع بالمادة التي غالبا ما تُخلط بزيت المحرك لحشر الخداع داخل الفراغات بين الكبَّاس وجدار الـ«سليندر». لقد غادر حفلة ذات ليلة لأن شخصا نطق بكلمة «كريم بَف»[1]، التي جرحت أذنيه. كان الرجل فطائريا مجَريًّا يثرثر، لكن هناك كان موتشو: ذو الجلد الرقيق.

مع ذلك، فقد كان يؤمن بالسيارات على الأقل. ربما إيمانا مبالغا فيه: كيف لا، وهو يرى أناسا أفقر منه، زنجي، مكسيكي، فلاح أبيض، يأتون موكبا يستمر سبعة أيام في الأسبوع، يجلبون أفظع السيارات لاستبدالها: امتدادات حديدية ومزوَّدة بمحركات لذواتهم، ولعائلاتهم ولواقع حياتهم بأكملها لا شك، لتقبع هكذا عارية أمام أي شخص، أي غريب مثله، فينظر إليها، بهيكلها المنبعج، وعفشتها الصدئة، ورفرافها المعاد طلاؤه بدرجة لون بعيدة عن الأصلية تنزل بالسعر، وبموتشو نفسه، إلى الحضيض. تعطن على نحو ميؤوس منه برائحة الأطفال، وخمور الـ«سوبرماركت»، وجيلين، وأحيانا ثلاثة أجيال من المدخنين، أو بالتراب فحسب- وأثناء تنظيف السيارة تجد نفسك مجبرا على النظر إلى فضالة لتلك الحيوات، من دون وسيلة لمعرفة أي هذه الأشياء أُلقيت

---

(1) كريم بف creampuff: تلاعب لفظي، فبالنسبة لموتشو تعني «سيارة استعمال ممتاز»، لكنها بالنسبة للفطائري تعني: «الحلوى المحشوة بالكريمة والمغطاة بالشوكولاتة».

t.me/ktabpdf مكتبة

نَبذًا (وكان قلة من أصحابها يعودون من أجلها، لكن يجب التقاطها والاحتفاظ بها تحسّبا) وأيّها ببساطة (وربما بمأساوية) قد فُقد: كوبونات مقصوصة تعِد بتوفير خمسة أو عشرة سنتات، طوابع تُبدَّل ببضائع، نشرات وردية تعلن عن عروض خاصة في الأسواق، أعقاب سجائر، فُرشات شعر بأسنان ناقصة، إعلانات تطلب مساعدين، أوراق صفراء مقطوعة من دليل الهواتف، مِزق من ملابس داخلية قديمة أو ثياب عفا عليها الزمن، لمسح أنفاسك عن الجانب الداخلي من الزجاج الأمامي حتى تستطيع رؤية ما تشتهي، فيلما كان أو امرأة أو سيارة أو شرطيا قد يوقفك من أجل استجواب نمَطي، وكل هذه الأشتات والفتات تتشابه في كونها مغطّاة، مثل سَلَطة من اليأس، بتتبيلة رمادية من الرماد، والعادم المتكثّف، والتراب، وفضلات الجسد- كان ينظر إليها فيصيبه الغثيان، لكن كان عليه أن ينظر. لو كانت ساحة خردة بالضبط، ربما استطاع أن يتحمل، ويصنع لنفسه مسارًا مهنيًا: فالعنف الذي تسبب في كل ضعضعة لم يكن يتكرر بوتيرة كافية بالنسبة له، كان بعيدا عنه، شأن كل موت، حتى يحين موتنا نحن، ما يجعله معجزة في حد ذاته.

لكن طقوس استبدال السيارات التي لا تنتهي، أسبوعا بعد أسبوع، لم تصل قط لحد العنف أو الدم، ومن ثم كانت أكثر عقلانية من أن يتحملها موتشو مرهَف الحسّ طويلا. فحتى لو كان فرط التعرّض للسقام الكئيب المتواصل قد استطاع تحصينه نوعا، لم يكن بمقدوره بعد أن يقبل تلك الطريقة التي يقف بها كل مالك، كل ظِلّ، في الطابور فقط لكي يستبدل نسخة منبعجة، معطوبة من ذاته بانعكاس أوتوماتيكي آخر، ميؤوس منه بالقدر نفسه، لحياة شخص آخر. وكأن ذلك شيئا طبيعيا جدا. بالنسبة لموتشو كان ذلك فظيعا، نوعا ملتويا ولا متناهٍ من سفاح المحارم.

لم تستطع أوديبا أن تفهم لماذا لا يزال يغضب حتى الآن. فعندما

تزوجها كان قد أكمل لتوه سنتين في المحطة الإذاعية، KCUF[1]، وكان قد خلَّف وراءه بعيدا ساحة السيارات على الطريق الهادر الشاحب، مثل الحرب العالمية الثانية أو الحرب الكورية بالنسبة للأزواج الأكبر سنا. ربما، وليساعدها الرب، كان الأفضل له أن يخوض حربًا، إذ كان بإمكانه نسيان اليابانيين بين الأشجار، والألمان داخل دبابات «النمر»، والآسيوين نافخي أبواق الليل، أسرع من ذلك الشيء المتعلق بالساحة الذي ظل معه على نحو مقلق على مدار خمس سنوات. خمس سنوات. أنت تهدهد هؤلاء عندما يستيقظون متصبّبين عرقا أو صارخين بلغة الكوابيس، نعم، تضمّهم، فيهدأون، وذات يوم ينتهي الأمر: تعرف هذا. لكن متى سينسى موتشو؟ ارتابت في أن وظيفة الـ«دي جي» (وقد حصل عليها عبر صديقه المقرب مدير الإعلان في KCUF، الذي كان يزور ساحة السيارات مرة أسبوعيا، إذ كانت الساحة من بين رعاة المحطة) لم تكن سوى وسيلة لجعل أفضل 200 أغنية، وحتى النشرة الإخبارية التي تبربر من الآلة- كل هذا الحلم المخاتل لرغبات مراهقة- مصدًّا يحُول بينه وبين تلك الساحة.

كان قد آمن بالساحة أكثر من اللازم، ولم يؤمن قط بالمحطة الإذاعية. لكن حين تنظر إليه الآن، في غرفة المعيشة المضاءَة بنور الغسق، وهو ينساب مثل طائر كبير محمول على التيار الصاعد باتجاه الزجاجة المليئة بالشراب، متبسّما من وسط حلقة دوامته الكثيفة، يهيَّأ لك أن كل شيء هادئ تماما، صفو، وعلى خير ما يرام.

حتَى فتح فمه. قال لها، وهو يصبُّ: «اليوم استدعاني 'فانش'، أراد أن يتكلم عن صورتي، التي لا يحبها». فانش هو مخرج البرنامج، وغَريم موتشو اللدود. «أنا في رأيه مثير أكثر من اللازم. ويجب أن أكون أبًا

---

(1) KCUF: لاحظ أن الكلمة هي مقلوب FUCK.

شابا، أو أخًا أكبر. هاتِه الكتكوتات الصغيرات يتصلن لطلب الأغنيات فتنبض الشهوة العارية، هكذا تتردد في أذن فانش، في كل كلمة أنطق بها. والمفروض عليَّ الآن أن أسجل كل المحادثات الهاتفية. وسيقوم فانش بنفسه بحذف أي شيء يعتبره مسيئا، وهذا يعني كل كلامي. قلت له إن هذه رقابة. 'واشٍ'، تمتمتُ بها ثم خرجت مسرعا». كانت ثمة مشاكسة روتينية تدور بينهما ربما مرة أسبوعيا.

عرضَت عليه الخطاب المرسل من ميتسجر. كان موتشو يعرف كل شيء عنها هي وبيرس: كانت علاقتهما قد انتهت قبل أن يتزوجها موتشو بعام. قرأ الخطاب وتراجع وهو يرمش بعينيه رمشات خجولة متتابعة.

قالت «ماذا سأفعل؟».

قال موتشو «أوه، لا، أنت تسألين الشخص الخطأ. ليس أنا. أنا حتى لا أستطيع ضبط ضريبة الدخل الخاصة بنا. أما تنفيذ وصية، ليس هناك ما يمكن أن أنصحك به. زوري 'روزمان'». أي محاميهما.

«موتشو. ويندل. الموضوع انتهى. قبل أن يضع اسمي في الوصية».

«نعم، نعم. لم أقصد سوى ما قلتُ يا أُود. أنا لست أهلا لهذا».

وهكذا، كان ذلك ما فعلته في الصباح التالي، ذهبت لزيارة روزمان. بعد نصف ساعة أمام مرآة زينتها ترسم وتضطر إلى إعادة رسم خطوط داكنة على أجفانها كانت تخرج خشنة أو ترتعش بعنف في كل مرة قبل أن تتمكن من إبعاد الفرشاة. كانت قد ظلت مستيقظة أغلب الليل، بعد اتصال هاتفي آخر في الثالثة صباحا، جرسه رعبٌ قلبيٌّ رهيب، ينطلق من اللاشيء، وما إن تهمد الآلة ثانية واحدة، حتى تصرخ في التالية. أيقظهما كلاهما فتمدَّدا، وقد تحررت أوصالهما المتشابكة، غير راغبين أصلا في النظر أحدهما إلى الآخر طيلة الرنات القليلة الأولى. وأخيرا، بعدما رأت

أن ليس لديها ما تخسره، رفعت السمّاعة. كان الدكتور هيلارياس، طبيبها أو معالجها النفسي. لكن صوته بدا أشبه ببيرس وهو يمثل دور ضابط من الجستابو.

بادرها بجفاف «لم أوقظك، أليس كذلك؟ صوتك يبدو مذعورًا جدا. كيف حال الحبوب، ألا تأتي بنتيجة؟».

قالت: «لا أتناولها».

مكتبة

«هل تخافين منها؟».

«لا أعرف ماذا بداخلها».

«لا تصدقين أنها مجرد مهدئات؟».

«هل أثق بك؟». لم تكن تثق به، وما قاله تاليًا يفسّر السبب.

«لا زلنا بحاجة إلى مائة وأربعة من أجل الجسر». ضحك بخشونة. الجسر، «دي بروكي»، هو اسم التدليل للتجربة التي كان يساعد المستشفى العام على إجرائها حول تأثير عقاقير الـ LSD-25، والـ«مسكالين»، والـ«سيلوسايبين»[1]، وما شابهها من عقاقير على عيّنة كبيرة من ربات البيوت في الضواحي. الجسر نحو الداخل. «متى يمكننا إدراجك في الجدول».

قالت: «لا. لديك نصف مليون واحدة أخرى يمكنك الاختيار من بينهن. إنها الثالثة صباحا».

«نريدك أنت». الآن راحت تُبصر فوق رأسها البورتريه الشهير لـ«العم» المثبَّت على واجهة كل مكاتب بريدنا، معلّقا في الهواء، عيناه لامعتان بصورة مَرَضية، وخداه الصفراوان الغائران محمرّان بعنف، وإصبعه

---

(1) «إل إس دي»، «مسكالين»، «سيلوسايبين»: من عقاقير الهلوسة- ودي بروكي die Brucke تعني «الجسر» بالألمانية.

يشير إلى ما بين عينيها. أريدك أنتِ.[1] لم يسبق لها أن سألت الدكتور هيلارياس عن السبب، إذ كانت تخشى إجابته أيًّا ستكون.

«أنا الآن أعاني من الهلوسة. لا أحتاج إلى عقاقير هلوسة».

سارع بالقول: «لا تصفي الحالة. طيب. هل أردتِ الكلام عن أي شيء آخر».

«وهل أنا من اتصل؟».

قال: «ظننت ذلك. راودني ذلك الشعور. ليس تخاطرا. لكن التآلف مع مريض أحيانا يكون أمرا لافتا».

«ليس هذه المرة». أغلقت الخط. ثم لم تعد تستطيع النوم. لكن لو تناولت الكبسولات التي أعطاها لها لأصابتها اللعنة. لأصابتها اللعنة حرفيًّا. لم ترغب في أن تعلَق بأي شكل من الأشكال، هذا ما سبق وقالته له. هزَّ كتفيه «إذن. لست عالقة بي؟ فلترحلي إذن. لقد شُفيتِ».

لم تستطع الرحيل. ليس لأن الطبيب النفسي يسيطر عليها بقوة شريرة ما. لكن لأن البقاء أسهل. فمن سيعرف يوم تشفى؟ ليس هو، لقد اعترف بذلك بنفسه. احتجت قائلة: «الحبوب مختلفة». اكتفى هيلارياس بأن غيَّر تقاسيم وجهه، نظر لها بوجه رأته قبل ذلك. كان مترَعًا بهذه الزلَّات البهيجة عن التقاليد الرصينة. كانت لديه نظرية أن الوجه متناظر مثل اختبار «رورشاك» لبقع الحبر. يسرد قصة مثل «اختبار تفهُّم الموضوع» TAT، يستثير ردة فعل مثل كلمة مقترَحة، فلم لا[2]. كان يزعم أنه سبق وأن عالج حالة من العمى

(1) الصورة المقصودة لـ«العم سام» في ملصق شهير كُتب عليه «أريدك أنت.. للجيش الأمريكي».

(2) اختبار رورشاك، واختبار تفهم الموضوع: من الاختبارات النفسية التي تحلل دوافع الحالة من خلال ردود أفعالها على أشكال تعرض عليها.

t.me/ktabpdf مكتبة

الهستيري باستخدم الوجه رقم 37، «فو مانتشو»[1] (كثير من الوجوه لها مثل السيمفونيات الألمانية رقم واسم تدليل)، والذي يتضمن رفع العينين عاليًا بالسبابتين، وتكبير المنخارين بالوُسطيَيْن، وشد الفم على وسعه بالخنصرَين وإخراج اللسان. كان هذا الوجه مفزعا جدا على هيلارياس. والحقيقة أنه مع تراجع هلوسة أوديبا المتعلقة بـ«العم سام»، كان وجه الـ«فو مانتشو» يتداخل معه ويحل محله تدريجيا ليظل معها خلال ما تبقى من الساعات قبيل الفجر. وهذا لم يجعلها في أفضل وضع لرؤية روزمان.

لكن روزمان كان قد قضى بدوره ليلة مؤرقة، إذ جلس مهموما مساء أمس أمام مسلسل «بيري ماسون»[2]، الذي كانت زوجته مغرَمة به وكان روزمان كان يشعر تجاهه بمشاعر عنيفة متضاربة، إذ كان يريد أن يصير محامي مرافعات ناجح مثل بيري ماسون. وفي الوقت نفسه، ولأن ذلك كان مستحيلا، أن يدمر بيري ماسون عن طريق تشويهه. دخلت أوديبا على حين غفلة لتضبط محامي أسرتها المؤتمن وهو يدسُّ بتسرعٍ مُذنِب كومة من الأوراق مختلفة الأحجام والألوان في درج مكتبه.

عرفت أنها مسودة كتاب: «المهنة في مواجهة بيري ماسون، اتهامٌ ليس افتراضيا بالكامل». وأنها كانت تتطور منذ بدأت إذاعة المسلسل التلفزيوني.

قالت أوديبا: «لم أعتد رؤيتك وأنت تشعر بالذنب، بحسب ما أتذكر». كانا كثيرا ما يذهبان إلى جلسات العلاج الجماعي نفسها، في رحلة مشتركة بالسيارة مع مصور من «بالو ألتو» كان يظن نفسه كرة طائرة. «هذه علامة جيدة، أليس كذلك؟».

---

(1) فو مانتشو: بطل سلسلة روايات، شُخص لاحقا في أفلام عدة، وهو طبيب ذو عقلية إجرامية.

(2) بيري ماسون: مسلسل تلفزيوني بطله محام جنائي.

t.me/ktabpdf مكتبة

قال روزمان «ربما كنتِ واحدة من جواسيس بيري ماسون». ثم أضاف بعد لحظة تفكير «ها ها».

«ها ها»، قالت أوديبا. وتبادلا النظرات.

قالت: «يجب أن أنفذ وصية».

قال روزمان «أوه، نفّذيها إذن. لا تجعليني أمنعك».

«لا»، قالت أوديبا، وأخبرته بكل شيء.

قال روزمان متحيرا، بعد قراءة الخطاب: «ولماذا يفعل شيئا كهذا؟».

«تقصد أن يموت؟».

قال روزمان: «لا. أن يختارك للمساعدة في تنفيذها».

«كان شخصا لا يمكن توقعه». ذهبا لتناول الغداء. حاول روزمان أن يعابث قدميها تحت الطاولة. كانت ترتدي حذاء طويلا، ولم تشعر بالكثير. وهكذا، معزولة، قررت ألا تثير أية ضجة.

قال روزمان عندما جاءت القهوة «اهربي معي».

سألته: «إلى أين». وأخرسه ذلك.

عندما عادا إلى المكتب، وضع مخططا لما سيكون عليها فعله: تطّلع على الدفاتر والأعمال، تُثبت صحة الوصية، تجمع الديون، تحصر الأصول، تحصل على تقييم للتركة، تقرر ما الذي سيتم تسييله وما الذي سيبقى، تدفع المستحقات، تسوّي الضرائب، توزّع أنصبة الميراث...

قالت أوديبا: «هاي! ألا يمكنني أن آتي بشخص ليفعل ذلك بدلًا مني؟».

قال روزمان: «أنا. بعضها بالطبع. لكن ألستِ مهتمة حتى؟».

«بماذا؟».

«بما يمكن أن تكتشفيه».

مع تطور الأمور، سوف تتكشف أمامها كل الأشياء. ليس عن بيرس إنفيراريتي، ولا عن نفسها؛ ولكن عما كان موجودا ولكنه ظل بطريقة ما، حتى تلك اللحظة، بعيدا عن الأنظار. كان ثمة ما يشبه حاجز الصد، العازل، كانت قد لاحظت غياب الحرارة، وكأنها تشاهد فيلمًا، صورته واضحة الاهتزاز، لكن مُشغّل آلة العرض يرفض إصلاحها. كما كانت قد احتالت على نفسها، متقمّصة دور رابنزيل[1]، الفتاة الفضولية، التأملية نوعا ما، التي وجدت نفسها، بطريقة سحرية، محبوسة بين أشجار الصنوبر وضباب الملح فوق بحيرة كينريت، في انتظار شخص يقول لها هيه، أنزلي شعرك. وعندما تبين أن بيرس هو هذا الشخص، سحبت دبابيس وبَكَرات شعرها بسعادة فانسدل في شلال هامس بهيّ، لكن عندما وصل بيرس إلى منتصف الطريق تقريبا، تحول شعرها الجميل، وكأنما بتعويذة سحرية مشؤومة، إلى باروكة سائبة هائلة، فهوى من علٍ، وسقط على مؤخرته. لكنه بجسارة، ربما مستخدما واحدة من بطاقاته الائتمانية العديدة كـ«طفَّاشة»، فتح قفل باب البرج وصعد السلالم الحلزونية، وهو ما كان عليه أن يفعله منذ البداية، لو كان الدهاء من صفاته حقا. لكن كل ما حدث بينهما لاحقًا لم يتجاوز قَط نطاق هذا البرج. في «مكسيكو سيتي» وأثناء تجوالهما وجدا نفسيهما في معرض لوحات للأسبانية الجميلة المنفية «ريميديوس فيرو»: في اللوحة الرئيسية الثلاثية، المعنونة «بورداندو إل مانتو تيرّستري»[2]، كان ثمة عدد من الفتيات الهزيلات لهن وجوه تشبه القلوب في شكلها، وعيون ضخمة، وشعر ذهبيّ ملفوف، سجينات في الغرفة العلوية لبرج دائري، يطرّزن قماشًا ينسدل من النوافذ

---

(1) رابنزيل: بطلة القصة الشهيرة عن الفتاة التي حبستها ساحرة في برج عال، وكانت كلما أرادت الصعود إليها تناديها «رابنزيل رابنزيل.. أنزلي شعرك الطويل».

(2) «بوردادنو...»: بالأسبانية، وتعني «تطريز وشاح الأرض».

المشقوقة في الجدار باتجاه الفراغ، ويحاولن يائسات أن يملأن هذا الفراغ: إذ كانت كل البنايات والمخلوقات الأخرى، كل أمواج الدنيا وسفنها وغاباتها، مشمولة في هذا القماش، والقماش كان العالم. وقفت أوديبا، تائهة، أمام اللوحة وراحت تبكي. لم يلاحظ أحد: كانت تضع نظارة شمس خضراء بعدسات تشبه الفقاعات. وللحظة تساءلت إن كانت الحدود حول محجريها محكمة بما يكفي لكي تظل الدموع تنحدر ببساطة وتملأ فضاء العدستين بالكامل ولا تجف مطلقا. بهذه الطريقة سيكون بوسعها أن تحمل حزن اللحظة إلى الأبد، أن ترى العالم منكسرا خلال تلك الدموع، تلك الدموع تحديدا، وكأن معاملات الانكسار غير المكتشفة بعد تختلف في مناحٍ مهمة من بكاء إلى آخر. نكَّست رأسها ناظرة إلى قدميها وأدركت لحظتها، بسبب اللوحة، أن ما تقف عليه قد نُسجت خيوطه فقط على بعد نحو ألفي ميل في برجها الخاص، وقد سمّي المكسيك بمحض الصدفة، وهكذا فإن بيرس لم يبعدها عن أي شيء، لم يكن ثمة مهرب. ما الذي كانت ترغب في الهروب منه إلى هذا الحد؟ هذه العذراء الأسيرة، التي تمتلك وقتا طويلا للتفكير، سرعان ما تدرك أن برجها، بارتفاعه ومعماره، لا يشبه «أناها» إلّا بشكل عرضي: إن الذي يبقيها حيث هي إنْ هو إلا سحر، غُفل من الاسم وخبيث، داهمها من الخارج وبلا سبب على الإطلاق. وإذ لم تكن تمتلك عتادا إلا الخوف في أحشائها والحدس الأنثوي لسبر هذا السحر الهلامي، لإدراك الطريقة التي يعمل بها، وكيفية قياس قوة مجاله المغناطيسي، وحساب خطوط القدرة، فلربما تلجأ إلى الخرافات، أو تتخذ لنفسها هواية مفيدة مثل التطريز، أو تُجن، أو تتزوج «دي جيه». إذا كان البرج في كل مكان والفارس المنقذ لا حَول له أمام سحره، فماذا إذن؟

2

غادرت كينريت، إذن، بلا أي فكرة عن كونها في الطريق إلى شيء جديد. وقف موتشو ماس، مبهَما، يصفر لحن «أريد أن أقبّل قدمَيْك»، تسجيل جديد لـ«سِك دِك والفولكسفاجنز»[1] (فريق إنجليزي كان مغرما به في ذلك الوقت لكنه لم يكن مؤمنًا به)، ويداه في جيبيه بينما راحت هي تشرح له رغبتها في السفر إلى «سان نارسيسكو»[2] لبعض الوقت لكي تلقي نظرة على دفاتر وسجلات بيرس وتتشاور مع ميتسجر، شريكها في تنفيذ الوصية. كان موتشو حزينا وهو يراها تغادر، لكنه لم يكن مستميتا على استبقائها، لذا فبعد أن طلبت منه إغلاق الخط في حال اتصل الدكتور هيلارياس والاعتناء بالبردقوش في الحديقة، والذي كان قد أصيب بعفن غريب، مضت في طريقها.

تقع سان نارسيسكو إلى الجنوب، بالقرب من لوس أنجليس. ومثل الكثير من الأماكن ذات الأسماء في كاليفورنيا لم تكن مدينة محددة بقدر ما كانت تجمّعًا لعدة مفاهيم- مناطق إحصاء سكاني، قضاءات لإصدار

---

(1) سِك دِك والفولكسفاجنز Sick Dick and the Volkswagens: إحالة من بين إحالات أخرى ستتكرر إلى فريق «البيتلز» (سيارات البيتلز هي إحدى طرز الفولكسفاجن)، وأغنية «أريد أن أقبل قدميك» تذكر بأغنية البيتلز «أريد أن أمسك يدك» I Want to Hold Your Hand.

(2) سان نارسيسكو San Narcisco: الإحالة واضحة إلى النرجسية Narcisim.

t.me/ktabpdf مكتبة

سندات تمويل المشروعات، مراكز تسوّق، مكسوّة جميعا بطرق تصب في طريقها السريع الخاص. لكنها كانت مقامَ بيرس ومستقرّه: المكان الذي بدأ فيه مضارباته على الأراضي قبل عشر سنوات، منشئا ركيزة رأس المال التي شُيّد عليها لاحقا كل شيء، أيا كانت درجة تزعزعه أو بشاعته، متعاليا صوب السماء؛ وهذا ما يميز، كما افترضَت، هذه البقعة، ويمنحها بريقا خاصا. لكن إذا كان ثمة فارق حيوي بينها وبين بقية «كاليفورنيا الجنوبية»، فهو فارق لا يُرى لأول وهلة. دخلت سان نارسيسكو في يوم أحد، في سيارة [شيفورليه] إمبالا مستأجَرَة. لا شيء كان يحدث. اضطرت إلى تضييق عينيها في نور الشمس، وهي تنظر من أعلى جرف إلى مساكن ممتدة على مساحة شاسعة وقد تطاولت معا، مثل محصول مُعتنى به جيدا، من الأرض البنية الكابية؛ وتذكرت تلك المرة التي فتحت فيها راديو ترانزيستور لتغيير بطاريته فأبصرت لأول مرة لوحة إلكترونية. من هذه الزاوية العالية، وثَبَت أمام ناظريها دوامة البيوت والشوارع المتناسقة بالوضوح المذهل نفسه وغير المتوقَّع كما اللوحة الإلكترونية. ومع أنها كانت تعرف عن الراديو أقل حتى مما تعرفه عن أبناء كاليفورنيا الجنوبية، فقد كان النسق الخارجي لكليهما يحمل مسحة هيروغليفية لمعنى مستتر، لنزعة تواصل. كان قد بدا أنه لا حدود لما يمكن أن تخبرها به اللوحة الإلكترونية (لو كانت قد حاولت الاكتشاف)؛ لذا ففي دقيقتها الأولى من سان نارسيسكو، ارتعش إلهامٌ ما متجاوزًا بالكاد عتبة إدراكها. كان الضباب الدخاني عالقا في كل أرجاء الأفق، والشمس فوق الريف البنّي الفاتح الزاهي مؤلمة؛ وبدت هي وسيارتها الشيفروليه مصفوفتَين وسط لحظة دينية غريبة. وكأنما، في تردد مختلف، أو كأن ثمة كلمات تخرج من عين طاحونة هواء تدور ببطء شديد حتى أن جلد أوديبا الساخن لا يشعر بطراوة طردها المركزي. كانت على هذه

مكتبة t.me/ktabpdf

الدرجة من الظنون. فكرت في موتشو، في زوجها الذي يحاول أن يؤمن بوظيفته. أكان يشعر بشيء كهذا، وهو ينظر من وراء زجاج مانع للصوت لزميل بسمّاعات مثبتة على رأسه ويشير له بتشغيل التسجيل التالي بحركات تحاكي قديسا يتعامل مع الزيت المقدس، والمجمرة، وخمر القربان، لكنها مولَّفة بحق على الصوت. الأصوات، الموسيقى، رسالتها، محاطة بها، غائصة فيها، كحال كل المؤمنين الذين تصدح من أجلهم؛ أكان موتشو يقف أمام ستوديو (أ) ينظر إلى داخله، عالما بأنه حتى لو استطاع سماعها لما استطاع الإيمان بها؟

سرعان ما انصرفت عن الفكرة، وكأن سحابة قد اقتربت من الشمس أو أن الضباب الدخاني قد تكاثف، ومن ثم كَسَر «اللحظة الدينية»، أيا كانت؛ أدارت المحرك وأكملت طريقها بسرعة 70 ميلا في الساعة ربما على طول الأسفلت الذي لا يَني يصفُر، على طريق سريع ظنت أنه يتجه إلى لوس أنجليس، ثم إلى منطقة لا تزيد كثيرا عن طريق جانبي ضامر، مبطنة بساحات السيارات، وخدمات الوساطة المالية، ومحلات للتسوق بالسيارات، ومبانٍ مكتبية ومصانع صغيرة كانت أرقام البنايات فيها في نطاق الـ70 ثم الـ80 ألف. لم تكن تعرف أن الأرقام يمكن أن تصل إلى هذا الحد. بدا أمرًا غير طبيعي. على يسارها ظهرت أشتات ممتدة من البنايات الوردية الفسيحة، محاطة بأسوار تمتد لأميال تعلوها أسلاك شائكة وتقطعها من حين إلى آخر أبراج حراسة؛ ثم مرقت من أمام بوابة، صاروخان بارتفاع 60 قدمًا على الجانبين واسم «يويوداين» مكتوب بطريقة محافظة على رأس كل منهما. كان هذا هو المصدر الأكبر للوظائف في سان نارسيسكو، إدارة «الجالاكترونيات» في شركة يويوداين، واحدة من عمالقة صناعة الفضاء. وكان بيرس يمتلك، كما صادف وأن عرفت، حصة كبيرة من الأسهم، كما كان ضالعا بشكل ما في

المفاوضات التي جرت من أجل الوصول إلى تفاهم مع مُقدّر الضرائب في المقاطعة لإغراء يويوداين بالحضور إلى هنا من الأساس. كان ذلك، على حد قوله، أحد الأدوار التي يجب أن يلعبها الأب المؤسس.

مجددا أفسحت الأسلاك الشائكة الطريق لموكب مألوف بلون بني فاتح من المباني الخرسانية سابقة التجهيز لشركات توزيع الآلات المكتبية، ومَعامل المواد المانعة للتسرب، وورش تصنيع أسطوانات الغاز، ومصانع أدوات الربط والتثبيت، والمستودعات، وما إلى ذلك. كان يوم الأحد قد أصابها جميعها بالصمت والشلل، باستثناء مكتب عقارات هنا أو موقف شاحنات هناك. قررت أوديبا أن تتوقف عند الـ«موتيل» التالي، أيًا كانت درجة قبحه، إذ أصبحت، عند نقطة ما، تفضل الاستقرار والجدران الأربعة عن وهم السرعة، والحرية. الريح في شعرك، المناظر الطبيعية المبسوطة أمامك- لم يكن ثمة شيء من هذا. ما كانه الطريق حقيقة، تخيلت، محقنا تحت الجلد، مغروس عند نقطة ما في عِرق طريق سريع، عِرق يغذي وريد لوس أنجليس الرئيسي، يضخ فيه المخدر، يبقيه سعيدا، متماسكا، محميا من الألم، أو ما يمكن أن يُعدّ ألما بالنسبة لمدينة. لكن لو كانت أوديبا مجرد بلّورة واحدة ذائبة من هيروين المدينة، لما أصبحت لوس أنجليس، حقا، أقل استثارة لغيابها.

مع ذلك، عندما ألقت نظرة على الموتيل التالي، ترددت لثانية. صورة مرسومة على صفيحة معدنية لحورية تمسك بزهرة بيضاء ترتفع ثلاثين قدما في الهواء؛ اللافتة، المضاءة برغم الشمس الساطعة، تقول: «ساحات الصدى». كان وجه الحورية أشبه بوجه أوديبا، وهو ما لم يفزعها كثيرا بقدر ما أفزعها نظام نفخ مخفي ظل يحافظ على عباءة الحورية الرقيقة في حالة قلقلة مستمرة، كاشفا ثديين هائلين برأسين قرمزيين وفخذين ورديَّين طويلين عند كل رفَّة من رفاته. كانت تبتسم ابتسامة عمومية

t.me/ktabpdf مكتبة

بشفتيها المحمَّرتين، ليست ابتسامة عاهرة بالضبط، لكنها، كذلك، لا تشبه بأي حال ابتسامة حورية تذوب عشقًا. توقفت أوديبا في ساحة الانتظار، خرجت من السيارة ووقفت للحظة في الشمس الحامية والهواء الساكن تراقب الإعصار الصناعي بالأعلى وهو يطوِّح النسيج الرقيق في ارتحالات ارتفاع الواحد منها خمسة أقدام. وراحت تتذكر فكرتها عن طاحونة بطيئة، وعن كلمات لم تسمعها.

ستكون الغرفة مقبولة لفترة بقائها. بابها يفتح على ساحة طويلة فيها حمام سباحة، كان سطحه في ذلك اليوم مستويا، متألقا بنور الشمس. وفي الجانب الأبعد كانت تنتصب نافورة، فيها حورية أخرى. لا شيء كان يتحرك، وإذا كان ثمة أناس يسكنون خلف الأبواب الأخرى أو ينظرون عبر النوافذ التي يكمم كل منها جهاز تكييف صاخب، لم تكن لتراهم. المدير، متسرّب من المدرسة اسمه مايلز، ربما كان في السادسة عشر بقصة شعر الـ«بيتلز» وبدلة موهير بزر واحد وبلا ياقات ولا أساور، حمل حقائبها وهو يغني لنفسه، وربما لها:

أغنية مايلز

بدينٌ أنت لا تصلح لرقص الـ«فراج»،

كل مرة تقولين لي ذلك،

لكي تقللي من شأني،

لكنني رجل عصري

لذا أطبقي شفتيك الكبيرتين الغليظتين،

نعم يا حبيبتي،

قد أكون بدينا لا أصلح لرقص الـ«فراج»،

مكتبة t.me/ktabpdf

لكنني على الأقل لست نحيفا لا أصلح لرقص الـ«سويم».[1]

قالت أوديبا: «أغنية جميلة، لكن لماذا تغني بلكنة إنجليزية مع أنك لا تتكلم هكذا؟».

شرح لها مايلز «إنه فريقنا. 'البارانوديون'.[2] نحن فريق جديد. ومديرنا يقول إن علينا أن نغني هكذا. ونحن نشاهد الكثير من الأفلام الإنجليزية، من أجل اللكنة».

حاولت أوديبا أن تكون مفيدة «زوجي 'دي جيه'، محطته طاقتها ألف واط فقط، لكن إذا كان لديكم شريط أو ما شابه يمكنني أن أعطيه إياه لتشغيله».

أغلق مايلز الباب وراءهما وبادرها وهو يقترب منها بعينيه المراوغتين: «في مقابل ماذا؟ هل تريدين ما أظنك تريدينه؟ معك هنا متخصص الرشاوى[3]، تعرفين». التقطت أوديبا أقرب سلاح رأته، تصادف أنه كان هوائي التلفزيون في الزاوية. قال مايلز وهو يتوقف «أوه. أنت أيضا تكرهينني». عيناه لامعتان من وراء خصلات شعره المنسدلة.

قالت أوديبا: «أنت بارانوديين فعلا».

قال مايلز: «أمتلك جسدا شابا أملس. ظننت أنكن أيتها الكتكوتات

---

(1) الـ«فراج» Frug، والـ«سويم» Swim رقصتان قريبتان من الـ«تويست»، شاعتا في الستينيات، الأولى تعتمد على حركة الأرداف، والثانية- كما يبدو من اسمها- مستمدة من حركات السباحة.

(2) البارانوديين The Paranoids: ومعناها المصابون بالبارانويا أو جنون الارتياب. وقد اخترنا كتابتها بهذا الشكل على طول النص لتيسير قراءتها.

(3) الرشاوى: في الأصل Payola: نقود تدفعها شركات الإنتاج الموسيقي بشكل غير قانوني لمشغل الأغاني في المحطة الإذاعية ليقوم بتشغيل أغنية معينة خارج قائمة البرنامج.

الكبيرات تسعين وراء ذلك». غادر بعد أن انتزع منها نصف دولار مقابل حمل حقائبها.

تلك الليلة ظهر المحامي ميتسجر، وتبين أنه بالغ الوسامة، حتى أن أوديبا فكرت للوهلة الأولى أن الـ«هو»، ذلك الكيان العلوي، ينصب لها مقلبا. إنه ممثل ولا بد. وقف ببابها، وخلفه كان حمام السباحة المستطيل يتلألأ بصمت في الضوء الواهن لسماء الليل، وقال: «السيدة ماس»، كأنما بعتاب. كانت عيناه الهائلتان، البرّاقتان، وافرتا الأهداب، تبتسمان لها في خبث؛ نظرت حوله بحثا عن لوحات عاكسة، ميكروفونات، كابلات كاميرات، لكنه كان بمفرده مع زجاجة أنيقة من نبيذ الـ«بوجوليه» الفرنسي، زعم أنه، هذا المجرِم العابث، قد هرَّبها العام الماضي إلى كاليفورنيا من أمام حرس الحدود.

تمتم قائلا: «إذن، بعد أن ظللت أفتش في الموتيلات طوال اليوم بحثا عنك، أستطيع الدخول، أليس كذلك؟».

لم تكن لدى أوديبا خططا لتلك الليلة أكثر من مشاهدة مسلسل «بونانزا» على التلفزيون. كانت قد بدلت ملابسها وارتدت سروالا من الجينز يلتصق بفخذيها وبلوزة سوداء خشنة، وكان شعرها منسدلا بكل حرية. كانت تعرف أن مظهرها جميل. قالت: «ادخل. لكن ليس عندي سوى كوب واحد».

أخبرها ميتسجر الشهم: «أستطيع أن أشرب من الزجاجة». دخل وجلس على الأرض، ببدلته. فتح الزجاجة وصبَّ لها شرابا، وبدأ يتكلم. سرعان ما تبين أن أوديبا لم تجافي الحقيقة، حين ظنت أنه ممثل. فقبل نحو عشرين عاما، كان ميتسجر واحدا من نجوم السينما الأطفال هؤلاء، يؤدي تحت اسم «بيبي إيجور»[1]. صرَّح لها بمرارة: «أمي كانت تصفي

(1) إيجور: هو اسم شخصية نمطية تساعد الأشرار (مثل فرانكنشتاين ودراكيولا) في أفلام الرعب.

دمائي[1]، يا عيني، مثل قطعة لحم في حوض الغسيل، كانت تريدني مستنزَفًا وأبيض. أحيانا أتساءل»، يفرد بيده الشعر عند مؤخرة رأسه «إن كانت قد نجحت. الأمر يرعبني. تعرفين أن الأمهات من هذا النوع يمكن أن يحوّلن أطفالهن إلى ماذا».

«لا يبدو من مظهرك أنك»، شرعت أوديبا تتكلم، ثم راجعت نفسها.

منحها ميتسجر ابتسامة كشفت عن صفين من الأسنان المعوجّة الكبيرة. قال: «المظاهر لم تعد تعني لي شيئا. أنا أعيش داخل مظهري، ولكنني لست متأكدا. هذا الاحتمال لا يفارقني».

تساءلت أوديبا، وقد أدركت عندها أنه مجرد كلام: «وإلى أي حد نجح هذا المسعى معك يا بيبي إيجور؟».

قال ميتسجر: «هل تعرفين؟ إنفيراريتي لم يذكر لي اسمك إلا مرة واحدة».

«هل كنتما مقرَّبَيْن؟».

«لا. لكنني قمت بصياغة وصيته. ألا تريدين معرفة ما قاله؟».

قالت أوديبا: «لا»، وشغلت جهاز التلفزيون. ظهرت على الشاشة صورة طفل غير محدد الجنس، ساقاه العاريتان مضغوطتان معا في ارتباك، وخصلاته المنسدلة إلى كتفيه تتشابك مع الشعر القصير لكلب من فصيلة «سانت برنارد»، بينما كانت أوديبا تشاهد، كان لسانه الطويل قد بدأ يلعق خدَّيْ الطفل الورديَّيْن، جاعلا الطفل يجعِّد أنفه متوسلا: «آو، موراي، هيا، الآن، لقد بللتني كلي».

---

(1) تصفي دمائي: التعبير المستخدم هو Kosher، والذي يعني الطعام الحلال عند اليهود، وكفعل يستخدم لوصف عملية نقع اللحم في الماء وتمليحه، ثم شطفه، من أجل تخليصه من الماء الزائد، لكي يصبح «حلال».

t.me/ktabpdf مكتبة

«هذا أنا، هذا أنا»، صاح ميتسجر وهو يحدق. «يا إلهي!».

سألت أوديبا: «أي واحد؟».

طرقع ميتسجر بإصبعيه: «هذا الفيلم اسمه 'الـمُسرَّح'».

«عنك أنت وأمك؟».

«عن هذا الطفل وأبيه، الذي فُصل من الجيش البريطاني بداعي الجبن، لكنه كان يغطيٍّ على صديق له، تفهمين؟ وليستعيد سمعته يقوم هو والطفل بتتبع فوجه القديم إلى جاليبولي[1]، حيث يبني والده بطريقة ما غواصة قزمة، وكل أسبوع يتسللون عبر مضيق الدردنيل إلى بحر مرمرة، ويقصفون التجار الأتراك، الأب، والابن، وسان برنارد. الكلب يجلس للمراقبة على منظار البيروسكوب، وينبح إذا رأى أي شيء».

كانت أوديبا تصب النبيذ. «أنت تمزح».

«اسمعي، اسمعي، هذا هو الجزء الذي أغنّي فيه». وبالفعل كان الطفل، والكلب، ومعهما صياد يوناني عجوز طروب ظهر من اللامكان بصحبة قانون، يقفون أمام منظر زائف لجزر «دوديكانيز» لتصوير منظر غروب شاطئي، وراح الطفل يغني.

أغنية بيبي إيجور

أمام الألمان والترك لم يسبق ولا مرة أن توانينا،

بابا وكلبي وأنا.

(1) حملة جاليبولي، على شبه الجزيرة التركية التي كانت تحمل الاسم نفسه، كانت محاولة من قوات فرنسية وبريطانية لاحتلال اسطنبول إبان الحرب العالمية الأولى، استمرت بين أبريل 1915، ويناير 1916، قاومت القوات العثمانية، وانتهت الحملة بفشل قوات التحالف وسقوط عشرات الآلاف من القتلى من الجانبين.

t.me/ktabpdf مكتبة

عبر سنوات محفوفة بالمخاطر، مثل الفرسان الثلاثة،

سنظل معا جنبا إلى جنب.

وقريبا سيصوّب منظار غواصتنا إلى القسطنطينية-

إذ إننا ننطلق مجددا إلى البحر وكلنا أمل؛

مرة أخرى نشق الصفوف،

لأجل هؤلاء الصبية على الشاطئ،

فقط بابا، وكلبي وأنا.

ثم جاءت فاصلة موسيقية، يظهر فيها الصياد وآلته، ثم راح ميتسجر الصغير يكررها من الأول يصاحبه، رغم اعتراضات أوديبا، الصوت الأقل حدة لقرينه الأكبر سنا.

إما أن يكون قد اختلق الأمر برمته، فكَّرت أوديبا فجأة، أو أنه رشى المهندس هناك في المحطة المحلية ليشغّل هذا الفيلم، إن كل هذا جزء من مكيدة، مكيدة إغواء متقنة. آه يا ميتسجر.

انتبه قائلا: «لم تغني معي».

ابتسمت أوديبا «لا أعرف الأغنية». ثم جاء إعلان صاخب لـ«فانجوسو لاجونز»[1]، مجمَّع سكني إلى الغرب من هنا.

أبدى ميتسجر ملاحظة «أحد عقارات إنفيراريتي». كان من المقرَّر أن تُربط عن طريق قنوات بمراسي خاصة للقوارب ذات المحركات، وقاعة أنشطة اجتماعية طافية وسط بحيرة صناعية، في قاعها ترقد سفن غليون مستوردة من جزر ألباهاما؛ أجزاء من أعمدة أطلنطية وأفاريز من جزر الكناري؛ هياكل

(1) فانجوسو لاجونز Fangoso Lagoons: فانجوسو بالإيطالية تعني «موحلة»، وهكذا يصبح الاسم «البحيرات الموحلة».

مكتبة t.me/ktabpdf

عظمية بشرية حقيقية من إيطاليا؛ أصداف محار عملاقة من إندونيسيا- جميعها من أجل إمتاع عشاق الغوص. ومَضَتْ خريطة للمكان على الشاشة، أطلقت أوديبا تنهيدة حادة، ونظر إليها ميتسجر ظانًّا أنها موجهة إليه. لكنها فقط كانت قد تذكرت نظرتها من فوق التل ظهيرة ذلك اليوم. راودها ذلك الحدس من جديد، ذلك الوعد بتجلٍّ من نوع ما: لوحة إلكترونية، شوارع منحنية بلطف، مدخل خاص إلى المياه، «كتاب الموتى»...

قبل أن تتهيأ لذلك، عاد «الـمُسرَّح». كانت الغواصة الصغيرة، المسماة «جوستين» على اسم الأم الراحلة، عند المرسى، يشرعون في فك حبالها[1]. كان ثمة حشد صغير يودّعها، من بينهم كان الصياد العجوز، وابنته، حورية صغيرة طويلة الساقين، ملفوفة الشعر، كانت تصلح، إذا اختار المخرج نهاية سعيدة، لأن تنتهي مع ميتسجر؛ ممرضة في إرسالية انجليزية بقدٍّ لطيف، يمكنها أن تنتهي مع والد ميتسجر، بل وأنثى من فصيلة «كلب الراعي» تضع عينيها على موراي، الكلب الـ«سانت برنارد».

قال ميتسجر: «أوه، نعم، هذا هو الجزء الذي نواجه فيه مشكلة في المضيق. مضيق ابن كلب، ليس فقط بسبب حقول ألغام 'كيبيز'، لكن أيضا لأن جيري[2] كان قد علّق مؤخَّرا هذه الشبكة. شبكة عملاقة، مغزولة من كابلات بسُمك بوصتين ونصف».

أعادت أوديبا ملء كوب النبيذ. كانا راقدين الآن، يحدّقان في الشاشة، خاصراتهما متلامستان بخفة فحسب. وانبعث من جهاز التلفزيون انفجار مرعب. «ألغام!»، صاح ميتسجر، وهو يغطي رأسه وينقلب بعيدا

---

(1) فك حبالها: في الأصل يشرعون في إفراد أربطتها، أي يفكون الحبال المزدوجة ويكتفون بالمفردة.

(2) جيري Jerry: اسم كان يطلقه الانجليز على أي جندي ألماني.

t.me/ktabpdf
مكتبة

عنها. «بابا»، انتحب ميتسجر التلفزيون، «أنا خائف!». كان المكان داخل الغواصة القزمة يعج بالفوضى، الكلب يركض هنا وهناك ناثرا لعابه الذي يختلط بالرذاذ المندفع من تسرب في الجدار العازل، الذي كان الأب الآن يحاول سده بقميصه. أعلن الأب «هناك شيء واحد يمكننا فعله، أن نغوص إلى الأعماق، وأن نحاول المرور أسفل الشبكة».

قال ميتسجر: «هذا سخف. لقد أنشأوا بوابة فيها، حتى تستطيع قوارب الأعماق الألمانية أن تمر منها لمهاجمة الأسطول البريطاني. كل غواصاتنا من الفئة E كانت تستخدم هذه البوابة ببساطة».

«كيف تعرف ذلك».

«ألم أكن هناك؟».

«ولكن»، شرعت أوديبا، ثم أدركت أن النبيذ قد نفد فجأة.

«أها»، قال ميتسجر، وهو يخرج من جيب داخلي في معطفه زجاجة تكيلا.

«ألا يوجد ليمون؟»، سألته، بمرح سينمائي. «ولا ملح؟».

«هذه أشياء السواح. هل كان إنفيراريتي يستخدم الليمون عندما كنتما هناك؟».

«كيف عرفت أننا كنا هناك؟». راقبته وهو يملأ كوبها، وغيظها منه يزداد مع ارتفاع مستوى الشراب.

«لقد سجّل الرحلة في ذلك العام بوصفها مصروفات أعمال. كنت أسوّي مسألة الضرائب له».

ردت أوديبا بامتعاض: «علاقة مالية. أنت وبيري ماسون، اثنان من النوع نفسه، هذا كل ما تفهمون فيه، يا عبَدة الأموال».

أوضح لها ميتسجر: «لكن جمالنا يكمن في هذه القدرة الكبيرة على

مكتبة t.me/ktabpdf

الالتفاف. المحامي، أمام أي هيئة محلفين يصبح ممثلا، صح؟ 'ريموند بر[1]' ممثل، يشخِّص محاميا، يصبح ممثلا أمام هيئة المحلفين. أما أنا، فممثل سابق أصبَح محاميا. الحقيقة أنهم سجلوا الحلقة التجريبية لمسلسل تلفزيون يستمد أحداثه من مساري المهني، من بطولة صديقي 'ماني دي بريسو'، الذي كان محاميا واستقال من مؤسسته ليصبح ممثلا. الذي يلعب في هذه الحلقة التجريبية دوري أنا، ممثل يصبح محاميا يرتد على فترات لممارسة التمثيل. الحلقة في قبو مكيَّف الهواء في واحد من ستوديوهات هوليوود، وهكذا لا يمكن للإضاءة الطبيعية أن تعطّل التصوير، إذ يمكن الإعادة إلى ما لا نهاية».

«أنت في ورطة»، قالتها له أوديبا، وهي تحدق في التلفزيون، شاعرة بفخذه، دافئا من وراء بدلته وسروالها. الآن:

«الأتراك هناك بعيدا بأضواء كاشفة»، قالها وهو يصب المزيد من التكيلا، ويراقب الغواصة الصغيرة وهي تمتلئ بالمياه. «وقوارب دورية، وبنادق آلية. هل تريدين المراهنة على ما سيحدث؟».

قالت أوديبا «بالطبع لا، الفيلم صُنع بالفعل». اكتفى برد الابتسامة. «واحدة من إعاداتك التي لا نهاية لها».

قال ميتسجر: «لكنكِ ما زلتِ لا تعرفين. فأنت لم تشاهديه». الآن، في الفاصل الإعلاني، جأر إعلان يصم الآذان عن سجائر «بيكونسفيلد»، التي تكمن جاذبيتها في فلترها المصنوع من فحم العظام، من أفضل نوع.

«عظام ماذا؟»، تساءلت أوديبا.

«إنفيراريتي كان يعرف. كان يمتلك 51٪ من عملية تصنيع الفلتر».

«أخبرني».

---

(1) ريموند بر: ممثل أمريكي كندي.

مكتبة t.me/ktabpdf

«يوما ما. الآن هي فرصتك الأخيرة لوضع رهانك. هل سينجون أم لا؟».

شعرت بأنها ثملة. وخطر لها، من دون سبب، أن هذا الثلاثي المقدام ربما لا ينجو في نهاية الأمر. لم تكن ثمة طريقة لمعرفة متى سينتهي الفيلم. نظرت إلى ساعتها، لكنها كانت قد توقفت. قالت «هذا عبث، بالطبع سوف ينجون».

«وكيف تعرفين؟».

«كل هذه الأفلام تنتهي نهاية سعيدة».

«كلها؟».

«معظمها».

«هذا يقلل الاحتمالية»، قالها لها، معجبا بنفسه.

ضيقت عينيها وهي تنظر إليه من وراء نظارتها. «إذن، اعطني احتمالات».

«الاحتمالات ستكشف الأمر».

«إذن»، صرخت، ربما بقدر من الاضطراب «أراهن بزجاجة من شيء ما. تكيلا، طيب؟ أنك لم تتمكن من النجاة». وكانت تشعر أنها خُدعت لتنطق بهذه الكلمات.

«أنني لن أتمكن من النجاة». فكر قليلا، ثم قرر: «زجاجة أخرى الليلة ستجعلك تنامين. لا».

«على ماذا تريد المراهنة إذن؟». كانت تعرف. نظر كل منهما في عيني الآخر بعناد لبرهة بدت وأنها خمس دقائق. سمعت الإعلانات تطارد بعضها بعضا دخولا وخروجا من سماعة التلفزيون. ازداد غضبها أكثر فأكثر، ربما منتشية، ربما فقط تنتظر عودة الفيلم بفارغ الصبر.

t.me/ktabpdf مكتبة

«طيب إذن»، استسلمت في النهاية، محاولة استخدام نبرة صوت رقيقة «أراهنك. على ما تريد. أنك لن تنجو. أنكم جميعا سوف تتحوّلون إلى جيَفٍ تتغذى عليها الأسماك في قاع الدردنيل، أبوك، وكلبك، وأنت».

«ليكن اتفاقًا»، قالها ميتسجر بنبرة متفاصحة، وهو يمسك بيدها وكأنه يريد مصافحتها لإبرام الرهان لكنه بدلا من ذلك قبّل كفها، مرسلا طرف لسانه الجاف ليرعى برهة بين أخاديد الأقدار، حزوز هويتها الراسخة المملّحة. تساءلت لحظتها إن كان ذلك يحدث بحق تماما كما حدث، لنقل، في لقائها الأول في الفراش مع بيرس، الرجل الميت. لكن الفيلم سرعان ما عاد.

كان الأب متكبكبا على نفسه في حفرة نجمت عن قذيفة على الجروف شديدة الانحدار عند رأس جسر «أنزاك»، والشظايا التركية تتطاير في كل أرجاء المكان. لم يكن ثمة أثر لا لبيبي إيجور ولا لموراي الكلب. قالت أوديبا «ما هذا بحق الجحيم؟».

قال ميتسجر «رباه! لا بد أنهم خلطوا ترتيب البكرات».

«هل هذا قبل أم بعد»، سألته، وهي تمد يدها إلى زجاجة التكيلا، وهي الحركة التي وضعت ثديها الأيمن في مجال أنف ميتسجر. ميتسجر الذي لا يستطيع كبح هزله حوَلَ بعينيه قبل أن يجيب: «هذا ينبئ بالكثير».

«كف عن ذلك». لكزت أنفه بالقمة المبطنة لكأس حمالة صدرها وصبَّت الشراب. «وإلا توقف الرهان».

قال ميتسجر: «لا».

«على الأقل أخبرني إن كان هؤلاء الناس هم فوجه القديم».

قال ميتسجر «تفضلي، اسألي أسئلة. لكن مقابل كل إجابة، سيكون

مكتبة t.me/ktabpdf

عليك أن تخلعي شيئا. أنا أسمّي هذه اللعبة لعبة 'عروستي- ستربتيز'»[1].

راودت أوديبا فكرة رائعة. قالت له «طيب، لكن أولا سأذهب إلى الحمام لثانية واحدة. أغمض عينيك، واستدر، ولا تختلس النظر». على الشاشة كانت «نهر كلايد»، ناقلة فحم على متنها ألفَيْ رجل، ترسو في «سد البحر» في صمت رهيب. «هاكم هو يا رجال»، همس صوت ذو لكنة بريطانية زائفة. فجأة فتحت مجموعةٌ من البنادق التركية على الشاطئ النار في وقت واحد، وبدأت المذبحة.

قال لها ميتسجر، وهو يغمض عينيه بقوة، ويدير رأسه عن الجهاز: «أعرف هذا الجزء. فقد تلوَّنَت خمسين ياردة من البحر بلون الدم. إنهم لا يعرضون ذلك». انسلّت أوديبا إلى الحمام، الذي تصادف وأن كان فيه أيضا مقصورة ملابس، وخلعت ملابسها في سرعة ثم بدأت ترتدي قدر استطاعتها من الملابس التي كانت قد جلبتها معها: ستة سراويل داخلية متنوعة الألوان، مشد للخصر، ثلاثة جوارب نايلون، ثلاثة مشدات صدر، سروالان يلتصقان بالأفخاذ، أربع جونلات داخلية قصيرة، ثوب ضيق أسود اللون، فستانان صيفيان، نصف دستة من الجونلات الواسعة من أسفل، ثلاث كنزات، وبلوزتان، ومئزر مبطَّن، ورداء فضاض بلون لبنيّ فاتح، وثوب «مو- مو» من نسيج الـ«أوريون»[2]، ثم الأساور، ودبابيس الزينة، والأقراط، وقلادة. بدا لها أنها استغرقت ساعات في ارتدائها وعندما انتهت كانت بالكاد تستطيع المشي. ثم ارتكبت خطأ النظر إلى نفسها في مرآة الحجم الطبيعي، فرأت كرة شاطئ ذات قدمَين، وضحكت بعنف حتى أنها انقلبت، مسقطة في طريقها عبوة من

---

(1) عروستي: في الأصل Botticell، لعبة يتعرف فيها اللاعب على شخص ما من خلال توجيه أسئلة إلى اللاعب الآخر.

(2) ثوب مو- مو: ثوب واسع بألوان زاهية مثل الزي التقليدي في هاواي، والأوريون: نسيج صناعي من الأكليريك.

رشاش الشعر كانت موضوعة على الحوض. ارتطمت العبوة بالأرض، وانكسر شيء ما، وبفورة هائلة من الضغط بدأت المادة تبخ، دافعة العبوة بقوة في أرجاء الحمام. اندفع ميتسجر ليرى أوديبا وهي تتقلب حول نفسها، تحاول معاودة الوقوف على قدميها، وسط وَبَالَة لزجة تفوح بعطانة الورنيش. «أوه، يا ربي!»، قالها بصوت ببيي إيجور. نطّت العبوة، وهي تهسُّ على نحو خبيث، على المرحاض ومرت مطلقة أزيزها بجوار أذن ميتسجر اليمنى، مخطئة إياه ربما برُبع بوصة. انبطح ميتسجر أرضا وتكبكب مع أوديبا فيما استمرت العبوة في ارتدادها من سطح إلى آخر مثل كرة بلياردو؛ ومن الغرفة الأخرى انبعث كريشندو عميق بطيء لقصف البحرية، البنادق الآلية، مدافع الهاوتزر، والأسلحة الخفيفة، صرخات وصلوات مبتورة لجنود مشاة يحتضرون. رَنَت من تحت جفونه، إلى نور السقف المحدِّق، وقد انقطع مجال رؤيتها عرْضيا باندفاعات العبوة الخاطفة فوقها، والتي بدا أن ما تحتويه من ضغط لن ينفد. كانت خائفة لكنها لم تكن متّزنة بأية حال. كانت العبوة تعرف طريقها، هكذا أحست، أو أن شيئا سريعا جدا، الرب أو آلة رقمية، ربما قد حسب بالكمبيوتر مقدما الشبكة المعقدة لمسارات رحلتها؛ لكن هي لم تكن سريعة بما يكفي، ولم تكن تعرف إلا أن العبوة قد تضربهما في أية لحظة، في أي من زفزفاتها، بسرعة مائة ميل في الساعة. «ميتسجر»، قالتها بأنين، وغرست أسنانها في عضده، عبر الـ«شارك سكين». كان كل شيء يفوح برائحة رشاش الشعر. اصطدمت العبوة بمرآة ونطّت بعيدا، مخلفة شبكة من الزجاج المشبَّر عالقا لثانية قبل أن يسقط بقعقعة في الحوض؛ ثم انقضت على كابينة الاستحمام المغلقة، حيث ارتطمت بلوح من الزجاج المصنفر؛ ومن ثم بالحوائط الثلاثة المبلطة، ثم عاليا إلى السقف، بجوار المصباح، فوق الجسدَين الساجدَين، وسط وشيشها وأزيزها نفسها، والمعمعة المشوشة من جهاز التلفزيون. لم تكن تتخيل نهاية لذلك؛ لكن في تلك اللحظة استسلمت العبوة بالفعل في منتصف

t.me/ktabpdf مكتبة

إحدى رحلاتها وسقطت على الأرض، على بعد قدم من أنف أوديبا. وظلت راقدة تراقبها.

«واه! واه!»، قالها أحدهم. نزعت أوديبا أسنانها من لحم ميتسجر، نظرت حولها ورأت في فتحة الباب مايلز، الصبي صاحب خصلات الشعر المنسدلة والبدلة الموهير، وقد تضاعف إلى أربعة. بدا وأن ذلك هو الفريق الذي خبَّرها به، البارانوديون. لم تستطع أن تفرق بينهم، كان ثلاثة منهم يحملون جيتارات كهربية، وكانوا جميعا بأفواه مفتوحة. كذلك ظهر عدد من وجوه الفتيات، تُحدق من وراء الآباط ومن حول زوايا الرُّكَب. قالت واحدة من الفتيات «ممارسة ملتوية!».

وأرادت أخرى أن تعرف: «هل أنتما من لندن؟ هل تفعلون ذلك في لندن عادة؟». كان رشاش الشعر معلقا مثل الضباب، والزجاج يتلألأ على كل أرجاء الأرضية.

«رهيب!»[1]، لخّص صبي يمسك بمفتاح «ماستر»، وقررت أوديبا أنه مايلز. وبناء على رغبة الجمهور، شرع يحكي عن حفل جنس جماعي على الشاطئ كان قد ذهب إليه الأسبوع الماضي، كان يتضمن صفيحة سعة خمس جالونات من شحم الكُلى، وسيارة صغيرة ذات شبّاك في سقفها، وفقمة مدرَّبة.

قالت أوديبا، وكانت قد نجحت في أن تنقلب على ظهرها: «أنا متأكدة أن موقفنا لا يُعد شيئا أمام ما تحكي عنه، فلماذا لا تكتفون جميعًا

---

(1) تجدر هنا الإشارة إلى حرص الفتيات، شأنهن شأن الفريق الذي يشجعنه، على استخدام المفردات الإنجليزية، بدلا من الأمريكية، في حديثهن. كلمة «واه! واه!» في الأصل Coo وBlimey. وكلمة «رهيب» في الأصل Lord love a duck، وهي تورية تحيل إلى كلمة على القافية نفسها، وبالطبع فإن الكلمة هي Fuck. والغرض منها جميعا التعجب.

t.me/ktabpdf مكتبة

بالخروج. والغناء. هذه الأمور تحتاج إلى موسيقى رومانسية. فلتتحفونا بمقطوعة».

دعاهما أحد البارانوديين الآخرين في خجل: «ربما لاحقا تحبون الانضمام إلينا في المسبح».

غمزَت أوديبا المرحة بعينها: «هذا يتوقف على مدى الحرارة التي أشعر بها وأنا داخل هذا، يا رفاق». خرج الصبية في طابور، بعدما وضعوا كابلات التوصيل في كل مقابس الكهرباء المتاحة في الغرفة وأخرجوها في حزمة واحدة من النافذة.

ساعدها ميتسجر على الوقوف مترنّحة على قدميها. «من يريد أن يلعب عروستي-ستربتيز؟». في الغرفة كان التلفزيون يصدح بإعلان عن حمام تركي في وسط مدينة سان نارسيسكو، أينما كان وسط البلد ذاك، اسمه «حريم هوجان». قال ميتسجر «إنفيراريتي كان يمتلك هذا أيضا. هل كنت تعرفين؟».

صرخت أوديبا: «سادي! قلها مرة أخرى وسأخبطك بالتلفزيون على رأسك».

ابتسم: «أنت غاضبة فعلا».

لم تكن غاضبة في الحقيقة. قالت: «وما الذي لم يكن يملكه بحق الجحيم؟».

رفع ميتسجر حاجبا. «أخبريني أنت».

حتى إذا قررت أن تخبره، لما سنحت لها الفرصة، إذ في الخارج، كان البارانوديون قد انطلقوا في الغناء، بصبحة طوفان مرتعد من أنغام الجيتار الغليظة. كان عازف الـ«درامز» قد اتخذ مكانه متقلقلا على لوح الغطس، وكان الآخرون خارج مجال الرؤية. تقدم ميتسجر من خلفها وفي ذهنه

مكتبة t.me/ktabpdf

أن يمسك ثدييها بيديه، لكنه لم يستطع العثور عليهما بسبب كل تلك الملابس. وقفا عند النافذة وسمعا البارانوديين يغنون.

مقطوعة

راقد أتطلع إلى القمر

على البحر الوحيد،

أشاهده يشدُّ المدَّ الوحيد،

مثل لحاف من فوقي،

القمر الساكن بلا وجه

يملأ الشاطئ الليلة

والنهار ليس إلا شبحا،

كل الظِلال رمادية، وسنا القمر أبيض.

وأنت ترقدين الليلة وحيدة،

وحيدة مثلي؛

فتاة وحيدة في شقتك الوحيدة، هكذا أنتِ.

فاكتمي صيحتك الوحدانية.

كيف آجيء إليك؟ أطفئ القمر، أعيد المد إلى مكانه؟

لقد صارت الليلة رمادية جدا، وسأضِلّ الطريق، والعالم مظلم في الداخل.

لا، لا بد أن أرقد وحيدا،

حتى يطلع النهار؛

حتى يأخذ السماء، والرمال، والقمر، والبحر الوحيد.

والبحر الوحيد... إلخ.

[تخبو الأغنية حتى الصمت]

«والآن؟»، قالتها أوديبا وهي ترتعش مبتهجة.

ذكَّرها ميتسجر: «السؤال الأول». من جهاز التلفزيون كان سانت برنارد ينبح. نظرت أوديبا ورأت بيبي إيجور، المتخفي في زي غلام تركي متسول، ينسلُّ مع كلبه في مكان افترضت أنه القسطنطينة.

قالت آملة: «أهي بَكَرةٌ أخرى من البدايات؟».

قال ميتسجر: «لا أستطيع أن أسمح بهذا السؤال». على عتبة الباب، كان البارانوديون، كما نترك اللبن لاسترضاء الجني[1]، قد تركوا خُمس زجاجة جاك دانيلز.

«يا ربي»، قالتها أوديبا. ثم صبّت شرابا وسألت: «هل وصل بيبي إيجور إلى القسطنطينية في الغواصة الطيبة جوستين؟»

قال ميتسجر: «لا». خلعت أوديبا فردة من قرطها.

«هل وصل إلى هناك في، ما اسمها، غواصة من الفئة E؟».

قال ميتسجر: «لا». خلعت أوديبا فردة أخرى.

«هل وصل إلى هناك بالبر، ربما عبر آسيا الصغرى؟».

قال ميتسجر: «ربما». خلعت أوديبا فردة أخرى.

قال ميتسجر: «قرط آخر؟».

«إذا أجبت عن سؤالك، هل تخلع شيئا؟».

---

(1) الجني: في الأصل leperchaun، جني الأساطير الأيرلندية الذي يصور عادة كرجل ذي لحية وقبعة ومعطف، يرتكب شقاواته وأفعاله الخبيثة، وإذا حرره إنسان من الأسر يحقق له ثلاث أمنيات.

مكتبة t.me/ktabpdf

«سأفعلها من دون إجابة»، صاح ميتسجر، وهو يتجرّد من معطفه. أعادت أوديبا ملء كوبها، وتناول ميتسجر جرعة أخرى من الزجاجة. بعدها جلست أوديبا لخمس دقائق تشاهد التلفزيون، ناسية أنها من المفترض أن تطرح أسئلة. خلع ميتسجر بنطاله، بجدية. وبدا أن الأب الآن يقف أمام محكمة عسكرية.

قالت: «إذن، هي بَكرة من البدايات. هذه هي اللحظة التي يُسرَّح فيها. ها ها».

قال ميتسجر: «ربما كانت 'فلاش باك'. أو ربما حوكم مرتين». خلعت أوديبا أسورة. وعلى هذا المنوال سارت الأمور: تتابُع أجزاء الفيلم على التلفزيون، وخلعُ الملابس قطعة بعد أخرى، الذي بدا وأنه لا يقرِّبها من العري، ومن الشراب، والحفلة الصاخبة، والأصوات والجيتارات في الخارج على المسبح. وبين وقت وآخر يُعرض إعلان، وفي كل مرة يقول ميتسجر «مملوك لإنفيراريتي»، أو «لديه حصة كبيرة من الأسهم»، ولاحقا اكتفى بهز رأسه والابتسام. وأوديبا ترد بأن تقطب جبينها بعبوس، فيما بدأ صداع يتفتح كزهرة خلف عينيها بينما تزداد يقينا أكثر فأكثر، أنهما من بين كل توافيق العشاق الجدد قد وجدا طريقة لجعل الزمن نفسه يتباطأ. بدأ وضوح الأشياء يتراجع أكثر فأكثر. عند نقطة معينة دخلت الحمام، حاولت أن تجد صورتها في المرآة فلم تستطع. راودتها لحظة تقترب من الرعب الصافي. ثم تذكرت أن المرآة قد تهشمت وسقطت في المغسلة. قالت بصوت عال: «سبع سنوات من الحظ السيء. سأكون في الخامسة والثلاثين». أغلقت الباب وراءها واستغلت الفرصة لكي تتخبط، في شرود تام، داخل سروال داخلي آخر وجونلة، إضافة إلى مشد للخصر بساقين طويلتين وجوربين بطول الركبة. صدمتها فكرة أن ميتسجر سوف يختفي إن حدث وطلعت الشمس. لم تكن واثقة أنها تريده. عادت إلى الغرفة لتجد ميتسجر لا يرتدي إلا «بوكسرًا» داخليا

وغارقا في النوم وقد انتصب ذَكَره، ورأسه تحت الكنبة. لاحظت أيضا كرشًا كانت البدلة قد أخفته. على الشاشة كان النيوزيلانديون والأتراك يخوزقون بعضهم بعضها بالحراب. أطلقت أوديبا صيحة وهي تندفع ناحيته، ثم وقعت عليه، وراحت تقبله لكي يستيقظ. انفتحت عيناه المشعتان، واخترقتاها، فشعرت بوخزة في مكان غامض بين ثدييها. غاصت إلى جواره وهي تطلق تنهيدة هائلة أفرغت كل التيبس من داخلها كسائل أسطوري؛ بوهن شديد، حتى أنها عجزت عن مساعدته على تعريتها، استغرق الأمر منه عشرين دقيقة، من التقلب، دافعا إياها على هذا الجنب وذاك الجنب، وكأنه، فكَّرت، فتاة صغيرة ذات وجه جامد، وشعر قصير، ومقاييس مكبرة، تعابث دمية «باربي». ربما راحت في النوم مرة أو مرتين. واستيقظت أخيرا لتجد نفسها تطارحه الغرام؛ عادت إلى وعيها والكريشندو الجنسي في وسطه، مثل دخول في مشهد سينمائي بينما الكاميرات في أوج حركتها. بالخارج كانت «فوجة»[1] من الجيتارات قد بدأت، وراحت تعد كل صوت إلكتروني وهو ينبعث، حتى وصلت إلى ستة أو نحو ذلك في حين أنها لم تتذكر سوى ثلاثة فقط من لاعبي الجيتار البارانوديين؛ لذا لا بد وأن آخرين قد أوصلوا آلاتهم بالكهرباء وانضموا إليهم.

وكان هذا ما حدث فعلا. إذ تواكبت ذروتها وميتسجر، عندما جاءت، مع الانقطاع المفاجئ لكل أنوار المكان، بما في ذلك التلفزيون، وموات، وظلام دامس. كانت تجربة غريبة. كان البارانوديون قد فرقعوا أحد الـ«فيوزات». وعندما عاد النور ثانية، ورقدت هي وميتسجر متشابكين وسط الملابس المتناثرة والـ«بوربون» المنسكب في كل أرجاء الغرفة، ظهر على التلفزيون الأب، والكلب، وبيبي إيجور عالقين داخل

(1) الفوجة fugue: قالب موسيقي حواري من جملة موسيقية وجوابها تتكرران بأشكال مختلفة.

مكتبة t.me/ktabpdf

«جوستين» المظلمة، بينما راح مستوى المياه يرتفع بعناد. كان الكلب هو أول من غرق، وسط حشد هائل من الفقاقيع. اقتربت الكاميرا نحو لقطة مكبرة لبيبي إيجور وهو يصرخ، وإحدى يديه على لوحة التحكم. لحظتها حدث «ماس» كهربائي، واخترق التيار الصاعق بيبي إيجور، دافعا إياه إلى الخلف والأمام وهو يصرخ على نحو مرعب. وعبر واحدة من التشويهات الهوليودية لقانون الاحتمالات، نجا الأب من الصعق الكهربائي لكي يستطيع إلقاء خطبة وداع، معتذرا لبيبي إيجور والكلب على إقحامهما في الأمر وآسفا على كونهم لن يلتقوا في الجنة: «لقد وقعت عيناك الصغيرتان على أبيك لآخر مرة. فأنت مكتوب لك الخلاص، أما أنا ففي هاوية جهنم». في النهاية ملأت الشاشة عيناه المعذَّبتان، وعلا صوت الماء المتدفق يصم الآذان، وتعالت موسيقى هذا الفيلم الثلاثيناتي الغريب بصحبة عدد هائل من آلات الساكس، وأظلمت الشاشة على الشعار: «النهاية».

كانت أوديبا قد قفزت على قدميها وركضت إلى آخر الغرفة لكي تستدير وتحدق في ميتسجر. ثم صرخت: «لم ينجوا! يا ابن الحرام، لقد فزتُ».

ابتسم ميتسجر: «لقد فزتِ بي».

سألته في النهاية: «ماذا حكى لك إنفيراريتي عني؟».

«أنك لن تكوني سهلة».

بدأت تبكي.

قال ميتسجر: «عودي. هيا».

بعد برهة قالت: «سأعود». وعادت.

t.me/ktabpdf مكتبة

3

بعد ذلك لم تتأخر الأحداث عن اتخاذ مسارات غريبة. إن كان أحد أهداف اكتشافها لما ستسميه لاحقا «منظومة تريسترو» أو، في أغلب الأحيان، «التريسترو» Trystero فحسب (وكأنه لقب سري لشيء ما ربما) هو وضع حدٍ لعزلتها في برجها، لكانت خيانة تلك الليلة مع ميتسجر هي نقطة البداية المنطقية لذلك الشيء؛ المنطقية. هذا، ربما، هو ما سيشغل بالها أكثر من أي شيء فلا يفارقه: كيف انسجمت الأمور، منطقيا، معًا. وكأن ثمة تجلٍ يتبدّى تدريجًا في كل مكان حولها.

قدر كبير من هذا التجلي سوف يأتي عبر مجموعة الطوابع التي تركها بيرس، تلك الطوابع التي كان يتخذها بديلًا لها غالبا- آلاف من الشبابيك الصغيرة الملونة التي تطل على آفاق عميقة في المكان والزمان: أعشاب سافانا تغص بالظباء والغزلان، سفن غليون[1] تبحر غربًا في الفراغ، رؤوس هتلر، لحظات غروب، أرز لبنان، وجوه مجازية لا وجود لأصحابها، كان بوسعه أن يقضي الساعات يحدّق في كل منها، متجاهلا إياها. لم يسبق لها أن رأت افتتانا كهذا. وفكرة أنها الآن سوف تُجرد وتُثمَّن لم تكن سوى صداع آخر. لا شك أنها ربما كانت تحمل رسالة

(1) سفن غليون galleon: سفن شراعية حربية شاع استخدامها في الأساطيل الأوروبية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

t.me/ktabpdf مكتبة

لها. لكن طالما أن لا شيئا نجح في التمهيد لذلك ولا شَحْذ حواسها، لا الغواية الغريبة التي تعرضت لها أولا، ولا ما تلا ذلك من أشياء، مرتجَلة غالبا، فماذا تستطيع الطوابع البكماء أن تخبرها، تلك الطوابع التي تقبع هكذا وكأنها غريمات لها، خدعهن الموت كما خدعها، على وشك أن تقسَّم إلى مجموعات، وتنتقل إلى أي عدد من السادة الجدد؟

لكنه مضى قُدُمًا على نحو خطير، هذا الشحذ للحواس، سواء مع خطاب موتشو أو تلك الأمسية التي جنحت فيها هي وميتسجر إلى بار غريب اسمه «ذا سكوب». حين تسترجع تنسى أيهما حدث أولا. لم يكن الخطاب نفسه يقول الكثير، إذ جاء ردًا على إحدى رسائلها، المشتتة بعض الشيء، التي ترسلها إليه بدافع الواجب، مرتين في الأسبوع، والتي لم تعترف فيها بالمشهد الذي جمعها مع ميتسجر لأنها شعرت أن موتشو، بشكل ما، سوف يعرف. وبعدها سوف يتوجه إلى إحدى حفلات التسجيلات[1] التي تنظمها KCUF في صالة للألعاب الرياضية لكي يستعرض مجددا صالة الرقص المتلألئة، وهناك داخل دوائر الرمية الحرة المرسومة للعب كرة السلة يراها تضرب بذراعيها إلى الخلف بتشوُّش وكأنها في سِباحة ظَهر رأسية أمام أي صبي. حين ترتدي حذاءها قد تبدو ربما أطول بمقدار بوصة من نظيراتها من بنات السابعة عشر، فتاة اسمها شارون أو ليندا أو ميتشل، ومعروف عنها أنها «عصرية جدا»، تلتقي عيناها ذواتا الأهداب المخملية أخيرا، ووفقا للاحتمالات الإحصائية،

---

(1) حفلات التسجيلات record hops: حفلات شبابية راقصة، اشتهرت بين طلاب المرحلة الثانوية، كانت تنظم تحت رعاية رعاة في منتصف القرن، وكانت تسمى أيضا «رقصة الجوارب» Sox hop، حيث كان يطلب من الراقصين خلع أحذيتهم حتى لا تُفسد أرضية صالة الألعاب الرياضية «الجيم» التي تنظم فيها الحفلة عادة، قبل انتشار الأحذية الرياضية.

مكتبة

t.me/ktabpdf

بعيني موتشو، وتتجاوب معه، ومن ثم يتطور هذا الشيء على نحو رائع بقدر الإمكان عندما تكتشف بحق أنك لا تستطيع إخراج فكرة اغتصاب قاصر، وهو المصطلح التشريعي، من مؤخرة رأسك الملتزمة بالقانون. كانت تعرف هذا المنوال لأنه سبق وأن حدث بضع مرات بالفعل، وإن كانت أوديبا قد تعاملت مع الأمر بكياسة، فلم تأتِ على ذكر الموضوع إلا مرة واحدة، في الواقع، في الثالثة صباحا مرة أخرى وفي ضوء سماء الفجر الداكنة، حيث سألته إن لم يكن قلقا من قانون العقوبات. «بالطبع»، قالها موتشو بعد برهة، هذا كان كل شيء؛ لكن في نبرة صوته ظنت أنها سمعت أكثر من ذلك، شيئا بين الضيق والألم. تساءلت عندها إن كان القلق يؤثر في أدائه. فلأنها هي نفسها كانت في السابعة عشر ذات يوم ومستعدة للضحك على أي شيء تقريبا، وجدت نفسها وقد اجتاحتها، لنسميها «رقّة» لم تصل إلى منتهاها من قبل، خوفا من أن تعلق فيها. وقد أمسكتها تلك الرقة عن طرح أي أسئلة أخرى عليه. وشأن كل صعوبات التواصل فيما بينهما، كان وراء تلك بدورها دافع يتعلق بالفضيلة.

ربما كان حدس أوديبا بأن ذلك الخطاب سيكون خاليا من الأخبار هو ما جعلها تلقي نظرة أكثر تمعّنا على المظروف الخارجي، عندما وصلها. في البداية لم تلحظ شيئا. كان مظروفا «موتشوكيًّا» عاديا، مختلَسا من المحطة، وطابع بريد جوّيًا عاديا، وإلى يسار الختم عبارة وضعتها الحكومة: «أبلغ مدير القدور في منطقتك عن أي بريد مخل بالآداب»[1]. بفتور، بدأت تمر بعينيها مرة أخرى على خطاب موتشو بعد قراءته لترى إن كانت هناك أية كلمات قذرة. ثم خطر ببالها: «ميتسجر، ما معنى مدير القدور؟».

---

(1) مدير القدور: Potsmaster، وارتباك أوديبا يأتي مما يبدو خطأ طباعيا، فالمفروض أن يكتب Postmaster بمعنى مدير البريد.

رد ميتسجر من الحمّام بنبرة الخبير: «هو ذلك الرجل في غرفة غسيل الأطباق، المسؤول عن كل الشغل الثقيل: حلل الضغط المستخدمة في التعليب، حاويات تقديم الطعام، القدور الهولندية[1]...».

رمته بحمّالة صدر وقالت: «المفترض أن أبلغ مدير القدور في منطقتي عن أي بريد مخل بالآداب».

قال ميتسجر «إذن هو خطأ مطبعي، اتركيهم. أمر بسيط ولن يدمّر العالم، تعرفين؟».

ربما في تلك الأمسية نفسها اكتشفوا بالمصادفة «ذا سكوب»، وهو بار على الطريق إلى لوس أنجليس، بالقرب من مصنع يويوداين. بين حين وآخر، كما حدث ذلك المساء، يتحول «ساحات الصدى» إلى مكان مستحيل، سواء بسبب ركود المسبح والنوافذ الجوفاء التي تطل عليه، أو بسبب انتشار متلصّصين مراهقين، صُنعت لهم جميعا نسخ من «مفتاح المرور» الخاص بمايلز حتى يتمكنوا من إلقاء نظرة على أية نزوة أو أية ممارسة جنسية غريبة. وقد ازداد هذا الأمر فداحة، حتى أن أوديبا وميتسجر أصبحا يسحبان المرتبة إلى داخل مقصورة الملابس، ومن ثم يجر ميتسجر خزانة الأدراج ليسد بها الباب، ثم يُخرج الدرج السفلي ويضعه أعلى الخزانة، ويُدخل قدميه في المساحة الخاوية، إذ كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي تسمح له بالتمدد بكامل طوله داخل المقصورة، وعند تلك النقطة كان عادة يفقد اهتمامه بالأمر برمّته.

تبين أن «ذا سكوب» وكر يلتقي فيه متخصصو تجميع الإلكترونيات من يويوداين. كانت لافتته النيون الخضراء تصوّر بشكل لوذعي شاشة

---

(1) القدر الهولندي، أو الفرن الهولندي Dutch oven: قدر سميك يصنع من الحديد الزهر له غطاء محكم، ويحاط بالفحم المشتعل لتسوية الطعام.

t.me/ktabpdf

مكتبة

«جهاز رسم الذبذبات»[1]، وفوقه تطفو رقصة دائمة التغير لمنحنيات «لسياجو»[2]. بدا أن اليوم يوم تسلم الرواتب، وكان جميع من بالداخل قد سكروا بالفعل. وجدا طاولة في الخلف، واتجها إليهما والعيون ترميهما بنظرات نارية. ظهَر ساقٍ ذابل يضع نظارة شمس وطلب ميتسجر «بوربون». جالت أوديبا ببصرها في البار، وتوترت. كان ثمة شيء لا يصعب تحديده في زبائن «سكوب»: كانوا جميعا يضعون نظارات ويحدقون فيك، بصمت. باستثناء اثنين أو ثلاثة قرب الباب، كانوا مشغولين في مسابقة لنبش الأنوف، ليروا إلى أي مدى يستطيعون نترها عبر القاعة.

صدحت جوقة مفاجئة من الهتافات والصيحات من داخل ما يشبه صندوق موسيقى في الطرف الآخر من القاعة. كفَّ الجميع عن الكلام. وتراجع الساقي على أطراف أصابعه، حاملا المشروبات.

همست أوديبا: «ماذا يحدث؟».

أخبرها الرجل ذو المظهر العصري واللحية الرمادية «هذه مقطوعة لستوكهاوزن[3]. الزبائن المبكرون يميلون لتشغيل إذاعة كولونيا. لاحقًا تبدأ الإثارة ونرقص 'سوينج' حقيقي. نحن البار الوحيد في المنطقة،

---

(1) جهاز رسم الذبذبات، أو «راسم الإشارة» Oscilloscope: هو جزء من جهاز قياس إلكتروني يسمح بإظهار ورسم جهد الإشارة، ويستخدم في اكتشاف الأعطال في أجهزة الراديو والتلفزيون وغيرها، كما تستخدمه المعامل في مراحل الأبحاث والتصميمات.

(2) منحنيات لسياجو Lissajous: عندما يخضع جسيم لحركتين توافقيتين بسيطتين متعامدتين، فإن محصلة حركته تكون على مسار منحن يسمى: «منحنى لسياجو».

(3) ستوكهاوزن: هو «كالرلهاينتس ستوكهاوزن»، أحد أبرز الموسيقيين في القرن العشرين. عرف بموسيقاه الإلكترونية، وذكرت عدة فرق «روك» أنها تأثرت به، ومن بينها الـ«بيتلز».

t.me/ktabpdf مكتبة

تعرفين، الذي يمتلك سياسة موسيقية صارمة ولا يشغّل إلا الموسيقى الإلكترونية. تعاليا في ليالي السبت، بدءًا من منتصف الليل لدينا 'اجتماع الموجات الجيبية[1]'، هذا تجمع موسيقي 'لايف'، الشباب يأتون للاحتشاد هنا من جميع أنحاء الولاية، سان هوزيه، سانتا باربرا، سان دييجو---».

قال ميتسجر: «لايف؟ موسيقى إلكترونية لايف؟».

«إنهم يسجلونها على شريط هنا، لايف، يا رفاق. لدينا هنا قاعة خلفية ممتلئة بأجهزة توليد الذبذبات الصوتية، وآلة أصوات البنادق الآلية، وميكروفونات عالية الحساسية. كل شيء يا رجل. ستجدها متوفرة إذا لم تحضر جيتارك، تعرف، لكن يراودك ذلك الشعور وتريد أن تحتفل مع بقية الفريق، هناك دائما آلة متاحة».

«لا مؤاخذة!»، قالها ميتسجر، وهو يبتسم ابتسامة انتصار بيبي إيجورية.

انزلق شاب خَرِع يرتدي بدلة من قماش لا يُكوى جالسا في المقعد المواجه لهما، وقدم نفسه باسم «مايك فالوبيان»، ثم شرع في التبشير بمنظمة تسمى «جمعية بيتر بنجويد».

استفسر ميتسجر الدبلوماسي: «هل أنتم واحدة من الجماعات اليمينية المخبولة؟».

طرف فالوبيان بعينيه: «إنهم يتهموننا بأننا بارانوديين».

«هم؟»، تساءل ميتسجر وهو يطرف بعينيه هو الآخر.

وسألت أوديبا «أنتم؟».

(1) الموجات الجيبية Sinewave: مصطلح فيزيائي آخر يستخدمه المؤلف، يصف انتشار الصوت، والمقصود به الرسم البياني لموجات الموسيقى الإلكترونية.

«جمعية بيتر بنجويد»، سميت باسم قائد بارجة حربية تابعة لقوات الكونفدرالية[1] اسمها «الساخطة»، كان قد أبحر في أوائل 1863 وفق خطة جريئة لإرسال قوة مهام حول «كيب هورن»[2] لمهاجمة سان فرانسيسكو ومن ثم فتح جبهة ثانية في «الحرب من أجل استقلال الجنوب». تمكنت العواصف والاسقربوط من تدمير أو ردع كل سفينة في هذا الاسطول باستثناء «الساخطة» الصغيرة، التي ظهرت قبالة ساحل كاليفورنيا بعد نحو عام. لكن «الكوماندور بنجويد»، مع ذلك، لم يعرف أن القيصر الروسي «نيقولا الثاني» كان قد أرسل أسطول الشرق الأقصى التابع له، أربع فرقاطات وسفينتان شراعيتان، كلها تحت إمرة «الأدميرال بوبوف»، إلى خليج سان فرانسيسكو، في إطار حيلة لمنع بريطانيا وفرنسا (ضمن أشياء أخرى) من التدخل إلى جانب الكونفدرالية. لم يكن بإمكان بنجويد اختيار توقيت أسوأ للهجوم على سان فرانسيسكو. سرت شائعات خارج البلاد في ذلك الشتاء بأن طرَّادتا الجمهوريين «ألاباما» و«سومتر» كانتا فعلا في طريقهما لمهاجمة المدينة، وكان الأدميرال الروسي قد أصدر، على مسؤوليته الخاصة، تعليمات مستديمة لسرب الباسيفيك التابع له باتخاذ أهبة الاستعداد والتأهب للتعامل إذا تطورت أيّ محاولة من هذا النوع. مع ذلك، فقد بدا أن الطرَّادتين تفضّلان مخر عباب البحر ولا شيء غير ذلك. لم يمنع هذا بوبوف من القيام بعمليات استطلاع من وقت إلى آخر، وما حدث في التاسع من مارس 1864، اليوم الذي يقدسه الآن أعضاء «جمعية بيتر بنجويد»، ليس واضحا تماما. لقد أرسل بوبوف بالفعل سفينة، ربما كانت الفرقاطة «بوجاتير» أو الشراعية

---

(1) الكونفدرالية: اتحاد الولايات الجنوبية إبان الحرب الأهلية الأمريكية.

(2) كيب هورن: الرأس الجنوبي لقارة أمريكا الجنوبية، في تشيلي.

t.me/ktabpdf مكتبة

«جايدماك»[1] لترى ما تستطيع رؤيته. وقبالة الشاطئ، الذي أصبح اسمه في ما بعد إما «كارمل باي ذا سي» أو «بيسمو بيتش»، نحو الظهيرة أو ربما قبيل الغسق، أبصرت كل سفينة الأخرى. واحدة منهما ربما أطلقت نيرانها، وإذا كان ذلك قد حدث، فالأخرى ردّت عليها؛ لكن كلتاهما كانتا خارج مدى النيران ومن ثم لم تصب أي منهما بخدش يمكن أن يثبت أي شيء لاحقا. هبط الليل. وفي الصباح كانت السفينة الروسية قد اختفت. لكن الحركة نسبية. فإذا كنت تصدق مقتطفا من سجل «بوجاتير» أو «جايدماك»، قُدّم في أبريل إلى القائد العام في سانت بطرسبرج ونُشر لاحقا في جريدة «الأرشيف الأحمر»[2] الموجودة في مكان ما، فإن «الساخطة» هي التي اختفت أثناء الليل.

هز فالوبيان كتفيه: «ومن يهتم؟ نحن لا نحاول أن نصنع من الحادثة كتابا مقدَّسا. طبيعي أن ذلك جعلنا نخسر الكثير من الدعم في 'حزام الكتاب المقدس[3]'، حيث كان يمكننا أن نحقق نجاحات هناك. منطقة الكونفدرالية القديمة.

«لكن تلك كانت أول مواجهة مسلحة بين روسيا وأمريكا. هجوم، انتقام، وضاعت المقذوفات إلى الأبد، والباسيفيك لا يكف عن الحركة. لكن الأمواج الناجمة عن هاتين الطشّتين انتشرت، وعَلَت، وها هي اليوم تغمرنا جميعا.

---

(1) بوجاتير: محارب روسي أسطوري- جايداماك: المحاربون من أجل استقلال أوكرانيا تزامنا مع الحرب الأهلية الأمريكية.

(2) الأرشيف الأحمر: بالروسية في الأصل: Krasnyi Arkhiv، جريدة تاريخية كانت تصدر في العشرينيات تستمد مادتها من الأرشيف المركزي للاتحاد السوفيتي السابق.

(3) الحزام المقدس: تعبير يصف بعض المناطق في جنوب شرق وجنوب وسط الولايات المتحدة، حيث يتسم السكان بالتدين والمحافظة.

«بيتر بنجويد كان في الحقيقة أول ضحايانا. لا المتعصب الذي اختاره أصحابنا الأكثر يسارية هناك في ’جمعية بيرتش[1]‘ لتنصيبه شهيدا».

سألت أوديبا: «هل قُتل الكوماندور إذن؟».

أسوأ بكثير، في رأي فالوبيان. فبعد المواجهة، وقد أصابه الهلع تجاه ما لا بد وأنه تحالف عسكري من نوع ما بين الروس المؤيّدين لإبطال الرق (كان نيكولاس قد حرر أقنان الأرض في 1861) وبين «الاتحاد» الذي كان يتظاهر بتأييد إبطال الرق بينما كان عمال مصانعه يعانون نوعا من أنواع العبودية بأجر، ظل بيتر بنجويد في كابينته لأسابيع، يتأمل.

اعترض ميتسجر: «لكن كلامك هذا يجعله يبدو كمعارض للرأسمالية الصناعية. ألا ينزع عنه ذلك الأهلية كرمز لمناهضة الشيوعية من أي نوع؟».

قال فالوبيان: «أنت تفكر مثل أتباع بيرتش. أخيار وأشرار. لا يمكنكم الوصول إلى الحقائق الدفينة. طبعا كان ضد الرأسمالية الصناعية. وهكذا نحن. ألم تَقُد، بشكل محتوم، إلى الماركسية؟ كلاهما، في العُمق، جزء من الرعب الزاحف علينا».

جازف ميتسجر بالقول: «الـأي شيء الصناعي».

أومأ فالوبيان برأسه: «ها أنت قد فهمت».

وأرادت أوديبا أن تعرف: «وماذا حدث لبيتر بنجويد».

---

(1) جمعية جون بيرتش: جمعية أمريكية تأسست سنة 1958 لمحاربة الشيوعية. و«جون بيرتش» كان مبعوثا للمخابرات العسكرية الأمريكية إلى الصين، وقتل بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية في مواجهة مع قوات تابعة للحزب الشيوعي الصيني، ومن ثم وصف بأنه «أول الضحايا الأمريكيين في الحرب الباردة». وهكذا، تظهر المفارقة حين يصف فالوبيان هذه الجمعية بأنها «يسارية».

مكتبة t.me/ktabpdf

«استقال من مأموريته في نهاية المطاف. انتهك تنشئته وميثاق الشرف. لقد أجبره لينكولن والقيصر على ذلك. هذا هو ما قصدته بقولي «ضحية». استقر هو ومعظم طاقمه بالقرب من لوس أنجليس، ولبقية حياته لم يفعل شيئا أكثر من جمع الثروة».

قالت أوديبا: «أمر مؤسف. ماذا كان يفعل؟».

قال فالوبيان: «كان يضارب على الأراضي في كاليفورنيا». أوديبا، التي كانت على وشك ابتلاع جرعة من مشروبها، لفظته ثانية في شكل مخروطي متلألئ لمسافة عشر أقدام على الأقل. وانفجرت في نوبة من الضحك.

قال فالوبيان: «ماذا؟ أثناء القحط في ذلك العام كان بإمكانك شراء كثير من الأراضي في قلب وسط مدينة لوس أنجليس، كانت القطعة التي تساوي دولارًا تباع بـ 63 سنتا».

انطلقت صيحة هائلة من ناحية الباب، وتدفقت الأجساد باتجاه شاب شاحب بدين كان قد ظهر حاملا جوال بريد جلدي على كتفه.

كان الناس يهتفون: «البريد وصل!». وبدا الأمر أشبه بما يحدث في الجيش. الفتى البدين، وقد بدا عليه الإرهاق، تسلق نُضد البار وبدأ ينادي على الأسماء ويلقي المظاريف وسط الحشد. استأذن فالوبيان وانضم إلى الآخرين.

كان ميتسجر قد أخرج نظارة وراح ينظر إلى الشاب فوق النُّضد مضيّقا عينيه. «إنه يرتدي شارة يويوداين. ماذا تستنتجين من ذلك؟».

قالت أوديبا: «منظومة توزيع بريد داخلية».

«في هذا الوقت من الليل؟».

«ربما وردية متأخرة؟». لكن ميتسجر اكتفى بأن قطب جبينه.

«سأعود»، قالتها أوديبا وهي تتوجه إلى حمّام السيدات.

على جدار المرحاض، بين الرسومات والعبارات الفاحشة المرسومة بأحمر الشفاة، لاحظت الرسالة التالية، مدوَّنة بأناقة وبحروف هندسية:

هل ترغب في متعة رفيعة المستوى؟ أنت، زوجتك، صاحباتك. كلما زاد العدد زادت المتعة. تواصل مع 'كيربي'، عبر 'ويست' WASTE فقط، ص.ب: 7391، لوس أنجليس».

«ويست؟» تساءلت أوديبا. تحت الرسالة رُسم بالرصاص الباهت رمز لم يسبق لها رؤيته من قبل، حلقة، ومثلث، وشبه منحرف، هكذا:

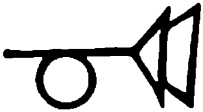

ربما كان رمزا جنسيا، لكنها شكت في ذلك بطريقة ما. وجدت قلما في حقيبتها فنسخت العنوان والرمز في مفكرتها، وهي تفكر: يا ربي، هيروغليفي! عندما خرجت كان فالوبيان قد عاد، وعلى وجهه تلك النظرة المضحكة.

قال لهما: «لم يكن يفترض بكما رؤية ذلك». كان معه مظروف. وكان بإمكان أوديبا رؤية الحروف الأولى PPS[1] مضروبة يدويا، بدلاً من طابع البريد.

قال ميتسجر: «بالطبع. توصيل البريد احتكار حكومي. وهذا يعدّ تحديا لذلك».

منحهما فالوبيان ابتسامة ممتعضة. «الأمر ليس تمردا كما يبدو. نحن

(1) PPS: الحروف الأولى لجمعية بيتر بنجويد Peter Penguid Society.

t.me/ktabpdf

مكتبة

نستخدم نظام توصيل يويوداين الداخلي. خفية. لكن من الصعب العثور على سعاة بريد، فلدينا حركة كبيرة. وهم يعملون بجدول زمني مكثَّف، ويتعصبون. مسؤولو الأمن هناك في المصنع يعرفون أن ثمة شيء يدور. ويراقبون جيدا. 'دي ويت'»، قالها وهو يشير إلى ساعي البريد البدين، الذي كان يُرفع، مختلجا، عن النضد وتُقدَّم له مشروبات لا يريدها، «هو أكثر من عرفناهم عصبية على مدار العام».

سأل ميتسجر: «وما هو نطاق امتداد هذا النظام؟».

«فقط داخل فرع سان نارسيسكو. لقد بدءوا مشروعات تجريبية شبيهة في فرعي واشنطن ودالاس، أعتقد. لكننا الوحيدون في كاليفورنيا حتى الآن. بعض الأعضاء الموسرين أكثر يلفُّون رسالتهم حول طوبة، ثم يضعونها في ورق بني، ويرسلونها عبر شركة «ريلواي إكسبرس»[1]، لكن أنا لا يعجبني ذلك...».

قال ميتسجر متعاطفا: «نوع من الالتفاف».

وافقه فالوبيان، وإن بدا دفاعيًا: «إنه المبدأ. أن تحافظ على حجم تداول معقول نوعا، كل عضو عليه أن يرسل على الأقل خطابا واحدا كل أسبوع عبر نظام يويويداين. إذا لم تفعل، تُغرَّم». فتح خطابه وعرضه على أوديبا وميتسجر.

كانت الرسالة تقول: «عزيزي مايك، كيف حالك؟ فكرت أن أرسل لك رسالة قصيرة. كيف يسير كتابك؟ فلنكتف بهذا. أراك في 'سكوب'».

اعترف فالوبيان بمرارة: «الأمر على هذا النحو، معظم الوقت».

سألت أوديبا: «أي كتاب يقصد؟».

---

(1) ريلواي إكسبريس Railway Express: شركة الشحن القومية الأمريكية، والتي كانت تحتكر نقل الطرود البريدية، تأسست عام 1917.

t.me/ktabpdf مكتبة

تبين أن فالوبيان كان يؤلف كتابا عن تاريخ منظومات توصيل البريد في الولايات المتحدة، محاولًا الربط بين الحرب الأهلية وبين حركة الإصلاح البريدي التي بدأت نحو عام 1845. وقد وجد أن الأمر يتجاوز الصدفة البسيطة أنه من بين كل الأعوام كان عام 1861 هو العام الذي شرعت فيه الحكومة في القضاء التام على المسارات البريدية المستقلة التي نجت من القوانين المتنوعة لسنوات 45، و47، و51، و55، قوانين صُمّمت جميعا لتقود أية منافسة خاصة إلى الهلاك المالي. كان يراها حكاية ذات مغزى عن السلطة، وتسمينها، ونموها، وانتهاكاتها المنهجية، مع أنه لم يتوغل معها في الأمر إلى هذا الحد، في تلك الليلة. كل ما ستتذكره أوديبا منه في البداية، حقيقة، هو قوامه النحيف وأنفه الأرمينية المستقيمة، وانسجامًا ما بين عينيه وبين النيون الأخضر.

هكذا بدأ، بالنسبة لأوديبا، هذا التفتح الواهن المشؤوم لـ«التريسترو»، أو ربما بدأ مع حضورها عرضا متفرّدًا، طويلا مثل ساعات الليل الأخيرة، جائزة إضافية لأولئك الذين لبثوا حتى ذلك الوقت المتأخر. وكأن الأردية سهلة الخلع، وحمّالات الصدر الشبكية، وأحزمة تثبيت الجوارب المرصعة بالمجوهرات، والسراويل الداخلية الرفيعة، وغيرها من الزخارف التاريخية التي سوف تتساقط كانت مكتنزة في طبقات كثيفة تماما مثل ملابس أوديبا في لعبتها مع ميتسجر أمام فيلم بيبي إيجور؛ كأن الغوص في ساعات السَّحَر المظلمة المبهمة سيكون ضروريا قبل أن تتكشف «التريسترو» في عريها الرهيب. هل ستكون ابتسامتها، إذن، خجولة، وهل تتراجع في تغنّجها الحميد إلى الكواليس، تقول تصبحين على خير بانحناءة مسرحية، وتمضي في سلام؟ أم أنها، بعد انتهاء الرقصة، ستعود إلى لسان خشبة المسرح، ونظرتها المشعّة مثبّتة على نظرة أوديبا، وقد تحولت ابتسامتها إلى الخبث والقسوة؛ تنحني لها

t.me/ktabpdf مكتبة

وحدها بين صفوف المقاعد المقفرة وتبدأ التحدث بكلمات لم ترغب أوديبا قط في سماعها.

البداية وراء ذلك العرض كانت شديدة الوضوح. حدث ذلك عندما كانت هي وميتسجر ينتظران الخطابات الإضافية اللازمة لمنحهما حق تمثيل التركة في أريزونا وتكساس ونيويورك وفلوريدا، حيث كان إنفيراريتي قد أنشأ مشروعات تطوير عقاري، وفي ديلاوير، حيث كان قد أسس شركته.[1] كانا، تتبعهما سيارة مكشوفة يستقلها البارانوديون مايلز ودين وسيرج وليونارد وكتكوتاتهم، قد قررا قضاء اليوم في «بحيرات لانجوسو»، أحد آخر مشروعات إنفيراريتي الكبرى. لم يكن في الرحلة ما يستحق الذكر باستثناء تصادمين أو ثلاثة كاد يتسبب فيها البارانوديون لأن سيرج، السائق، لا يستطيع الرؤية من وراء شعره، وقد أقنعوه بأن يُسلِّم عجلة القيادة إلى إحدى الفتيات. في مكان ما، خلف البيوت المصطفّة التي يراها العابرون تمرّ سريعا من نوافذهم والبيوت ثلاثية الغرف التي تتكاثف بالآلاف عبر كل التلال البنية الداكنة، المستترة في خيلاء أو الناهشة في الضباب الدخاني الذي تفتقر إليه أراضي سان نارسيسكو الوسنانة الأبعد من الماء، يتوارى البحر، الباسيفك الخيالي. ذلك الذي لا علاقة له براكبي الأمواج، ومراتب الشاطئ، وخطط التخلص من مياه الصرف،وغارات السوّاح، والمثلية الجنسية المتشمسة، ورحلات الصيد، وتلك الحفرة التي خلّفها القمر بعد إذ انتزع نفسه متحررا، والتذكار الذي تركه لمنفاه؛ لن تسمع ذلك ولن تشمه حتى لكنه كان هناك، شيء مد-جزري بدأ يصل إلى المجسّات في ما وراء العيون وطبلات الآذان، ربما ليثير تيارا دماغيا واهيا تظل أدق أجهزة القياس المجهرية أغلظ من أن

(1) ولاية ديلاوير: هي الملاذ الأفضل لتأسيس الشركات في الولايات المتحدة، بسبب قوانينها ونظامها الضريبي.

مكتبة t.me/ktabpdf

تستطيع اكتشافه. كانت أوديبا تؤمن، من قبل أن تغادر كينريت بزمن، بمعتقد يتعلق بالبحر بوصفه الخلاص الذي يفتدي كاليفورنيا الجنوبية ليس، بالطبع، خلاصا لذلك الجزء من الولاية الذي تسكنه، والذي بدا لها لا يحتاج خلاصا»، فكرة ما غير منطوقة بأن الباسيفيك الحقيقي مهما فعلتَ بحوافه يظل منيعا ومتكاملا أو أنه يستوعب القبح عند أي حافة داخل حقيقة عمومية ما. ربما كان ذلك الانطباع وحده، أو ما يمثله من أمل قاحل، الذي استشعرته وهم يندفعون باتجاه البحر ذلك الضحى، هو الذي لن ينطبق على أي بحر آخر.

دخلوا وسط ماكينات الحفر، غياب تام للأشجار، والهندسة الكهنوتية المعتادة. وأخيرا، مترجرجين في سيرهم على الطرق الرملية، متقدمين على طريق لولبي باتجاه جسم المياه المنحوت المسمى بحيرة إنفيرارتي. في وسطها، وفوق جزيرة مستديرة من ردم الرمال وسط مويجات زرقاء، كانت تنتصب صالة المناسبات، منشأة مكتنزة، قوطية الأقواس، مزنجرة، على طراز الـ«آرت نوفو» شيدت على غرار كازينوهات الأُنس الأوروبية. وقعت أوديبا في غرامها. اندفعت جماعة البارانوديين خارج سيارتهم، حاملين معدات موسيقية ومجيلين النظر حولهم وكأنهم يبحثون عن مقابس تحت الرمال البيضاء التي شُحنت إلى ذلك المكان لكي يوصلوا كابلاتهم. أخرجت أوديبا من صندوق سياراتها «الإمبالي» سلة مملوءة بساندويتشات «بارميجانا الباذنجان» الباردة التي اشترتها من مطعم إيطالي على الطريق، وخرج ميتسجر بتُرمس هائل من الـ«تكيلا ساور». شردوا جميعا بلا انتظام على الشاطئ باتجاه مرسى صغير لأصحاب القوارب الذين لا يمتلكون مساحة على المياه مباشرة.

صاح دين، أو ربما سيرج: «هيه، يا شباب. لنسرق قاربا».

صرخت الفتيات: «هذا هو الكلام». أغمض ميتسجر عينيه وتعثر

مكتبة t.me/ktabpdf

في مرساة قديمة. سألته أوديبا: «لماذا تمشي وأنت مغمض العينين يا ميتسجر؟».

قال ميتسجر «عملية سَلْب! ربما يحتاجون إلى محام».

ارتفعت أنشوطة من الحبال مع بعض الدخان من بين قوارب الأُنس المصفوفة مثل خنازير صغيرة على اللسان الخشبي، في إشارة إلى أن البارانوديين قد أداروا بالفعل محرك شخص ما. نادوا «هيا، هيا بنا». فجأة، على بعد عشرة قوارب، نهض شخص، مغطى بمشمّع أزرق، وقال: «بيبي إيجور. انجدني!».

قال ميتسجر: «أعرف هذا الصوت».

قال المشمع الأزرق: «بسرعة. دعوني أركب معكم يا شباب».

صاح البارانوديون: «أسرع، أسرع».

قال ميتسجر، وقد بدا أنه ليس مبتهجا على الإطلاق: «ماني دي بريسو!».

تذكرت أوديبا: «صديقك الممثل/ المحامي».

«لا ترفعي صوتك»، «هاي»، قالها دي بريسو، وهو ينسلُّ بأفضل ما يستطيعه قرطاس من المشمع على المرسى باتجاههم. «إنهم يراقبون. بالنظارة المعظِّمة». ساعد ميتسجر أوديبا على ركوب المركب المختطَف، وهو زورق شراعي من الألومنيوم يبلغ طوله 17 قدما اسمه «جودزيلا II»، ثم مد يده إلى ما ظنها يد دي بريسو، لكنه لم يقبض، في ما يبدو، إلا على البلاستيك الخاوي، وعندما شد، انخلع الغطاء بأكمله، وإذا بدي بريسو يقف، في بدلة غوص ونظارة شمس مقوَّسة.

قال: «سأشرح لك».

«هاي»، صاحت بعض الأصوات، واهنة، في صوت واحد تقريبا، بعيدا من الشاطئ. ولاح رجل بدين بشعر مقصوص قصة الغراب، وبشرة

لفحتها الشمس بشدة وأيضا بنظارة شمس، يجري في الخلاء، أحد ذراعيه مثنيٌّ مثل جناحٍ واليد على مستوى الصدر، داخل جاكيت.

سأل ميتسجر بنبرة جافة: «هل هناك كاميرا خفية؟».

قال دي بريسو وهو يصر على أسنانه: «هذا حقيقي. هيا بنا». بدأ البارانوديون الإبحار، فسحبوا «جودزيلا II» من اللسان الخشبي، واستداروا بها ثم بصيحة واحدة انطلقوا مثل وطواط هارب من الجحيم، فكادوا أن يطيحوا بدي بريسو من فوق الذيل المروَحي. كانت أوديبا، التي تنظر إلى الوراء، ترى مطاردهم وقد انضم إليه رجل آخر له بنيته نفسها تقريبا. كلاهما يرتدي بدلة رمادية. ولم تستطع رؤية إن كانا يحملان مسدسات أو ما شابه.

قال دي بريسو: «لقد تركت سيارتي على الجانب الآخر من البحيرة. لكنني أعرف أن شخصا يراقبها لحسابه».

سأله ميتسجر «من هو؟».

أجاب دي بريسو التعس «'أنتوني جيونجييراس'،[1] الشهير بـ'توني جاجوار'».

«من؟».

«إيه، وغد»[2]، هزّ دي بريسو كتفيه، وبصق في الأثر الذي يخلفه زورقهم في المياه. كان البارانوديون يغنون على أنغام «أديست فيدليس»[3]:

---

(1) جيونجييراس: من الأسماء الغريبة التي يبتكرها المؤلف.

(2) وغد: الكلمة المستخدمة sfacim، وهي من أصول إيطالية عامية، تعني حرفيا «المني/ السائل المنوي».

(3) أديست فيدليس: أنشودة مشهورة من أناشيد عيد الميلاد، ألفت باللاتينية وترجمت إلى عدة لغات، يقول مطلعها بالعربية: «هلموا يا مؤمنين.. فرحين ومنتصرين/ هلموا.. هلموا إلى بيت لحم».

«هلمَّ أيها المواطن الصالح، لقد سرقنا زورقك.

هلمَّ أيها المواطن الصالح، لقد سرقنا زورقك...»

وهم يتمازحون، يحاول كل أن يدفع الآخر من فوق الزورق. انكمشت أوديبا خوفًا مبتعدة عن طريقهم وهي تراقب دي بريسو. إذا كان قد لعب بالفعل دور ميتسجر في الحلقة التجريبية من المسلسل التلفزيوني كما زعم ميتسجر، سيكون اختيار الممثلين هوليوديًّا بامتياز، إذ ليس ثمة شبه بين أحدهما والآخر لا في المظهر ولا في السلوك.

قال دي بريسو: «إذن، من هو توني جاجوار؟ أحد كبار الـ'كوسا نوسترا'[1]، هذا هو».

قال ميتسجر: «أنت ممثل. ما الذي ورطك معهم؟».

قال دي بريسو: «أنا الآن محام مجددا. لن يشتري أحد الحلقة التجريبية قط يا ميتس، ليس إلا إذا حققتَ خبطة من خبطات دارو[2]، خبطة مدهشة. أن تثير الرأي العام، ربما بمرافعة حماسية مهيِّجة للمشاعر».

«مثل ماذا؟».

«مثل أن تكسب دعوى المخاصمة التي أقمتُها أنا ضد تركة بيرس إنفيراريتي». جحظت عينا ميتسجر، بقدر ما تستطيع عينا ميتسجر الهادئ أن تجحظا. ضحك دي بريسو ولكم ميتسجر في كتفه. «هذا صحيح يا صاحبي».

---

(1) كوسا نوسترا Cosa Nostra: حرفيا «الشيء الخاص بنا»، والمقصود المافيا الإيطالية.

(2) دارو: هو كليرانس دارو، محامي أمريكي شهير توفي في الثلاثينيات، أحد أبرز أعضاء «اتحاد الحريات المدنية الأمريكية»ومحام لبعض من أشهر القضايا في عصره.

t.me/ktabpdf مكتبة

«من يريد ماذا؟ الأفضل أن تتكلم مع القيِّم الآخر أيضا». قدم له أوديبا، ورفع دي بيرسو طرف نظارته في تحية مهذَّبة. فجأة صار الهواء باردًا، وطُمست الشمس. رفع الثلاثة رؤوسهم في انتباه ليروا صالة المناسبات الخضراء الشاحبة محلّقة فوقهم وعلى وشك الاصطدام بهم، بنوافذها المستدقّة العالية، وزخرفاتها النباتية المصنوعة من الحديد المشغول، وبصمتها الراسخ، وإيحاء بأنها في انتظارهم بصورة ما. أدار دين، البارانويدي الممسك بالدفة، القارب بدقة ليقف عند رصيف خشبي صغير، ونزل الجميع، فيما سارع دي بريسو وتوجه متوترا إلى بيت دَرج خارجي. قال «أريد الاطمئنان على سيارتي». تبعته أوديبا وميتسجر على الدرج، وهما يحملان أغراض الرحلة، ثم ساروا في شرفة، خارج حدود ظلال المبنى، ومن ثم صعدوا سلما إلى السطح. كان الأمر أشبه بالسير على رأس طبلة: كانوا يسمعون صدى خطاهم وهو يتردد داخل المبنى الفارغ بالأسفل، وصرخات البارانوديين المبتهجة. زحف دي بريسو، في بدلة غوصه المتلألئة، متسلقا أحد جوانب السقف المقبب. بسطت أوديبا بطانية وصبّت الشراب في أكواب «فوم» مصنوعة من البلاستيك المسحوق. قال دي بريسو، وهو ينزل السلم: «لا تزال في مكانها. كان عليَّ أن أهرب بجلدي».

«من هو عميلك؟»، سأله ميتسجر وهو يناوله كوبا من الـ«تكيلا ساور».

أجابه دي بريسو، وهو يمسك الكوب بين أسنانه حتى صار يغطي أنفه وينظر إليهما في خبث: «الرجل الذي يطاردني».

سألته أوديبا: «أنت تهرب من عملائك؟ تفرّ من سيارة الإسعاف؟»[1]

---

(1) سيارة الإسعاف: يشيع عن محامي التعويضات أنه «يطارد» عربات الإسعاف بحثا عن زبائن، لا «يهرب» منها.

مكتبة t.me/ktabpdf

قال دي بريسو «منذ فترة وهو يحاول الاقتراض مني، منذ أخبرته أنني لن أقبل أن يحصل على قرض سابق على التسوية[1] في هذه القضية».

قالت «هذا يعني أنك تهيئ نفسك للخسارة».

اعترف دي بريسو «قلبي ليس في القضية، وإذا كنت لا أستطيع سداد أقساط السيارة الـXKE[2] التي اشتريتها في لحظة جنون، فكيف لي أن أُقرض نقودا؟».

نخَر ميتسجر: «لحظة جنون امتدت لأكثر من 30 عاما».

قال دي بريسو: «أنا لست مجنونا لدرجة أنني لا أعرف الورطة عندما أراها، وتوني جيه في ورطة يا أصحابي. ورطة مقامرة بالأساس، وهناك كلام أيضا عن استدعائه للمثول أمام هيئة من زعماء المافيا المحليين ليدافع عن نفسه ضد عقوبة تأديبية صدرت بشأنه. وأنا لست مستعدا لهذا النوع من المتاعب».

زنرت إليه أوديبا: «أنت أناني أحمق».

وتدخل ميتسجر للتهدئة: «كوسا نوسترا تراقب وتراقب طوال الوقت، ولن يفيدك أن تُضبط وأنت تساعد أولئك الذين لا تريد المنظمة أن يساعدهم أحد».

(1) القرض السابق على التسوية: إذا أقمت دعوى تعويض أو نزاع مالي في الولايات المتحدة، فهناك شركات مستعدة لإقراضك مبلغا من المال حتى تتم تسوية قضيتك. هذه القروض يرفضها بعض المحامين (وهذا هو حال دي بريسو) لأنها تضع المزيد من الضغوط على المدّعي ومحاميه، خاصة مع طول مدة التقاضي والفوائد الكبيرة التي أحيانا ما تجعل مبلغ القرض أقل من المبلغ الذي سيحصل عليه المدّعي عند التسوية.

(2) XKE: أحد موديلات «جاجوار»، سيارة رياضية شهيرة أختيرت كأجمل سيارة في العالم في متحف الفن الحديث بنيويورك.

t.me/ktabpdf مكتبة

قال دي بريسو، بإنجليزية مكسَّرة ساخرة «عندي أقارب في صقلية».

ظهر البارانوديون وكتكوتاتهم أمام السماء الناصعة، من خلف الأبراج الصغيرة، والجملونات، ومواسير التهوية، وهجموا على سندويتشات الباذنجان في السلة. جلس ميتسجر على دورق الشراب كي لا يستطيعوا الوصول إليه. وكانت الرياح قد ازدادت سرعة.

«احك لي عن القضية»، قالها ميتسجر، رافعا يديه إلى شعره ليثبته في مكانه.

قال دي بريسو «أنت اطّلعت على دفاتر إنفيراريتي. تعرف موضوع فلاتر 'بيكونسفيلد'». لوى ميتسجر قسماته بطريقة غامضة.

تذكرت أوديبا «فحم العظام».

قال دي بريسو «نعم، طيب، توني جاجوار، عميلي، كان يورِّد بعض العظام، هكذا يزعم. وإنفيراريتي لم يدفع له قط. هذه هي المسألة».

قال ميتسجر: «كلام فارغ. هذه ليست من عادات إنفيراريتي. لقد كان دقيقا جدا في هذه الأمور. إلّا إذا كانت رشوة. أنا كنت أشرف فقط على الخصومات الضريبية القانونية، لذا إذا كانت رشوة لما رأيتها. ما هي شركة المقاولات التي كان يعمل بها عميلك».

ضيق دي بريسو عينيه «شركة مقاولات».

جال ميتسجر ببصره. ربما كان البارانوديون وكتكوتاتهم بعيدا عن الأسماع. «عظام بشرية، صحيح؟». أومأ دي بريسو بالإيجاب. «طيب، هكذا كان يجلبها. شركات مختلفة لإنشاء الطرق السريعة في المنطقة، وشركات كان إنفيراريتي قد اشترى حصة الأغلبية فيها، تحصل على العقود. عقود كتبت بصياغة قانونية ممتازة يا مانفريد[1]. إن كانت ثمة رشوة في هذا الموضوع، أشك أنه سيكون لها أي وجود مكتوب».

---

(1) مانفريد: هو «ماني» دي بريسو.

مكتبة

t.me/ktabpdf

تساءلت أوديبا: «ومن أين تأتي شركات إنشاء الطرق بالعظام، لا مؤاخذة؟».

أوضح ميتسجر: «المقابر القديمة يجب أن تُنبش. بحيرة تقطع طريق شرق سان نارسيسكو السريع، لا يحق لها أن تكون هناك، وهكذا كنا ندمرها، بكل بساطة».

قال دي بريسو وهو يهز رأسه نافيا: «لا رشاوى ولا طرق سريعة. هذه العظام جاءت من إيطاليا. توريد مباشر»، أشار إلى البحيرة، «بعضها يقبع هناك بالأسفل، لتزيين القاع من أجل مجانين الغوص. هذا ما كنت أفعله اليوم. أفحص البضاعة محل النزاع. حتى بدأ توني في مطاردتي، على أيّ حال. بقية العظام استُخدمت في مرحلة البحث والتطوير من برنامج الفلاتر، قديما، في أوائل الخمسينيات، قبل السرطان بزمن. توني جاجوار يقول إنه انتشلها كلها من أعماق بحيرة 'لاجو دي بييتا'».

«يا إلهي!»، قالها ميتسجر فور سماع الاسم. «عظام القوات المسلحة؟».

«سرية كاملة تقريبا». كانت بحيرة "لاجو دي بييتا" قريبة من ساحل البحر التيراني،[1] في مكان متوسط بين نابولي وروما، وكانت المسرح الذي شهد معركة الاستنزاف (المأساوية في عام 1943) والتي لم تعد تُذكر الآن في الثغرة الصغيرة التي تكونت أثناء تقدم القوات باتجاه روما. على مدار أسابيع، ظلت حفنة من القوات الأمريكية، المحاصرة والمعزولة، متكوّمة على الشاطئ الضيق للبحيرة الصافية الهادئة بينما أعلى الأجراف التي تنحدر على نحو يثير الدوار باتجاه الشاطئ كان الألمان يقصفونهم ليل نهار بوابل عنيف من النيران. كانت مياه البحيرة

(1) البحر التيراني: هو جزء من البحر المتوسط. والساحل التيراني هو الساحل الغربي لشبه جزيرة إيطاليا.

t.me/ktabpdf مكتبة

شديدة البرودة وتستحيل السباحة فيها: كنت تموت متجمّدا قبل أن تصل إلى أي شاطئ آمن. لم تكن ثمة أشجار لاستخدامها في بناء أطواف. ولم تظهر أية طائرات فوقهم باستثناء طائرة «ستوكا» لتقصفهم من وقت إلى آخر. كان أمرًا لافتًا كيف استطاع هذا العدد القليل من الرجال التماسك كل هذه الفترة. حفروا حُفَرًا بقدر ما سمح لهم الشاطئ الصخري؛ أرسلوا غارات صغيرة إلى أعلى الأجراف معظمها لم يرجع قط، لكنها نجحت في تعطيل بندقية آلية، ذات مرة. وراحت الدوريات تبحث عن طرق للهرب، لكن القلة التي عادت منهم لم تكن قد نجحت في العثور على أي شيء. فعلوا ما بوسعهم لكسر الحصار، وإذ فشلوا، تشبثوا بالحياة قدر استطاعتهم. لكنهم ماتوا، جميعهم، في صمت، من دون أثر أو كلمة. ثم نزل الألمان من على الأجراف ذات يوم، ووضع مجنَّدوهم كل الأجساد التي كانت على الشاطئ في البحيرة، برفقة الأسلحة وغيرها من المواد الأخرى التي لم تعد قابلة للاستخدام. وعلى الفور غطست الأجساد؛ وبقيت حيث هي حتى أوائل الخمسينيات، عندما قرر توني جاجوار، الذي كان عرِّيفا في وحدة إيطالية ملحقة بالقوات الألمانية عند بحيرة «لاجو دي بييتا» وكان على علم بما يوجد في القاع، بصحبة بعض من زملائه أن يروا ما الذي يمكن انتشاله. كل ما استطاعوا الخروج به كان العظام. ومن وسط تيار أفكاره المضبَّب، الذي ربما تضمن الحقيقة المرعية بأن السواح الأمريكان، الذين بدءوا يزدادون وفرة عندها، سوف يدفعون قدرا جيدا من الدولارات مقابل أي شيء تقريبا؛ ومن وسط القصص المثارة حول حديقة «فورست لون» و«عقيدة تبجيل الموتى»[1]؛

---

(1) حديقة فورست لون: مقر مقابر ذات ملكية خاصة في كاليفورنيا الجنوبية، أنشأها مجموعة من رجال الأعمال، ولا تهدف للربح. و«عقيدة تبجيل الموتى»: تلك العقيدة التي تشمل تقديس القديسين والأسلاف.

t.me/ktabpdf مكتبة

وربما أمل شاحب أن السيناتور مكارثي[1]، وغيرهم ممن يتبنون قناعاته، وقد بسطوا في تلك الأيام نفوذا ما على الأثرياء المهابيل على الجانب الآخر من المحيط، سوف يحرصون على إعادة الانتباه إلى ضحايا الحرب العالمية الثانية، وخاصة إلى أولئك الذين لم يُعثر على جثامينهم؛ وسط هذه المتاهة من الدوافع المفترضة، قرر توني جاجوار أنه يستطيع بالتأكيد إفراغ حمولته من العظام المتَشَلة على أرض أمريكية في منطقة ما، عبر علاقاته بـ«العائلة»، المعروفة في أيامنا هذه باسم «كوسا نوسترا». وقد كان محقا. إذ اشترت العظام إحدى شركات الاستيراد والتصدير، ثم باعتها لشركة مخصِّبات، وربما استخدمت واحدة أو اثنتين من عظام الفخذ في اختبارات معملية لكنها قررت في النهاية أن تتحول بالكامل إلى أسماك الرنجة بدلا من ذلك ونَقلت بقية الأطنان العديدة إلى شركة قابضة، قامت بتخزينها في مستودع خارج «فورت وين»، بولاية إنديانا، لنحو عام ربما قبل أن تبدي «بيكونسفيلد» اهتمامها.

انتفض ميتسجر «أها. إذن بيكونسفيلد هي التي اشترتها. ليس إنفيراريتي. الأسهم الوحيدة التي كان يستحوذ عليها كانت في شركة 'أوستيوليزس' [تحليل العظام]، الشركة التي أسسوها لتطوير الفلتر. لم تكن لديه أسهم في بيكونسفيلد نفسها».

«تعرفون يا شباب»[2]، علّقت إحدى الفتيات، حسناء ممشوقة القد بُنية الشعر في ثوب رياضي محبوك وحذاء رياضي مدبب، «هذا الكلام

---

(1) مكارثي: هو جوزيف مكارثي، الذي سميت باسمه «المكارثية». دعا في الخمسينيات، إبان بداية الحرب الباردة، إلى تطهير أمريكا من «الجواسيس الشيوعيين»، وطالت دعوته الديماجوجية عددا من الكتاب والمفكرين والسياسيين فيما وصف بالإرهاب الفكري.

(2) يا شباب: بالعامية الانجليزية في الأصل (blokes)، وهي اللهجة التي يستخدمها البارانوديون ورفيقاتهم بكثرة.

مكتبة t.me/ktabpdf

فيه شبَه غريب من مسرحية الانتقام اليعقوبية[1] المريضة، المريضة تلك، التي ذهبنا إليها الأسبوع الماضي».

وقال مايلز «'مأساة مرسال'، صحيح. الشذوذ نفسه، تعرفون؟ عظام في معركة خاسرة في بحيرة، يتم صيدها، وتحويلها إلى فحم---»

صرخ دي بريسو «لقد كانوا ينصتون، هؤلاء الأولاد. دائما هناك شخص يتنصَّت، يتلصَّص؛ يزرعون الميكروفونات في شقتك، يراقبون هاتفك---»

قالت فتاة أخرى: «لكننا لا نردد ما نسمع، ولا أحد منا يدخن بيكونسفيلد على أية حال. نحن جميعا ندخن الماريوانا». ضحكات. لكنها ليست نكتة: إذ سرعان ما دس ليونارد عازف الدرامز يده في جيب

بشكيره وأخرج قبضته مليئة بسجائر الماريوانا ووزعها على رفاقه. أغمض ميتسجر عينيه، وأدار رأسه وهو يتمتم «حيازة».

«انجدوني!»، قالها دي بريسو وهو ينظر إلى البحيرة بنظرة مجنونة وفم مفتوح. كان زورق آخر قد ظهر متجها صوبهم. وكان شخصان في بدلتين رماديتين منحنيين خلف زجاجه الأمامي. «ميتس، سأهرب بجلدي. إذا توقف هنا لا تحاولوا أذيته، فهو عميلي». ثم اختفى أسفل السلم. ارتمت أوديبا بتنهيدة على ظهرها وراحت تحدق عبر الريح في السماء الزرقاء الخاوية. وسرعان ما سمعت صوت محرك «جودزيلا II».

راودها خاطر: «ميتسجر، هل يأخذ القارب؟ نحن مقطوعون هنا».

وهكذا ظلوا، حتى بعد غروب الشمس بزمن، وإلى أن استطاع مايلز، ودين، وسيرج، وليونارد وكتكوتاتهم، عن طريق رفع الأعقاب الكرتونية

---

(1) اليعقوبية: المنتمية إلى العصر اليعقوبي، عصر الملك جيمس الأول (1603-1625).

t.me/ktabpdf مكتبة

المتوهّجة لسجائرهم، مثلما يفعل مشجعو كرة القدم مع لافتات الأحرف، لرسم حرفي S وO بالتبادل[1]، وجذْب انتباه قوات الأمن الخاصة ببحيرات فانجوسو، وحامية تغزو الليل من ممثلين سابقين لأدوار الـ«كاوبوي» وشرطيي الدراجات النارية في لوس أنجليس. وقد مر الوقت قبلها بلطف مع أغنيات البارانوديين، والشراب، وإلقاء فتات ساندويتشات الباذنجان إلى سرب من النوارس غير البشوشة التي خلطت بين بحيرات فانجوسو وبين الباسيفيك، وسماع حبكة «مأساة مرسال»، لـ«ريتشارد وارفنجر»، المتعلقة على نحو ملتبس بثمان ذكريات متشابكة تتفكك تدريجيًا في أصقاع غريبة على الخريطة غرابة التفافات وسحابات دخان الماريوانا. كانت الحبكة مربكة جدا حتى أن أوديبا قررت في اليوم التالي أن تذهب لمشاهدة المسرحية بنفسها، بل وتمكنت من التحايل على ميتسجر لكي يصحبها.

كانت «مأساة مرسال» من إنتاج إحدى فرق سان نارسيسكو معروفة باسم «فرقة تانك»، حيث «تانك» هو اسم لمسرح صغير يقع بين مؤسسة لتحليل الاتصالات[2] وشركة ترانزستور مشبوهة لم تكن هناك العام السابق ولن تكون هناك العام التالي، لكنها في ذلك الوقت كانت تبخس السعر فتبيع بأقل من اليابانيين أنفسهم وتغترف الغنائم اغترافا. دخلت أوديبا وميتسجر المتردّد صالة فيها بعض المتفرجين، ولم يرتفع عدد الحضور قبل بدء المسرحية. لكن الملابس كانت بديعة، والإضاءة

---

(1) S وO: حين يرفعان بالتبادل مرة بعد مرة، تنشأ، بطبيعة الحال أيضا، الحروف «S. O. S» (Save Our Souls)، وهي الإشارة المعروفة لطلب النجدة.

(2) تحليل الاتصالات: هي عملية اعتراض الرسائل وفحصها من أجل استخراج معلومات من أنماطها، ويمكن أن تتم من دون فك شفرة الرسائل أو قراءتها، وتستخدم لخدمة مجالات مختلفة بداية من الاستخبارات المعسكرية وحتى تهديد أنماط الاستهلاك في الأسواق.

مكتبة t.me/ktabpdf

خيالية، ومع أن الكلمات كانت تنطق بلكنة بريطانية ملفَّقة من خشبات المسرح في الغرب الأوسط، فقد وجدت أوديبا نفسها بعد خمس دقائق وقد شُفطت بالكامل داخل صورة الشر التي كان وارفنجر قد رسمها لجمهوره ابن القرن السابع عشر، صورة، بامتياز، قبل-فجائعية، اشتهاء-مَوْتية، منهَكة حسيا، فجائية، لاذعة قليلا، لهاوية الحرب الأهلية التي كانت تنتظرهم، باردة وعويصة، بعد بضع سنوات لا أكثر.

إذن، كان «أنجيلو»، دوق «سكواموجليا» الشرير، ربما قبل فتح الستار بعشر سنوات قد قتل جاره دوق «فاجيو» الطيب، عن طريق تسميم قدمي صورة للقديس «نارسيسوس»، أسقف أورشليم، في كنيسة البلاط الصغيرة، القدمين اللتين اعتاد الدوق تقبيلهما كل أحد في القداس. هذا يمكِّن الابن غير الشرعي الشرير، «باسكال»، من الاستيلاء على السلطة بوصفه وصيا على أخيه غير الشقيق «نيكولو» الوريث الشرعي والبطل الطيب في المسرحية، حتى يبلغ السن القانونية. بالطبع لا ينوي باسكال أن يتركه يعيش حتى تلك السن. وهكذا، يتآمر باسكال مع دوق سكواموجليا من أجل التخلص من نيكولو الصغير عن طريق اقتراح لعبة «استغمّاية» ثم الاحتيال عليه لكي يختبئ داخل مدفع ضخم، ومن ثم يقوم أحد أتباعه بإطلاقه، لينفجر الطفل، كما يتذكر باسكال لاحقا، متأسفا، في الفصل الثالث:

في الخارج تحت المطر الدموي الذي ينهمر لتغذية حقولنا

وسط جئير «الهاذيات» بأغنية النطرون

واللحن المحوري للكبريت

ومنبع أسفه أن تابعه، المتآمر اللطيف المدعو «إركولي»، ينضم سرّا إلى عناصر من المنشقين في بلاط فاجيو يريدون الإبقاء على نيكولو حيا، ومن ثم يدبر أن يحشو المدفع بعنزة صغيرة بدلًا منه، وفي تلك الأثناء يهرب نيكولو من القصر الدوقي متنكرا في زي قوّادة عجوز.

t.me/ktabpdf مكتبة

تتكشف هذه الأمور في المشهد الأول، بينما يُسِر نيكولو بتاريخه لصديقه، دومينيكو. عند تلك النقطة كان نيكولو قد صار يافعا، يتسكع في بلاط قاتل أبيه، الدوق أنجيلو، متنكرا في زي مرسال خاص من آل «ثورن وتاكسيس»[1]، التي كانت في ذلك الوقت تحتكر الخدمات البريدية في معظم أرجاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ما يسعى إليه، ظاهريا، هو فتح سوق جديدة، إذ كان دوق سكواموجليا الشرير يرفض رفضا باتا، حتى مع الأسعار الأقل والخدمة الأسرع لمنظومة «ثورن وتاكسيس»، أن يكلف أحدا باستثناء رسله الخواص بالتواصل مع عميله باسكال هناك في فاجيو المجاورة. أما السبب الحقيقي لتلكؤ نيكولو هناك فهو بالطبع رغبته في الإيقاع بالدوق.

في ذلك الوقت، كان الدوق أنجيلو الشرير يخطط لدمج دوقيَّتيْ سكواموجليا وفاجيو، عن طريق تزويج الأنثى الوحيدة العزباء من الأسرة الملكية، شقيقته «فرانسيسكا»، من باسكال مغتصب العرش الفاجيوني. العقبة الوحيدة في طريق هذا الارتباط كانت أن فرانسيسكا هي أم باسكال- إذ كان وصالها غير الشرعي مع دوق فاجيو السابق الطيب هو أحد الأسباب التي دعت أنجيلو لتسميمه من الأساس. ثمة مشهد مسلٍّ تحاول فيه فرانسيسكا برقّة تذكير شقيقها بالتابوهات الاجتماعية ضد سفاح المحارم. ويرد أنجيلو بأنها قد نسيت فيما يبدو هذه التابوهات على مدار السنوات العشر التي ظلا فيها يمارسان علاقتهما هما الاثنان. سفاح قربى أو غيره، يجب أن تتم الزيجة؛ إذ لا بديل عنها لخططه السياسية طويلة المدى. تقول فرانسيسكا إن الكنيسة لن ترخّص بذلك أبدا. فيقول

---

(1) ثورن وتاكسيس Thorn and Taxis: بيت من النبلاء الألمان، كان له دور مهم في الخدمات البريدية في أوروبا القرن السادس عشر. وسيرد ذكره كثيرا في الرواية.

t.me/ktabpdf مكتبة

الدوق أنجيلو، إذن سوف أرشو أحد الكرادلة. في ذلك الوقت كان قد بدأ يتحسّس شقيقته ويعضعض رقبتها؛ ثم يتحول الحوار إلى شخصين محمومَيْن بشهوة متطرفة، وينتهي المشهد بالثنائي يسقطان على كنبة الديوان.

ينتهي الفصل نفسه بدومينيكو، الذي كان نيكولو قد بدأ الفصل بإفشاء سره له، وهو يحاول الدخول لرؤية الدوق أنجيلو وخيانة صديقه العزيز. لكن الدوق، بالطبع، في جناحه مشغول بدق مسماره، وأقصى ما يصل إليه دومينيكو هو مقابلة مساعد إداري يتبين أنه هو نفسه إركولي الذي سبق وأنقذ حياة نيكولو الصغير وساعده على الهرب من فاجيو. وهو الآن يعترف بذلك لدومينيكو، لكن بعد أن غرّر بهذا الواشي وجعله بحمق ينحني ويضع رأسه في صندوق أسود مثير للفضول، بحجة أن يريه صورة خليعة ثلاثية الأبعاد. وعلى الفور تُطبق ملزمة من الصلب على رأس دومينيكو الخائن ويكتم الصندوق صرخات الاستنجاد الصادرة منه. يربط إركولي يديه وقدميه بأربطة حرير قرمزية، ويخبره مع من تورط، ثم يمد يده إلى داخل الصندوق بقصَّافة، ويقطع لسان دومينيكو، ويطعنه مرتين، ويصب دورقا من الماء الملكي[1] في الصندوق، ثم يعدّد قائمة من اللطائف الأخرى، بما في ذلك الإخصاء، التي سيتعرض لها دومينكو قبل أن يُسمح له بالموت، كل ذلك وسط صرخات ومحاولات للتوسّل بلا لسان، ومغالبة ملتاعة من الضحية. بينما يهرع إركولي واللسان مخوزق على رأس سيفه إلى مشعل مثبت على الحائط، ويشعل النار في اللسان ويلوّح به مثل مجنون، مختتما الفصل وهو يصرخ:

---

(1) الماء الملكي: باللاتينية في الأصل aqua regia: هو خليط من حمض النيتريك (ماء النار) وحمض الهيدروكلوريك. سمي كذلك لقدرته على إذابة العناصر «الملكية»، مثل الذهب والبلاتين.

مكتبة t.me/ktabpdf

إخصاؤك بلا رحمة هو ما يليق بك

هكذا يرى إيركولي، الروح القدس المهرِّج.

ها قد نزل الروح غير القدس

فلنبدأ عيد «عنصرتـ»ـك المرعب.

انطفأت الأنوار، ووسط السكون سمعت أوديبا صوتا مميزا من الصالة. «يع!» قالها ميتسجر. «هل نغادر؟».

قالت أوديبا: «أريد أن أعرف موضوع العظام».

كان عليه الانتظار حتى الفصل الرابع. الفصل الثاني ضاع أغلبه في التعذيب المطوَّل الذي انتهى بقتل أحد أمراء الكنيسة بعد أن فضّل الاستشهاد على الترخيص لفرانسيسكا بالزواج من ابنها. الاستقطاعات الوحيدة تأتي عندما يرسِل إركولي، الذي يتجسس على عذابات الكاردينال، مراسيل إلى العناصر الطيبة في فاجيو الذين في نفوسهم شيء من باسكال، يطلب منهم أن ينشروا بين الناس أن باسكال يخطط للزواج من أمه، حاسبًا أن ذلك يجب أن يهيّج الرأي العام بعض الشيء؛ ومشهد آخر يسمع فيه نيكولو، وهو يقضي النهار بصحبة أحد مراسيل الدوق أنجيلو، حكاية «الحرس المفقود» وهم مجموعة منتقاة من نحو خمسين فارس، زهرة الشباب الفاجيوني، الذين كانوا ذات يوم يعتلون صهوة جيادهم لحماية الدوق الطيب. ذات يوم، في مناورة بالقرب من حدود سكواموجليا، اختفوا جميعا من دون أثر، وبعدها بقليل تم تسميم الدوق الطيب. يعلق نيكولو الصريح، الذي كان دائما يجد صعوبة في إخفاء مشاعره، بأنه إن تبين أن ثمة رابط يجمع بين الحدثَيْن، ويمكن اقتفاء أثره إلى الدوق أنجيلو، يا صاح، فمن الأفضل للدوق أن يحتاط، أقول لك. يشعر المرسال الآخر، المدعو «فيتُّريو»، بالإهانة، فينتحّى جانبا ويتعهد

t.me/ktabpdf مكتبة

لنفسه أن يبلغ أنجيلو بهذا الكلام الغادر في أول فرصة. في هذه الأثناء، هناك في غرفة التعذيب، يجبَر الكاردينال الآن على النزيف في كأس القربان وعلى تكريس دمه هو، لا إلى الرب، وإنما إلى الشيطان. كذلك يقطعون إصبع قدمه الأكبر، ويجبَر على رفعه عاليا مثل القربان والقول: «هذا جسدي»، بينما أنجيلو سريع البديهة يلاحظ أن تلك هي أول مرة ينطق فيها بالحقيقة بعد خمسين عاما من الكذب الممنهج. إجمالا، كان مشهدًا ضد-كهنوتي بامتياز، ربما كان يُقصد به رشوة البيوريتان في ذلك العصر (وهي بادرة لا قيمة لها حيث لم يكن أحد منهم يذهب إلى المسرحيات، إذ كانوا يرونها لسبب ما نوعا من الفسق).[1]

الفصل الثالث تجري أحداثه في بلاط فاجيو، ويضيع في قتل باسكال، كتتويج لانقلاب حرّض عليه عملاء إركولي. وبينما تحتدم المعركة في الشوارع خارج القصر، ويُحبس باسكال في دفيئته الغرّاء، أثناء كان منغمسا في حفلة ماجنة. من بين المجوِّدين في هذه العربدة قرد استعراضات أسود قوي، جُلب من رحلة حديثة إلى الإنديز. بالطبع ثمة شخص داخل بدلة قرد، يقفز عند إشارة ما على باسكال من النَّجَفة، في تلك اللحظة تنقضّ على مغتصب العرش نصف دستة من مشخصّاتية النساء الذين ظلوا حتى الآن يتسكعون في هيئة فتيات راقصات، من جميع أنحاء الخشبة. وعلى مدار عشر دقائق تقريبا تشرع فرقة الانتقام هذه في ممارسة الجدع، والخنق، والتسميم، والحرق، والسحق، السمل، وغير ذلك على باسكال، بينما يصف هو بحميمية أحاسيسه المختلفة من أجل الترفيه عنّا. في النهاية يموت في عذاب رهيب، ويتقدّم إلى المسرح

(1) البيوريتان (التطهريون): طائفة بروتوستانتية أصولية في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت تسعى لتخليص الكنيسة الانجليزية من الممارسات الكاثوليكية.

t.me/ktabpdf مكتبة

المدعو «جينَّارو»، وهو نكرة تماما، ليعلن نفسه رئيسا موقَّتا للولاية حتى يُعثر على الدوق نيكولو السادس، الوريث الشرعي.

جاءت استراحة، وخرج ميتسجر متلكئا إلى البهو الصغير لكي يدخّن، واتجهت أوديبا إلى حمام السيدات. جالت ببصرها في فتور بحثا عن رمز سبق وأن رأته تلك الليلة في «سكوب». لكن، لدهشتها، كل الحوائط كانت خالية. لم تستطع أن تحدد السبب، لكنها شعرت بالخطر من هذا الغياب حتى لمحاولة التواصل الهامشية المعروفة بها المراحيض.

في الفصل الرابع من «مأساة مرسال» يظهر الدوق أنجيلو الشرير في حالة هياج عصبي. لقد عرف بأمر الانقلاب في فاجيو، واحتمال أن يكون نيكولو حيا في مكان ما في نهاية الأمر. كانت قد وصلته معلومة أن جينارو يجيِّش قوة لغزو سكواموجليا، وكذا شائعة بأن البابا على وشك التدخل بسبب قتل الكاردينال. وإذ وجد الدوق نفسه محاطًا بالخوَنة من كل جانب، يأمر إركولي، الذي لم يشتبه بعد في دوره الحقيقي، باستدعاء مرسال «ثورن وتاكسيس» أخيرا، ظنًّا منه أنه لم يعد يستطيع الوثوق برجاله. يجلب إركولي نيكولو لتلبية رغبة الدوق. يخرج أنجيلو ريشة، وورقًا جلديا، وحبرا، شارحا للجمهور ولكن ليس للرجلين الطيبين، اللذين لا يزالان جاهلين بالتطورات الأخيرة، أنه من أجل استباق غزو من جانب فاجيو، عليه أن يعجّل بطمأنة جينارو تجاه نواياه الطيبة. وفيما يخربش الكلمات تسقط منه ملاحظات ملغزة مشتتة بشأن الحبر الذي يستخدمه، توحي بأنه سائل شديد الخصوصية، مثل:

هذا المزيج المدْلَهِم في فرنسا يُكنى «أونكر»،

وفي ذلك يمكن لسكواموجليا أن تحاكي بلاد الغال،

فهو حقا «أونكر» [مرساة] ارتفعت، من أغوار سحيقة.

مكتبة t.me/ktabpdf

و

لم يخسر التمُّ إلا ريشةً منه جوفاء،
والضأن المنكود لم يخسر إلا لُحفته،
لكن ذلك الذي يسبح بداخله المبدَّل والمعتم والحريري،
لم يُقتلع، لا ولا سُلخ بقساوة،
بل استُخلص من بهائم ليس بينها شَبَه.

وكل ذلك يسبّب له متعة فائقة. تكتمل الرسالة إلى جينارو وتُختم. يدسّها نيكولو في صدرته وينطلق إلى فاجيو، جاهلا لا يزال، شأنه شأن إركولي، بالانقلاب وقرب إعادته إلى العرش بوصفه الدوق الشرعي لفاجيو. ينتقل المشهد إلى جينارو، على رأس جيش صغير، في الطريق لغزو سكواموجليا. يتردد كلام كثير يوضح أن أنجيلو إن أراد السلام فسيكون عليه إرسال رسول يعلمهم بذلك قبل أن يصلوا إلى الحدود، وإلا فإنه سوف يضطرهم إلى أن يمسحوا به الأرض. هناك في سكواموجليا، يبلغ فيتوريو، مرسال الدوق، سيده كيف تكلم نيكولو كلام الخونة. ثم يقتحم شخص آخر القصر حاملا خبر العثور على دومينيكو، صديق نيكولو الخائن، ممثلا بجثته؛ لكن كانت ثمة رسالة مدسوسة في حذائه، مكتوبة بالدم، تكشف عن هوية نيكولو الحقيقية. تثور ثائرة أنجيلو في غضب مدمّر، ويأمر بتعقب نيكولو والقضاء عليه. عند هذه النقطة من المسرحية، في الواقع، تصبح الأمور غريبة حقا، وتبدأ قشعريرة خفيفة، غموض ما، في السريان بين الكلمات. حتى تلك اللحظة كانت الأشياء تسمى بأسمائها، إما حرفيا أو مجازا. لكن الآن، بينما يصدر الدوق أمره القاتل، بدأ نسق جديد من التعبير يسود. نسق يمكن تسميته بالتردد الطقسي. حيث يتضح للجميع الآن أن ثمة أشياء لن تُنطق؛ أحداث معينة

t.me/ktabpdf مكتبة

لن تُعرَض على الخشبة؛ رغم أنه، بالنظر إلى فظائع الفصول السابقة، يصعب تخيل ماذا يمكن لتلك الأشياء أن تكون. الدوق لا ينوِّرنا، وربما لن ينوِّرنا. وحين يصرخ في فيتوريو يتضح تماما من الذي لن يتعقب نيكولو: حرّاسه الشخصيون الذين يصفهم في وجوههم بأنهم هوام، ومهرجون، ورعاديد. لكن من سيتولى مهمة التعقب؟ فيتورو يعرف: كل إمّعة في البلاط، يتسكع في اللباس الموحَّد لسكواموجليا ويتبادل «نظرات ذات مغزى»، يعرف. وأنجيلو يعرف، لكنه لا يقول. وأقرب ما يقول لا يلقي أي ضوء:

دعوه ذلك المتقنّع يلوذ بقبره،
هذا الاغتصاب الزهوق لاسم نبيل؛
سنرقص على إيقاع تمثيليته كأنها الحقيقة،
ننزع الخناجر في خِفة من «أولئك» الذين أقسموا على ألا ينام الثأر الزؤام
لئلا عند أوهى همسة من الاسم
الذي قد سلبه نيكولو الحلو، تضيع لحظة واحدة
في النزول بهلاك ماحق وبلا روح،
يجلّ عن الوصف...

عودة إلى جينارو وجيشه. يصل جاسوس من سكواموجليا ليخبرهم أن نيكولو في الطريق. فرحة عارمة، في وسطها يتوسل جينارو، الذي نادرا ما يتحاور، وإنما يتفاصح فحسب، للجميع لكي يتذكروا أن نيكولو لا يزال يعتلي جواده تحت راية «ثورن وتاكسيس». تنقطع الهتافات. مرة أخرى، كما في بلاط أنجيلو، تسري قشعريرة غريبة. ويفهم كل من على الخشبة (والواضح أن المخرج طلب منهم ذلك)، أن ثمة احتمال ما.

جينارو، الذي ينوِّرنا أقل حتى مما فعل أنجيلو، يدعو أن يشمل الرب والقديس نارسيسوس نيكولو بحمايتهما، ثم يمضون جميعا في طريقهم. يسأل جينارو أحد قواده أين هم؛ ويتبين أنهم على بعد فرسخ أو نحو ذلك من البحيرة التي شوهد عندها «حرس فاجيو المفقود» آخر مرة قبل اختفائهم الغامض.

في هذه الأثناء، في قصر أنجيلو، كان إركولي الماكر يعيش آخر لحظات حياته. إذ واجهه فيتوريو ومعه نصف دستة من الرجال، واتُّهم بقتل دومينيكو. راح الشهود يتقدمون في خيلاء، تجري محاكمة صوَرية، ويلقى إركولي مصرعه بطعن جماعي منعش في بساطته.

كذلك نرى نيكولو، في المشهد التالي، للمرة الأخيرة. لقد توقف للاستراحة بجوار شاطئ بحيرة في الموقع الذي اختفى فيه، كما يتذكر أنه سمع، الحرس الفاجيوني. يجلس تحت شجرة، يفتح خطاب أنجيلو، ويعرف أخيرا بأمر الانقلاب وموت باسكال. يدرك أنه في طريقه إلى استعادة العرش، وإلى محبة دوقية كاملة، وإلى تحقيق كل آماله النبيلة. مستندا إلى الشجرة، يقرأ أجزاء من الخطاب بصوت عال، ويعلّق، ساخرا، على حفنة الأكاذيب السافرة التي أُلّفت لطمأنة جينارو إلى أن يتمكن أنجيلو من حشد جيش من السكواموجليين لغزو فاجيو. خارج الخشبة يتعالى وقع أقدام. ينتفض نيكولو واقفا، يحدق في أحد الممرات الشعاعية، يداه متجمدتان على مقبض سيفه، يرتعش ولا يستطيع النطق، فقط يتعتع، في ما يبدو أقصر سطر كُتب في تاريخ الشعر المنثور: «ت-ت-ت-ت...». ثم، وكأنما يحاول الخروج من حالة شَلَل حُلمية، يبدأ، وكل خطوة حمل ثقيل، في التراجع. فجأة، في صمت رخو رهيب، برشاقة الراقصات، يدخل إلى الخشبة ثلاثة أشخاص، طوال الأطراف، حركاتهم أنثويّة، يرتدون ملابس سوداء: سراويل وبزّات ضيقة،

وقفازات، وجوارب حريرية سوداء مسحوبة على وجوههم، يدخلون متواثبين ثم يتوقفون، محدقين فيه. وجوههم خلف الجوارب مظللة وشائهة. ينتظرون. ثم تنطفئ كل الأنوار.

هناك في سكواموجليا يحاول أنجيلو أن يحشد جيشا، من دون نجاح. يائسا، يجمع من تبقى من الإمعات والفتيات الجميلات، يقفل كل المخارج بشكل طقوسي، يأمر بجلب النبيذ، وتبدأ حفلة جنس جماعي. ينتهي الفصل بقوات جينارو وهي على أهبة الاستعداد على شواطئ البحيرة. يأتي مجنَّد ويفيد بالعثور على جثمان، تبين أنه لنيكولو من الحجاب المعلق في رقبته منذ الطفولة، في وضع أبشع من أن يوصف. مجددا يعم الصمت وينظر الجميع إلى الجميع. يسلّم الجندي لجينارو رقًّا ملفوفا، ملطخا بالدماء، عثر عليه فوق الجثة. من الختم الذي خُتم به نفهم أنه الخطاب الذي كتبه أنجيلو وكان نيكولو يحمله. يلقي جينارو نظرة عليه، ثم ينتبه فجأة وينظر ثانية، يقرأه بصوت عال. لم يعد ذلك النص المليء بالترهات الذي قرأ نيكولو مقتطفات منه، ولكنه تحول الآن بمعجزة إلى اعتراف مطوَّل من أنجيلو بكل جرائمه، مختتما بالكشف عن حقيقة ما أصاب «حرس فاجيو» المفقود. المفاجأة أنهم ذُبحوا جميعا على يد أنجيلو وألقوا في البحيرة. لاحقا انتُشلت عظامهم وحُوّلت إلى فحم، والفحم إلى حبر، ذلك الذي استخدمه أنجيلو، بحس دعابته الخبيث، في كل رسائله التالية إلى فاجيو، بما فيها هذه الرسالة.

لكن عظام هؤلاء الأطهار الآن

امتزجت بدماء نيكولو،

والطهر بالطهر اقترن،

قرانا ما أنجب إلا معجزة:

t.me/ktabpdf مكتبة

كذبة عُمرٍ دنيئة، كُتبت مجددا فصارت حقيقة.

حقيقة نقف عليها جميعا شهودا.

هذا الحرس الفاجيوني، هذا الفقيد النبيل.

في حضرة المعجزة يخرّ الجميع على ركبهم، يباركون اسم الرب، ويرثون نيكولو، ويتعاهدون على دك سكواموجليا دكًّا. لكن جينارو ينهي كلامه بملاحظة يائسة، ربما مثلت صدمة حقيقية للجمهور الأصلي، إذ إنها تنطق أخيرا بالاسم الذي لم ينطق به أنجيلو والذي حاول نيكولو أن يتفوَّه به:

ذلك الذي عِلِمنا أخيرا أنه «ثورن وتاكسيس»

لا سيِّدَ له الآن إلا ذؤابة الخنجرْ.

والبوق الذهبي الذي كان معقودا يوما، مُضمَرْ.

إن السماء المقدسة بنجومها لن تقف حرسًا

لذلك الذي عقد مع «تريسترو» حلفًا.[1]

«تريسترو». ظلت الكلمة عالقة في الهواء مع نهاية الفصل وانطفاء الأنوار للحظة؛ عالقة في الظلام لتحير أوديبا ماس، لكنها لما تفرض عليها سلطانها بعد، ذلك الذي ستفرضه لاحقا.

الفصل الخامس، وهو حاشية زائدة بأكمله، استُهلك في حمّام الدم الذي يزوره جينارو في بلاط سكواموجليا. وفيه يُستعرض كل ما يمكن من

---

(1) الأصل:

He that we last as Thurn and Taxis knew/ Now recks no lord but the stiletto's Thorn/ And Tacit lies the gold once knotted horn./ No hallowed skein of stars can ward, I trow,/ who's once been set his tryst with Trystero.

ويتضح الجناس في عبارتي Thurn and Taxis، وThorn and Tacit، وكذلك بين كلمتي tryst وTrystero.

t.me/ktabpdf مكتبة

وسائل القتل العنيفة أمام رجل عصر النهضة، بما في ذلك الإذابة في محلول قلوي، والألغام الأرضية، وصقر مدرَّب بمخالب مسمَّمة. الأمر يبدو، كما لاحظ ميتسجر لاحقا، مثل فيلم كارتون لنقّار الخشب لكن بسطور شعرية. في نهاية الفصل كان الشخص الوحيد تقريبا التي تُرك على قيد الحياة على الخشبة المكتظة بالجثث هو الحاكم الذي ليس له طعم، جينارو.

وفقا للبرنامج، فإن «مأساة مرسال» من إخراج «راندولف دريبليت»، الذي لعب كذلك دور جينارو المنتصر. قالت أوديبا: «اسمع يا ميتسجر، تعال معي إلى الكواليس».

قال ميتسجر، مستعجلا الرحيل: «أتعرفين أحدا منهم؟».

«أريد أن أعرف شيئا. أريد أن أتكلم مع دريبليت».

«أوه، عن العظام». بدا متفكرًا.

قالت أوديبا: «لا أعرف. لقد أربكني الأمر. هذا الشبه الكبير بين الحادثتَين».

قال ميتسجر: «طيب، وماذا بعد ذلك، تعتصمين في إدارة المحاربين القدماء؟ تنظّمين 'مسيرة واشنطن'؟[1] ثم رفع رأسه مخاطبا سقف المسرح الصغير، فاستدارت له بعض رؤوس المغادرين «ليحرسني الرب من هاته البنات الليبراليّات ذوات التعليم الكبير والعقول الطريَّة والقلوب الجريحة. أنا في الخامسة والثلاثين من عمري، وقد كبرتُ على ذلك».

همست أوديبا، محرجة: «ميتسجر. أنا من 'الشبان الجمهوريين'».[2]

---

(1) مسيرة واشنطن: هي المسيرة الحاشدة التي نظمت في واشنطن العاصمة عام 1963، وشارك فيها نحو 200 ألف شخص، وألقى فيها «مارتن لوثر كينج» خطبته الشهيرة I have a dream.

(2) الشبان الجمهوريون: منظمة أعضاؤها من شباب الحزب الجمهوري (بين 18 و40 سنة).

مكتبة
t.me/ktabpdf

رد ميتسجر وقد ازداد صوته علوًّا: «قصص ’هاب هاريجان‘ المصوَّرة، وهي قصص كبيرة عليها أصلا، ’جون وين‘ وهو يذبح عشرة آلاف ياباني بأسنانه بعد ظهيرة أحد أيام السبت[1]، هذه هي الحرب العالمية الثانية بالنسبة لأوديبا ماس، يا رجل! البعض اليوم يستطيع قيادة سيارات فولكس، ويحملون راديو ’سوني‘ في جيوب قمصانهم. ليست هذه يا جماعة، هذه تريد أن تصحح الأخطاء، بعد أن ينتهي كل شيء بعشرين عاما. أن توقظ الأشباح. كل ذلك من مناقرة مخمورة مع ماني دي بريسو. ناسية أن ولاءها الأول، القانوني والأخلاقي، للتركة التي تمثلها. ليس لأولادنا ذوي الزي الموحد، أيًّا كان نبلهم، وأينما ماتوا».

احتجت قائلة «ليس الأمر كذلك. لا يعنيني ما تستخدمه بيكونسفيلد في فلاترها. لا يعنيني ماذا اشترى بيرس من الكوسا نوسترا. لا أريد التفكير في ذلك. ولا في ما حدث في لاجو دي بييتا، ولا في السرطان...»، نظرت حولها بحثا عن الكلمات، وشعرت بالعجز.

«ماذا إذن؟»، تحداها ميتسجر، وهو ينهض على قدميه ويحوم فوقها. «ماذا؟».

قالت، بشيء من اليأس: «لا أعرف. ميتسجر، لا تُثقل عليّ. قف بجانبي».

«ضد من؟»، تساءل ميتسجر، وهو يضع نظارته الشمسية.

«أريد أن أرى إن كانت هناك صلة. أشعر بالفضول».

قال ميتسجر: «تشعرين بالفضول. سوف أنتظر في السيارة، حسنًا؟».

تابعته أوديبا وهو يغيب عن الأنظار، ثم ذهبت لتبحث عن غرف تغيير

---

(1) هاب هوريجان: قصص مصورة أمريكية، بطلها يحمل الاسم نفسه، عندما اندلعت الحرب بدأت في اتخاذها موضوعا لحبكاتها. وجون وين: ممثل أمريكي شهير.

مكتبة t.me/ktabpdf

الملابس؛ دارت في الممر المستدير في الخارج مرتين قبل أن تستقر على باب في ظل مساحة فاصلة بين مصباحين علويين. دخلت على فوضى ظريفة وناعمة، الانطباع بأن ثمة انبعاثات، إشارات داخلية متبادلة، بين الهوائيات الفرعية لكل طرف عصبي مكشوف لدى كل فرد. فتاة تزيل دمًا زائفا عن وجهها أشارت لأوديبا أن تدخل مكانا محاطا بالمرايا المضاءة بأنوار ساطعة. شقّت طريقها، مزيحة عضلة ساعد متعرقة وستائر موقّتة من شعور متأرجحة، حتى وقفت في النهاية أمام دريبليت، وكان لا يزال في زي جينارو الرمادي.

قالت أوديبا: «كان عرضا رائعا».

«تحسسي»، قالها دريبليت وهو يمد لها ذراعه. تحسسته. كان زي جينارو مصنوعا من الفانلة الرمادية. «يجعلك تتعرقين وكأنك في الجحيم، لكن لولا ذلك لما أمكن تشخيصه. صح؟».

أومأت أوديبا برأسها. لم تستطع أن تكف عن النظر في عينيه. كانتا سوداوين لامعتين، محاطتين بشبكة لا تصدق من الخطوط، مثل متاهة معملية لدراسة الذكاء في الدموع. بدا أنهما تعرفان ما تريد، حتى وهي نفسها لا تعرف.

قال: «جئتِ للكلام عن المسرحية. دعيني أحبطك. لقد كُتبت للترفيه عن الناس. مثل أفلام الرعب. إنها ليست أدبا، ولا تعني أي شيء. وارفنجر لم يكن شكسبير».

قالت: «ومن كان؟».

«من كان شكسبير. كان منذ زمن بعيد».

«هل يمكنني رؤية النص؟». لم تكن تعرف عن ماذا تبحث بالضبط. أشار لها دريبليت إلى خزانة ملفات بجوار الـ«دوش» الوحيد.

مكتبة t.me/ktabpdf

قال: «الأفضل أن آخذ حماما. قبل أن يأتي الجماعة للفرجة على مؤخّرتي[1]. النصوص في الدرج العلوي».

لكنها لم تجد إلا نُسخا قرمزية، بالية، ممزقة، ملطخة بالقهوة. لم يكن هناك شيء آخر في الدرج. صاحت به داخل الدوش: «هيه. أين الأصل؟ ممن صنعتَ هذه النسخ؟».

رد دريبليت صائحا: «من كتاب بغلاف ورقيّ[2]. لا تسأليني عن الناشر. لقد وجدته في محل 'زاف للكتب المستعملة' هناك بالقرب من الطريق السريع. إنه أنطولوجيا، 'مسرحيات الثأر اليعقوبية'. غلافه عليه جمجمة».

«هل يمكنني استعارته؟».

«شخص ما أخذه. تلك الحفلات الليلية المفتوحة. أفقد على الأقل نصف دستة كتب كل مرة». أخرج رأسه من الدوش. كان بقية جسده ملفوفا بالبخار، ما جعل رأسه أشبه ببالون طاف في منظر مخيف. قال بحرص، وهو يحدق فيها باستمتاع كبير: «كانت توجد نسخة أخرى هناك، ربما لا تزال عند زاف، هل تستطيعين الوصول إلى المكان؟».

تحرك شيء في أحشائها، رقَص لوهلة، ثم اختفى. «هل تتلاعب بي؟». لبرهة ظلت عيناها المغضنتين تحدقان في عينيه.

أخيرا قال دريبليت: «لماذا أصبح الجميع مهتمين بالنصوص إلى هذه الدرجة؟».

---

(1) في الأصل «جماعة أوقِع الصابونة»، وهو مصطلح شائع في السجون، أن يوقع النزيل الصابونة أثناء الاستحمام، ثم ينحني لالتقاطها، فيحدث له ما لا يحمد عقباه.

(2) كتاب بغلاف ورقي paperback: هو الطبعة الأرخص، مقارنة بالكتاب ذي الغلاف المقوى hardcover، وسوف يفرق هذا النص بين مختلف أنواع الكتب، لذا لزم التنويه.

t.me/ktabpdf مكتبة

«من أيضا؟». كان ذلك أسرع من اللازم. ربما كان يتكلم بوجه عام فحسب.

تأرجح رأس دريبليت إلى الخلف والأمام، «لا تدخلونني في نزاعاتكم الأكاديمية»، مضيفا بابتسامة مألوفة «أيا كنتم جميعا». أدركت أوديبا لحظتها، وجلدها يقشعرّ وكأنما من أثر ملامسة أصابع جثة باردة، إنها النظرة نفسها التي درَّب فرقته على أن يتبادلوها كلما أثير موضوع سفّاحي «تريسترو». نظرة العارف التي تراها في أحلامك من شخص بغيض. قررت أن تسأل عن هذه النظرة.

«هل وردَ ذلك في إرشادات الإخراج؟ أن يبدو كل هؤلاء وكأنهم يعرفون شيئا ما؟ أم كانت تلك واحدة من لمساتك».

قال لها دريبليت: «كانت تلك إضافة مني. وأيضا فكرة إظهار ثلاثة سفاحين على الخشبة في الفصل الرابع. وارفنجر لم يظهرهم على الإطلاق، تعرفين».

«ولماذا فعلت ذلك؟ هل سمعت عنهم في مكان آخر؟».

ثارت ثائرته: «أنت لا تفهمين. أنتم تشبهون البيوريتان في نظرتهم للكتاب المقدس. تتعلقون كثيرا بالكلمات، الكلمات. تعرفين أين توجد المسرحية؟ ليس في خزانة الملفات، ليس في الكتاب الذي تبحثين عنه، وإنما»- خرجت يد من بين حجاب بخار الحمام لتشير إلى رأسه المعلقة- «هنا. هذا هو دوري. أن أمنح الروح جسدا. الكلمات، من يهتم بها؟ إنها ليست سوى لغط مكرور يمسك السطور معا، ليخترق المتاريس العظمية المحاطة بذاكرة الممثل، صح؟ لكن الحقيقة كامنة داخل هذا الرأس. رأسي. أنا من يعرضِ الفيلم على جدران القبّة السماوية، كل الكون الصغير المحدود المعروض في دائرة خشبة المسرح الصغيرة يخرج من فمي، ومن عينيّ، وأحيانا من ثقوب أخرى أيضا».

لكنها ما كانت لتترك الأمر عند هذا الحد. «ما الذي يجعلك ترى هذا الشيء بشكل مختلف عما رآه وارفنجر؟ هذا التريسترو؟». عند هذه الكلمة، اختفى وجه دريبليت فجأة، عائدا إلى داخل البخار. وكأنه انطفأ. لم تكن أوديبا تريد ذلك، لم تكن تريد النطق بالكلمة. كان قد استطاع أن يخلق حولها نفس هالة التردد الطقسية هنا، خارج الخشبة، كما فعل على الخشبة.

استبصر الصوت خارجا من وسط البخار المنجرف: «لو ذبتُ الآن في مكاني، وانجرفتُ مع مياه الصرف إلى الباسيفيك، لاختفى أيضا ما رأيتِه الليلة. لاختفيت أنتِ أيضا، وهذا الجزء شديد الاهتمام منك بذلك العالم الصغير، يعرف الله كيف. الحقيقة أن الأثر الباقي الوحيد سيكون تلك الأشياء التي لم يكذب وارفنجر بشأنها. ربما سكواموجليا وفاجيو، لو كان قد سبق لهما أن وجِدا أصلا. ربما منظومة 'ثورن وتاكسيس' البريدية. هواة جمع الطوابع يقولون لي إنها كانت موجودة بالفعل. ربما الآخر أيضا. 'الغريم'. لكن ستكون ثمة آثار، حفريات. ميتة، جامدة، بلا حول ولا قوة.

«يمكنك الوقوع في غرامي، يمكنك التحدث إلى طبيبي النفسي، يمكنك إخفاء جهاز تسجيل في غرفة نومي، لتعرفي عمَّ أتكلم حيثما أكون في منامي. تريدين ذلك؟ تستطيعين تجميع الخيوط، تطوير نظرية، أو نظريات، عن السبب الذي جعل الشخصيات تتصرف مع فرضية تريسترو كما تصرَّفَت، لماذا ظهر السفاحون، لماذا الملابس السوداء. بإمكانك أن تضيعي حياتك بأكملها على هذا النحو من دون أن تلمسي الحقيقة قط. لقد وفَّر وارفنجر الكلمات وحكاية مغزولة. وأنا منحتها الحياة، هذا هو كل شيء». غرق في الصمت. وراح الدوش يرشش.

بعد برهة، صاحت أوديبا: «دريبليت؟».

ظهر وجهه لثوان. «نستطيع أن نفعل ذلك». لم يكن يبتسم. كانت عيناه تنتظران، وسط شبكتيْهما.

قالت أوديبا: «سأتصل بك». غادرت، ولم تراودها الفكرة إلا وهي في الخارج: لقد دخلت إلى هناك لأستفسر عن العظام وبدلا من ذلك تكلمنا عن هذا الـ«تريسترو». وقفت في ساحة انتظار مهجورة تقريبا، تراقب المصابيح الأمامية لسيارة ميتسجر وهي تقترب منها، وتتساءل إلى أي حد كان الأمر صدفة.

كان ميتسجر يستمع إلى راديو السيارة. دخلت وجلست إلى جانبه مسافة ميلين قبل أن تدرك أن نزوات الاستقبال الإذاعي الليلي تجلب إليهم محطة KCUF من كينريت، وأن الدي جيه الذي يتكلم هو زوجها، موتشو.

4

رغم أنها زارت مايك فالوبيان ثانية، وتعقبت نص «مأساة مرسال» لبعض الوقت، اتضح أن هذه المتابعة لم تشغل بالها كما شغله ما تكشَّف بعد ذلك من أمور بدا الآن أنها تتهافت أضعافا مضاعفة، وكأنها ما إن تجمع معلومات أكثر حتى ينهمر عليها المزيد، إلى أن يصبح كل ما تراه، وتشمّه، تحلم به، وتتذكره، مغزولا على نحو ما داخل الـ«تريسترو».

بداية، قرأت الوصية بمزيد من التمعّن. فإذا كانت الوصية بحق محاولة من بيرس ليترك شيئا منظما بعد فنائه هو نفسه، لكان إذن من واجبها، أليس كذلك، أن تُنعم بالحياة على ما تبقّى، وأن تحاول أن تكون ما كانه دريبليت، الآلة المظلمة في مركز القبّة السماوية، وأن تحوّل التركة إلى «معنى» نابض مليء بالنجوم، في قبة عالية من حولها. فقط لو كان طريقها خاليا من كل تلك العقبات: جهلها التام بالقانون، بالاستثمار، بالعقارات، وأخيرا بالمتوفى نفسه. الصك الذي جعلتها محكمة التركات ترسله ربما كان تقييمهم بالدولار للمبلغ الذي يقف في طريقها. تحت الرمز الذي كانت قد نسخته عن حائط المرحاض في «سكوب» في دفتر مذكراتها، كتبَت: «هل عليّ أن أطرح عالما [من آلة عرض]؟». إذا لم يكن طرحًا، فربما على الأقل تُسلّط على القبة سهما يتعقب في مساره كويكبات التنين، الحوت، الصليب الجنوبي. أي شيء قد يفيد.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان شعورا من هذا النوع هو ما أيقظها مبكرا ذات صباح لتذهب إلى اجتماع حاملي أسهم يويوداين. لم يكن لديها ما يمكن أن تفعله هناك، لكنها شعرت أن ذلك قد يخلصها قليلا من الهجوع. أعطوها شارة زوّار بيضاء مستديرة على إحدى البوابات، وأوقفت سياراتها في ساحة انتظار هائلة بجوار مبنى متنقل من طراز «كونسيت»[1] مدهون بطلاء وردي طوله نحو مائة ياردة. كان هذا المبنى هو كافيتريا يويوداين، حيث يعقد الاجتماع. على مدى ساعتين جلست أوديبا على مقعد طويل بين رجلين هرِمين ربما كانا توأمين بينما راحت أيديهما، بالتبادل (وكأنما صاحباها نائمين والأيدي المغطاة بالبثور والنمش تطوف بمناظر طبيعية حلمية) تسقط على فخذيها. حولهم جميعا، كان ثمة زنوج يحملون حاويات البطاطس المهروسة، والسبانخ، والجمبري، والكوسا، وعِرق اللحم، إلى مناضد التسخين بالبخار، الطويلة، اللامعة، المجهزة لإطعام عمال يويوداين في غزوة الظهيرة. استغرق العمل الروتيني ساعة، وعلى مدى ساعة أخرى عقد حملة الأسهم ووكلاؤهم وموظفو الشركة جلسة غناء يويودانية. وعلى ألحان النشيد المدرسي لجامعة «كورنيل»، راحوا يغنون:

ترنيمة

عاليا فوق طرق لوس أنجليس السريعة،

أعلى من ضوضاء السيارات والأنين،

ينتصب فرع «الجلاكترونيات» البديعة

---

(1) كونسيت Quonset: هو طراز من المباني الجاهزة مصنوع من الحديد، اسطواني الشكل، شاع في زمن الحرب العالمية الثانية لسهولة نقله وشحنه إلى أي مكان، واستخدم للأغراض العسكرية والمدنية على حد سواء.

مكتبة t.me/ktabpdf

لشركة يويودايِن.

حتى النهاية، نعاهدك عهدا

على أن نبقى مخلصين أبدا

لأجنحتك الوردية اللامعة الساطعة،

وأشجار نخيلك السامقة الصادقة.

ثم يقودهم رئيس الشركة، السيد كلايتون («بلودي») تشكلتس[1]؛ على ألحان «أورا لي»[2]:

المجموعة

صواريخ الأرض جو تبتكرها «بيندكس»،

و»أفكو» تبنيها بناءً.

«نورث أميريكان» و«جرومان» و«دوجلاس»

صاروا لها شركاءً.

«مارتن» تطلق الصاروخ من منصة،

ومن غواصة تطقه «لوكهيد».

وطائرات الـ«بايبر» تعجز

عن حمل قسم البحث والتجديد.

---

(1) كلايتون بلودي تشكلتس Clayton (“Bloody”)Chiclitz: يواصل المؤلف تلاعبه بالأسماء. فلدينا كلمة Bloody التي تعني «اللعين»، ثم لدينا كلمة Chiclitz، التي تنطق مثل Chiclets، ذلك اللبان الشهير الذي انتشر في الستينيات، ثم لدينا عبارة bloody chiclitz، وهي تعبير عامي عن «الفم الذي نال لكمة فسالت دماؤه»، وذلك للشبه بين «السنة» وبين «لبانة تشكلتس».

(2) أورا لي، أغنية غزل رومانسية من أيام الحرب الأهلية الأمريكية، غنى على لحنها «إلفس بريسلي» أغنية Love Me Tender.

«كونفير» تدعم الأقمار الصناعية

في مداراتها الدوارة؛

و»بوينج» تبني صاروخ «مينيوتمان»

ونحن نؤثر الأرض إيثارا.

يويودايْن، يويودايْن،

تهرب منك العقود، لكنني عليم

بأن وزارة الدفاع خوزقتك،

بدافع الثأر الزنيم.

والعشرات من المقطوعات المفضلة الأخرى التي لا تستطيع تذكر كلماتها. بعد ذلك قُسِّم المغنون إلى مجموعات بحجم الفصائل العسكرية من أجل القيام بجولة سريعة في المصنع.

على نحوٍ ما ضلت أوديبا طريقها. في لحظة كانت تتفرس في نموذج مصغر لكبسولة فضائية، يؤمِّنها كهول وسْنانون؛ وفي اللحظة التالية كانت وحيدة وسط دمدمة فلورسّنتية من النشاط المكتبي. كانت تنظر في كل اتجاه فلا ترى سوى الأبيض أو الباهت: قمصان الرجال، الأوراق، لوحات الرسم. لم يخطر ببالها إلّا أن تضع نظارتها الشمسية في مواجهة كل هذا الضوء، ثم تنتظر أن ينقذها شخص ما. لكن أحدا لم ينتبه. بدأت تهيم على وجهها بين الممرات وسط مكاتب مضاءة بمصابيح بيضاء، تنعطف عند زاوية بين آن وآخر. كانت الرؤوس ترتفع لدى سماع صوت كعبَيْها، المهندسون يحملقون حتى تجتازهم، لكن أحدا لم يتحدث إليها. انقضت خمس دقائق أو عشر على هذا النحو، والذعر يتنامى داخل رأسها: بدا لها أنه لا مخرج من هذه المنطقة. ثم، بالمصادفة (إذا سألت الدكتور هيلارياس، لاتهمها باستخدام المفاتيح الباطنية المتوافرة

في البيئة لكي تقودها إلى شخص معين) أو أيا كان، وجدت نفسها أمام المدعو «ستانلي كوتكس»، الذي كان يرتدي نظارة طبية بإطارات سلكية، وصندلا، وجوربا «كاروهات»، وبدا لها من أول لمحة أصغر من أن يعمل هنا. وكما تبين، لم يكن يعمل، وإنما فقط يشخبط بقلم «فلوماستر» هذه العلامة:

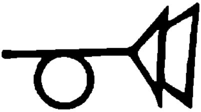

«هالو»، قالتها أوديبا، وقد أذهلتها المصادفة. ثم أضافت في نزوة «كيربي أرسلني»، حيث كان هذا هو الاسم المكتوب على حائط المرحاض. كان من المفترض أن يبدو صوتها متآمرا، لكنه خرج سخيفا.

«هاي»، قالها ستانلي كوتكس، وهو يُسقط بلباقة المظروف الكبير الذي كان يعبث عليه في دُرج مفتوح سرعان ما أغلقه. وإذ لمح الشارة التي تعلّقها أضاف: «ضللتِ طريقك، هه؟».

كانت تعرف أن الأسئلة المباشرة من قبيل: ما معنى هذا الرمز؟ لن تقودها إلى أي مكان. قالت: «أنا سائحة في الواقع. حاملة أسهم».

«حاملة أسهم». ألقى عليها نظرة سريعة، ثم علّق بقدمه كرسيا متحركا من المكتب المجاور ودفعه إليها. «اجلسي. هل تستطيعين فعلا التأثير على سياسة المكان، أو تقديم اقتراحات لا تُلقى في القمامة؟».

«نعم»، كذبت أوديبا، لترى إلى أين سيقودهما ذلك.

قال كوتكس: «انظري إذن إن كان باستطاعتك جعلهم يُسقطون الشرط الخاص ببراءات الاختراع. هذه، سيدتي، هي شكواي الكبرى».

قالت أوديبا: «براءات الاختراع؟». وشرح لها كوتكس كيف أن كل

t.me/ktabpdf

مكتبة

مهندس، لدى توقيع عقده مع يويوداين، يوقع أيضا على تنازل عن حقوق براءات أية اختراعات قد يبتكرها.

وأضاف كوتكس بمرارة: «هذا الأمر يخنق المهندس المبدع بالفعل عندك. حيثما كان».

قالت أوديبا، وهي تشعر بأن ذلك سيحفّزه: «لم أظن أن الناس ما زالوا يخترعون. أقصد، من ظَهر، حقا، بعد توماس أديسون؟ ألم تصبح هذه الأمور قائمة على العمل الجماعي الآن؟». كان «بلودي تشكلتس»، في كلمة الترحيب هذا الصباح، قد شدد على العمل الجماعي.

زمجر كوتكس: «العمل الجماعي هو أحد التوصيفات، نعم. ومعناه الحقيقي هو طريقة لتفادي المسؤولية. إنه عرَض من أعراض الجبن الذي أصاب المجتمع ككل».

قالت أوديبا: «يا ربي! هل يُسمح لك أن تتكلم بهذه الطريقة؟».

نظر كوتكس إلى يمينه ويساره، ثم دفع كرسيه ليقترب منها. «هل تعرفين 'آلة نيفاستس'؟». اتسعت عينا أوديبا. «طيب، لقد اخترعها 'جون نيفاستس'، الذي يعيش في بيركلي الآن. وجون هو شخص لا يزال يخترع أشياء. هاكِ. لدي نسخة من براءة الاختراع». من أحد الأدراج أخرج ربطة أوراق منسوخة، تُظهر صندوقا رُسم على أحد أجنابه «سكيتش» لرجل ملتح من العصر الفيكتوري، ومن قمته يخرج مكبسان متصلان بعمود تدوير وحذّافة.

سألت أوديبا: «من ذلك الملتحي؟». وشرح لها كوتكس أنه «جيمس كليرك ماكسويل»، عالم اسكتلندي شهير كان قد ابتكر فرضية تسلم جدلا بوجود كائن ذكي صغير الحجم، أسماه «عفريت ماكسويل». بإمكان العفريت أن يجلس في الصندوق بين جزيئات الهواء التي تتحرك في

مكتبة t.me/ktabpdf

سرعات عشوائية مختلفة، ويقوم بتصنيف الجزيئات السريعة والبطيئة وفصلها. الجزيئات السريعة لديها طاقة أكبر من البطيئة. ركزي عددا كافيا منها في مكان واحد وستصبح لديك منطقة عالية الحرارة. بعد ذلك يمكنك استخدام الاختلاف في درجات الحرارة بين هذه المنطقة الحارّة من الصندوق ومنطقة أكثر برودة، لتشغيل محرك حراري، وحيث إن العفريت لا يفعل أكثر من أن يجلس ويصنّف، لن يكون عليك إدخال أي شغل حقيقي في النظام. وهكذا تنتهكين القانون الثاني للديناميكا الحرارية، فتحصلين على شيء من لا شيء، ما يؤدي إلى حركة أبدية[1].

قالت أوديبا: «التصنيف ليس شغلا؟ قل ذلك لموظفين في مكتب بريد، وستجد نفسك في طرد متجه إلى فيربانكس، ألاسكا، من دون حتى أن يهتم أحد بوضع ملصق 'قابل للكسر' لأجلك».

قال كوتكس: «إنه شغل ذهني، لكنه ليس شغلا بالمعنى الديناميكي-الحراري». ثم بدأ يخبرها كيف أن آلة نيفاستس تحتوي على عفريت ماكسويل حقيقي. وأن كل ما عليك فعله هو التحديق في صورة كليرك ماكسويل، والتركيز على الاسطوانة التي تريد من العفريت رفع درجة الحرارة بداخلها، اليمنى أم اليسرى. عندها سيتمدد الهواء ويدفع عمود التدوير. ويبدو أن أكثر الصور التي حققت نجاحا هي تلك الصورة الفوتوغرافية المألوفة لـ«جمعية نشر الثقافة المسيحية»، التي تُظهر ماكسويل في بروفايل أيمن.

نظرت أوديبا حولها، من وراء نظارتها الشمسية، في حرص، محاولة

---

(1) جيمس كليرك ماكسويل (1831-1879) عالم في الفيزياء الرياضية، ونظرية «عفريت ماكسويل» المذكورة صحيحة. والقانون الثاني للديناميكا الحرارية يقضي باستحالة نقل الحرارة من جسم بارد إلى آخر ساخن إلا ببذل شغل من الخارج.

t.me/ktabpdf مكتبة

ألا تحرك رأسها. لم يكن أحد يوليهما أي انتباه: كان مكيّف الهواء يطنُّ، وآلات «آي بي إم» الكاتبة تتكتك، والكراسي المتحركة تصرُّ، والكتيبات الإرشادية الغليظة تُصفع مغلقة، وأسطوانات الرسوم التخطيطية تقعقع وهي تُفرَد وتُطوى، بينما تتألق بمرح من فوقهما مصابيح الفلوريسنت الساكنة الطويلة؛ كان كل شيء في يويوداين طبيعيا. إلا هنا، حيث كان على أوديبا ماس، من بين ألف شخص، أن تدخل بلا إكراه إلى حضرة الجنون.

قال كوتكس، وقد بدأ يتحمس لموضوعه: «ليس كل شخص يستطيع تشغيلها، بالطبع. فقط أولئك الذين يملكون الموهبة. 'الحسَّاسون' كما يسميهم جون».

أراحت أوديبا نظارتها على أنفها وأرمشت عينيها، مفكرة في استخدام الغنج للتملص من هذا الشصّ الحواري: «هل أصلح كشخص حسّاس في رأيك؟».

«هل تريدين تجربتها حقا؟ بإمكانك أن تكتبي له. إنه لا يعرف إلا القليل من الحسَّاسين. سوف يجعلك تجرّبين».

أخرجت أوديبا مفكرتها الصغيرة وفتحتها على الرمز الذي سبق ونسخته والكلمات «هل علي أن أطرح عالما؟». قال كوتكس: «صندوق رقم 573».

«في بيركلي».

«لا»، أصبح صوته غريبا، فرفعت رأسها، بحدّة بالغة، وعندها، محمولا بقوة دافعة معينة من التفكير، كان قد أضاف: «في سان فرانسيسكو، لا يوجد--» وعندها كان قد أدرك أنه ارتكب خطأ. فغمغم: «إنه يعيش في مكان ما في 'تليجراف'. لقد أعطيتك عنوانا خاطئا».

اقتنصت الفرصة: «إذن فعنوان 'ويست' لم يعد قائما». لكنها كانت قد نطقتها Waste مثل «نفاية». انعقد وجهه، قناع من عدم الثقة. أخبرها «اسمها W.A.S.T.E يا سيدتي، اختصار بالأحرف الأولى، وليس Waste، والأفضل ألّا نخوض في الأمر أكثر من ذلك».

اعترفت له: «لقد رأيتها في حمام السيدات». لكن ستانلي كوتكس لم يعد جاهزا للانخداع بمعسول الكلام.

«انسِ الأمر»، نصحها؛ وفتح كتابا وبدأ يتجاهلها.

من جهتها، كان واضحا أنها لن تنسى الأمر. وكادت تراهن على أن المظروف الذي رأت كوتكس يشخبط عليه ما ظنت أنه رمز WASTE قد جاء من جون نيفاستس. أو من شخص مثله. ومن بين كل الناس، كان من زركَش شكوكها هو مايك فالوبيان من «جمعية بيتر بنجويد».

لقد أخبرها بعد ذلك ببضعة أيام: «لا بد وأن كوتكس هذا هو جزء من جماعة سرية. جماعة من مضطربي العقول، ربما، لكن كيف يمكنك لومهم على إحساسهم ببعض المرارة؟ انظري إلى ما يحدث فيهم. في المدرسة يغسلون أدمغتهم، مثلنا جميعا، لكي يصدقوا أسطورة 'المخترع الأمريكي'- موريس وتلغرافه، بِل وهاتفه، أديسون ومصباحه، توم سويفت[1] وهذا أو ذاك. رجل واحد فقط لكل اختراع. ثم عندما يكبرون يكتشفون أن عليهم التوقيع على تنازل عن كل حقوقهم لحساب غول مثل يويوداين، وأن يَعلقوا في 'مشروع' أو 'قوة عمل' أو 'فريق' من نوع ما ثم يبدأوا في الانسحاق حتى يصيروا غُفلا مجهولين. لم يُرد لهم أحدٌ أن يخترعوا- وإنما أن يؤدوا فقط دورهم الصغير في طقس تصميم معدّ مسبقا لأجلهم في كتيب إجرائي ما. كيف سيكون حالك يا أوديبا لو

(1) توم سويفت: بطل سلسلة من الروايات العلمية للناشئين.

وجدت نفسك بمفردك تماما في كابوس مثل هذا؟ بالطبع يبقون معا، يبقون على تواصل. وحين يقابلون شخصا من نوعهم يستطيعون التعرف عليه. ربما يحدث ذلك مرة كل خمسة أعوام ليس أكثر، مع ذلك، فهم يتعرّفون عليه فورا».

ميتسجر، الذي كان قد جاء إلى «سكوب» ذلك المساء، أراد أن يجادل. فأبدى اعتراضه قائلا: «إنكِ يمينية جدا لدرجة أنك يسارية. كيف يمكن أن تكوني ضد مؤسسة تريد من العامل أن يتخلى عن حقوق براءة اختراعه؟ هذا يبدو لي مثل نظرية القيمة المضافة، يا صاحبتي، وأنت تبدين لي مثل ماركسية». ومع ازدياد سكرُهم تفكك هذا الحوار الجنوب كاليفورني النمطي أكثر وأكثر. جلست أوديبا وحيدة وواجمة. كانت قد قررت أن تأتي الليلة إلى «سكوب» ليس فقط بسبب لقائها مع ستانلي كوتكس، وإنما أيضا بسبب أشياء أخرى تكشّفت لها؛ لأنها قد بدأت ترى نسقا يظهر، نسقا له علاقة بالبريد وكيفية توصيله.

لقد كانت ثمة لافتة تاريخية برونزية على الجانب الآخر من بحيرة «فانجوسو لاجونز». وقد كتب عليها: في هذا الموقع، عام 1853، خاض دستة من رجال «ويلز وفارجو»[1] معركة جسور ضد عصابة من قطاع الطرق المقنَّعين في «أزياء سوداء موحَّدة» غامضة. ونحن مدينون بهذا الوصف لأحد خيَّالة البريد، الوحيد الذي شهد على المذبحة، وقد قضى بعدها بقليل. وكان المفتاح الوحيد صليبًا، رسمه أحد الضحايا على التراب. وإلى يومنا هذا لا يزال الغموض يكتنف هوية القتلة.

صليب؟ أم أنه حرف T؟ ذلك الذي ظل يتهته به نيكولو في «مأساة مرسال»؟ تأملت أوديبا في الفكرة. اتصلت براندولف دريبليت من كابينة

---

(1) ويلز وفارجو: شركة للخدمات المصرفية والبريدية تأسست عام 1852 بعد حمى الذهب.

هاتف، لترى إن كان يعرف بأمر حادثة «ويلز وفارجو» هذه؛ وإن كان هذا هو ما جعله يختار اللون الأسود زيا لسفّاحيه. رنَّ الهاتف على الجانب الآخر، في الفراغ. وضعت السماعة واتجهت إلى محل «زاف للكتب المستعملة»، تقدم إليها زاف بنفسه خارجا من مخروط من الضوء ينبعث من مصباح 15 واط ليساعدها على العثور على النسخة ذات الغلاف الورقي من الكتاب التي حكى لها دريبليت عنها «مسرحيات الثأر اليعقوبية».

قال لها زاف: «الطلب عليه كبير». وراحت الجمجمة على الغلاف تراقبهما، عبر الضوء الخافت.

هل كان يقصد دريبليت فقط؟ فتحت فمها لتسأل، لكنها لم تسأل. وستصبح تلك اللجلجة الأولى من بين لجلجات تالية كثيرة.

هناك في «ساحات الصدى»، وقد كان ميتسجر في لوس أنجليس لقضاء النهار في مشاغل أخرى، عرجت فورا على الذِّكر الوحيد لكلمة «تريسترو». أمام السطر الذي قرأته، كُتبت عبارة بالقلم الرصاص: «راجع أيضا الصيغة المغايرة في طبعة 1687». ربما دوَّنها أحد الطلبة. أبهجها ذلك على نحو ما. قراءة أخرى لهذا السطر قد تساعد على إلقاء المزيد من الضوء على الوجه المظلم للكلمة. وفقا لمقدمة قصيرة كان النص قد نُقل عن طبعة «فوليو»،[1] غير مؤرخة. الغريب أن المقدمة لم تكن موقَّعة. راجعت صفحة حقوق الطبع فوجدت أن الكتاب الأصلي ذي الغلاف المقوّى كان في الأصل كتابا مدرسيا: «مسرحيات فورد وويبستر وتورمير ووارفنجر»، من منشورات «ليسترن برس»، بيركلي، كاليفورنيا، سنة 1957. صبَّت لنفسها نصف قدح من الـ«جاك دانيالز» (وقد ترك

---

(1) فوليو: طريقة في الطباعة، حيث تطبع أربع صفحات فقط على الفرخ، ثم يُطوى. ويخرج الكتاب بمقاس كبير.

t.me/ktabpdf مكتبة

البارانوديون لهما زجاجة جديدة الليلة السابقة) وهاتفت مكتبة لوس أنجليس. راجعوا، لكن لم تكن لديهم الطبعة ذات الغلاف المقوّى. عرضوا أن يبحثوا في إمكانية اقتراضها لها من مكتبة أخرى. «انتظر»، واتتها فكرة للتو. «الناشر في بيركلي. ربما أجرّب معهم مباشرة». وكانت تفكر أنها تستطيع استغلال الرحلة أيضا في زيارة جون نيفاستس.

كانت قد صادفت اللافتة التاريخية فقط لأنها عادت، عامدة، إلى بحيرة إنفيراريتي ذات يوم، بفضل ذلك الذي يمكن أن تسميه الهاجس المتنامي، الذي يدفعها إلى «بذل شيء من نفسها»- حتى وإن كان ذلك الشيء مجرد تواجدها- لأجل شتات المصالح التي خلفها إنفيراريتي. سوف تُسبغ عليها نظاما، سوف تخلق كويكبات؛ في اليوم التالي قادت سياراتها إلى «دار فيسبرهافن»، وهي دار للمسنين كان إنفيراريتي قد أنشأها تزامنا مع انتقال يويوداين إلى سان نارسيسكو. في صالة الاستجمام الأمامية بدا لها أن ضوء الشمس يدخل من كل نافذة؛ وكان هناك شيخ هرم يؤمئ برأسه أمام فيلم كارتون معتم من إنتاج «لوين شلينسجر» على التلفزيون، وذبابة سوداء تتسكع على الأخدود الوردي المغطى بالقشرة الذي يشق القطاع المنسَّق من شعر الرجل. هرعت ممرضة بدينة داخلة تحمل عبوة من المبيد الحشري وصرخت في الذبابة أن تُقلع حتى تستطيع قتلها. ظلت الذبابة الحذرة في مكانها. صرخت في الكائن الصغير: «أنتِ تضايقين السيد 'ثوث'». انتفض السيد ثوث مستيقظا، وخضَّت حركته الذبابة فطارت، وانطلقت مذعورة ناحية الباب. تابعتها الممرضة وهي ترش السم.

قالت أوديبا: «هالو!».

أخبرها السيد ثوث: «كنت أحلم، بجدّي. رجل عجوز جدا، على الأقل في مثل عمري الآن، 91. عندما كنت صبيا كنت أظنه ظل في عمر

مكتبة t.me/ktabpdf

91 طيلة حياته. الآن أشعر»، ضاحكا، «وكأنني ظللت في عمر 91 طيلة حياتي. أوه، يا لتلك القصص التي قد يحكيها ذلك العجوز. كان من خيَّالة 'بوني اكسبرس[1]' زمان، أيام حمّى الذهب. وكان حصانه اسمه أدولف، أتذكر ذلك».

ابتسمت له أوديبا، وقد استثيرت حواسها وتذكرت اللافتة البرونزية، ابتسامة حفيدية وكأنها تعرف، وسألته: «هل اضطر في أي وقت لقتال قطاع الطرق؟».

قال السيد ثوث: «هذا العجوز القاسي كان سفّاحا للهنود. يا إلهي! كان اللعاب يسيل من شفته في خيط متصل كلما حكى عن قتل الهنود. لا بد وأنه كان يحب ذلك الجزء من العمل».

«وكيف رأيته في الحلم؟».

قال، ربما محرجًا: «أوه، هذا. كان مختلطا بكارتون 'الخنزير بوركي'». أشار إلى التلفزيون «إنه يدخل أحلامك. تعرفين؟ آلة وسخة. هل شاهدتِ حلقة الخنزير بوركي والأناركي؟».

كانت قد شاهدتها، في الواقع، لكنها قالت لا.

«الأناركي يرتدي زيًّا أسود في أسود. في الظلام لا ترين إلا عينيه. إنها حلقة من الثلاثينات. الخنزير بوركي صبي صغير. أخبرني الأطفال أن له ابن أخ الآن، 'شيشرو'. هل تتذكرين، أثناء الحرب، عندما كان بوركي يعمل في مصنع للإنتاج الحربي؟ هو و'الأرنب باجز'، هو الآخر كان جيدا».

حثته أوديبا لكي يكمل، «يرتدي زيا أسود في أسود».

حاول أن يتذكر، «كان مختلطا بالهنود إلى درجة كبيرة، هذا الحلم. كان الهنود يضعون ريشات سود، الهنود الذين لم يكونوا هنودا. جدّي

(1) بوني اكسبرس: شركة خدمات بريدية.

مكتبة t.me/ktabpdf

أخبرني بذلك. كانت الريشات بيضاء، لكن أولئك الهنود المزيفين كان يفترض بهم أن يحرقوا العظام وأن يقلِّبوا فحم العظام بريشاتهم حتى تسوَدّ. كان ذلك يجعلهم غير مرئيين في الليل، لأنهم كانوا يخرجون في الليل. هكذا عرف العجوز، عليه الرحمة، أنهم ليسوا جنودا. لا يمكن لهندي أن يهاجم في الليل. لأنه إذا قُتل ستظل روحه هائمة في الظلام إلى الأبد. الكفَّار!».

سألت أوديبا: «إذا لم يكونوا هنودا، فماذا كانوا؟».

قال ثوث وهو يعبس: «اسم أسباني، ومكسيكي أيضا. أوه، لا أتذكر. هل كتبوه على الخاتم؟». مد يده في حقيبة تريكو بجوار كرسيه وخرج ببَكَرة غزل زرقاء، وإبرات، وباترونات، وأخيرا بخاتم ذهبي باهت رأسه على شكل ختم. «قطعه جدي من إصبع واحد منهم بعد أن قتله. هل تتخيلين رجلا في الحادية والتسعين بهذه القسوة؟». حدقت أوديبا. كان رأس الختم مرة أخرى هو رمز WASTE.

نظرت حولها، وقد أرعبها منظر الشمس وهي تصب أشعتها عبر كل النوافذ، وشعرت أنها محاصرة في قلب بلورة معقدة التكوين، وقالت «يا إلهي!».

قال السيد ثوث: «أنا أشعر به، في أيام معينة، أيام ذات درجة حرارة وضغط جوي معين. هل كنت تعرفين ذلك؟ أشعر به شديد القرب مني».

«جدك؟».

«لا، إلهي».

وهكذا ذهبت للبحث عن فالوبيان، الذي لا بد وأنه يعرف الكثير عن «بوني إكسبرس» و«ويلز وفاجيو» طالما أنه يكتب كتابًا عنهم. وقد كان، لكنه لا يعرف شيئا عن غرمائهم الغامضين.

مكتبة t.me/ktabpdf

قال لها: «لديَّ بعض الإشارات، بالطبع. كتبتُ للمسؤولين في سكرامنتو[1] عن هذه اللافتة التاريخية، وما زالوا يركلون خطابي بين دهاليزهم البيروقراطية منذ شهور. يوما ما سوف يرجعون إليَّ بمرجع أقرأه. سيقول 'يتذكر القدماء الجدل حول' أيا ما حدث. القدماء. يا له من توثيق رائع، هذا الهراء الكاليفورني. أغلب الظن أن المؤلف سيكون قد مات. ولا توجد طريقة لتعقب الأمر، ما لم ترغبي في متابعة صلة انعقدت بالمصادفة، مثل تلك التي خرجتِ بها من الرجل العجوز».

«رأيك أنها صلة فعلا؟». فكرت في مدى هشاشة الأمر، مثل شعر أبيض طويل، عمره أكثر من قرن. رجلان هرمان جدا. كل خلايا المخ المنهَكة تلك بينها وبين الحقيقة.

«قُطّاع طرق، بلا أسماء، بلا وجوه، يرتدون السواد. الأرجح أن الحكومة الفيدرالية قد استأجرتهم. حملات الردع تلك كانت وحشية».

«ألا يمكن أن تكون شركة بريد منافسة؟».

هز فالوبيان كتفيه. عرضت عليه أوديبا رمز WASTE، فهز كتفيه ثانية.

«كان في حمّام السيدات، هناك في 'سكوب' يا مايك».

اكتفى بالقول: «النساء، من يعرف ماذا يدور في نفوسهن».

لو كانت أوديبا فكرت في مراجعة سطرين في مسرحية وارفنجر، لربما عقدت الصلة التالية بنفسها. إذ حدث وأن نالت مساعدة من شخص يدعى «جنكيز كوهن»، وهو أبرز جامعي الطوابع في لوس أنجليس ونطاقها. كان ميتسجر، عملًا بالتعليمات الواردة في الوصية، قد استأجر هذا الخبير اللطيف صاحب الصوت الذي يوحي بإصابته بالغدد، مقابل نسبة مئوية من القيمة التي سوف يثمِّن بها، لكي يجرد ويثمِّن مجموعة الطوابع الخاصة بإنفيراريتي.

(1) سكرامنتو: عاصمة ولاية كاليفورنيا.

t.me/ktabpdf مكتبة

ذات يوم مطير، ومع تصاعد الضباب من البركة، ومع غياب ميتسجر مجدَّدا، وتوجُّه البارانوديين إلى مكان ما من أجل جلسة تسجيل، تلقت أوديبا اتصالا من هذا المدعو جنكيز كوهن، وأدركت حتى عبر الهاتف أنه كان منزعجا.

قال: «هناك بعض الأمور الغريبة يا سيدة ماس. هل يمكنك المرور عليَّ؟».

كانت واثقة على نحو ما، وهي تقود سيارتها على الطريق السريع الزلق، أن هذه «الأمور الغريبة» ستتصل بكلمة «تريتسرو». كان ميتسجر قد أخذ ألبومات الطوابع لكوهن من خزينة لحفظ الودائع قبلها بأسبوع في سيارة أوديبا الـ«إمبالا»، وفي ذلك الوقت لم تكن مهتمة حتى بإلقاء نظرة داخلها. لكن خطر لها الآن، وكأن المطر قد همَس بالفكرة، أن ما لم يكن فالوبيان يعرفه عن شركات البريد الخاصة، لربما يعرفه كوهن.

عندما فتح لها باب شقته/ مكتبه رأته مؤطرا في تتابعات متتالية من إطارات الأبواب، غرفة بعد غرفة، تتراجع عموما في اتجاه 'سانتا مونيكا'، كلها مشرَّبة بنور المطر. كان جنكيز كوهن مصابا ببوادر انفلونزا صيفية، وكان سحّاب بنطاله نصف مفتوح، وكان يرتدي قميص «باري جولدووتر»[1] أيضا. شعرت أوديبا على الفور بالأمومة. في غرفة تقع تقريبا في ثلث الطريق داخل الجناح أجلسها على كرسي هزَّاز وجاء بنبيذ هندباء صناعة منزلية حقيقية في كأسين أنيقين صغيرين.

«قطفتُ الهندباء من مقبرة، قبل سنتين. الآن لم تعد المقبرة موجودة. أزالوها من أجل طريق شرق سان نارسيسكو السريع».

كان بإمكانها، عند تلك المرحلة، أن تلاحظ إشارات من هذا النوع،

---

(1) باري جولدووتر: المرشح الجمهوري في انتخابات الرئاسة لسنة 1964.

t.me/ktabpdf

مكتبة

كما يُشاع عن المصروع ملاحظته لرائحة، ولون، ونغمة زخرفية واخزة واحدة تعلن عن قدوم النوبة. بعد ذلك تكون تلك الإشارة فقط، هذه الشذرة، هذا الإعلان الدنيوي، وليس أبدا ما يتبدّى أمامه أثناء النوبة، هو ما يتذكره. تساءلت أوديبا إذا ما كانت، عندما ينتهي هذا الأمر (إذا كان يفترض به أن يصل إلى نهاية)، هي الأخرى سوف تُترك بلا شيء سوى ذكريات ململَمة عن مفاتيح، وبلاغات، وإشهارات، ولكن من دون الحقيقة المركزية نفسها، التي يجب على نحو ما في كل مرة أن تكون شديدة السطوع إلى الحد الذي لا تتحمله ذاكرتها؛ التي يجب أن تتوهج دائما، مدمّرة رسالتها الخاصة تدميرا، ومخلِّفة خواء حاسرا تماما عندما يعود العالم إلى طبيعته. في مسافة رشفة من نبيذ الهندباء خطرَ لها أنها لن تعرف قط كم مرة يمكن لنوبة كهذه أن تكون قد زارتها فعلا، أو كيف تقبض عليها إذا زارتها مجددا. ربما حتى في تلك الثانية الأخيرة- لكن لم تكن توجد وسيلة للمعرفة. ألقت نظرة إلى ممر غُرفات كوهين في المطر ورأت، للمرة الأولى، إلى أي مدى قد تضيع في هذا الأمر.

كان جنكيز كوهن يقول: «لقد سمحت لنفسي بالتواصل مع لجنة خبراء. لم أرسل لهم بعد الطوابع محل الاستفسار، في انتظار تصريح منك ومن السيد ميتسجر بالطبع. مع ذلك فأنا واثق أن كل المصروفات يمكن أن تُحمَّل على التركة».

قالت أوديبا: «لست متأكدة أنني أفهم».

«اسمحي لي». جرَّ طاولة صغيرة باتجاهها، ومن ملف بلاستيكي استخدم ملقطا ليرفع، برقّة، طابع بريد تذكاريا أمريكيا، من إصدار «بوني إكسبرس» لسنة 1940، حنَّائي اللون فئة 3 سنتات. مختوم. «انظري»، قالها وهو يشعل مصباحا قويا صغير الحجم، ويناولها عدسة مكبرة مستطيلة.

t.me/ktabpdf مكتبة

«إنه الجانب الخطأ»، قالتها، فيما كان يمسح الطابع برقة بقَطنة مغموسة في البنزين ويضعه على مسطح أسود.

«العلامة المائية».

أمعنت أوديبا النظر. كان هناك مجددا، رمز WASTE، يظهر أسود اللون، إلى اليمين قليلا من المركز.

«ما هذا؟»، سألت وهي تتساءل كم من الوقت قد مَرّ.

قال كوهن: «لست متأكدا. هذا هو ما جعلني أرسله، هو وغيره، إلى اللجنة. بعض الأصدقاء جاءوا لرؤيتها أيضا، لكنهم جميعا أبدوا تحفّظا. لكن لنرى ما رأيك في هذا». من الملف البلاستيكي نفسه التقط الآن ما بدا أشبه بطابع ألماني قديم، مع رقم 4/ 1 في المركز، وكلمة Freimark في الأعلى، وعلى طول الهامش الأيمن ضربت الكلمات: «ثورن أوند تاكسيس».

تذكرت مسرحية وارفنجر، «كانوا شركة من شركات البريد الخاصة، صحيح؟».

«منذ سنة 1300 تقريبا، حتى اشتراهم بسمارك في 1867، يا سيدة ماس، كانوا الـخدمة البريدية الأوروبية. وهذا واحد من بين قلة قليلة من طوابعهم القابلة للصق. لكن انظري إلى الزوايا». رأت أوديبا بوقًا له حلقة واحدة يزين كل زاوية من زوايا الطابع. يشبه رمز WASTE تقريبا. قال كوهن: «بوق بريدي، رمز ’ثورن وتاكسيس‘. كان ذلك شعارهم».

«والبوق الذهبي الذي كان معقودا يوما، مُضمَرْ»، تذكرت أوديبا. بالطبع. قالت: «إذن العلامة المائية التي اكتشفتَها هي العلامة نفسها تقريبا، باستثناء هذا الشيء الصغير الإضافي الذي يخرج من حلَقة البوق».

قال كوهن «يبدو الأمر سخيفا، لكنني أظنه كاتم صوت».

أومأت برأسها. الملابس السوداء، الصمت، السرية. أيا مَنْ كانوا فقد كانوا يسعون لإخراس البوق البريدي الخاص بـ«ثورن وتاكسيس».

قال كوهن: «في المعتاد يكون هذا الإصدار، وغيره، من دون علامة مائية، وفي ضوء التفاصيل الأخرى- الـ«تهشير»، عدد الثقوب، الطريقة التي تقادمت بها الأوراق- من الواضح أنه تزييف. ليس مجرد خطأ».

«إذن فهو لا يساوي شيئا».

ابتسم كوهن، وتمخّط. «ستندهشين للمبلغ الذي يمكن أن تتقاضيه مقابل تزييف أمين. بعض جامعي الطوابع يتخصص في هذا النوع. المسألة هي: من فعل ذلك؟ إنهم همج!». قلب الطابع ناحيتها، وأشار لها برأس الملقط. كانت الصورة توضح واحدا من خيَّالة «بوني إكسبرس» خارجا من قلعة غربية. ومن الشجيرات في الجانب الأيمن وربما في الاتجاه الذي يتوجه إليه الخيال، تبرز ريشة سوداء واحدة، نقشت بدقة وجهد. «لماذا وُضع هذا الخطأ المتعمد؟»، سأل، متجاهلا النظرة على وجهها- إن كان قد رآها أصلا. «لقد عثرتُ حتى الآن على ثمانية منها. كل منها فيه خطأ مثل هذا، أضيفَ بجهد جهيد إلى التصميم، وكأنه استهزاء. بل وهناك أيضا تبديل للمواضع- في 'بوستة الولايات المتحدة'، من بين كل الطوابع الأخرى».

«إلى أي زمن يرجع؟»، اندفعت أوديبا صائحة، بصوت أعلى من اللازم.

«هل هناك خطب ما يا سيدة ماس؟».

أخبرته أولًا بأمر خطاب موتشو الذي يحمل ختما يطلب منها الإبلاغ عن أي بريد مخل بالآداب إلى مدير القدور في منطقتها.

اتفق معها كوهن «غريب». ثم وهو يراجع دفترا «إبدال المواضع

t.me/ktabpdf مكتبة

موجود فقط على طابع لنكولن فئة أربعة سنتات، الإصدار العادي[1]، 1954. التزييفات الأخرى ترجع إلى سنة 1893».

قالت «أي قبل 70 سنة. معنى ذلك أنه عجوز جدا».

قال كوهن «إن كان هو نفسه. وماذا إن كان قديمًا قِدَم ثورن وتاكسيس؟ 'أوميدو تاسيس' الذي نُفي من ميلان، نظم أول فريق بريدي في منطقة بيرجامو نحو عام 1290».[2]

جلسا صامتيْن، ينصتان إلى المطر وهو ينقر برخاوة على الشبابيك ونوافذ السقف، وقد واجهتهما فجأة تلك الاحتمالية المذهلة.

كان عليها أن تسأل: «هل سبق وأن حدث ذلك من قبل؟».

«تقليد خاص بتزييف الطوابع يستمر 800 عامًا؟ ليس على حد علمي». عندها أخبرته أوديبا بكل شيء عن خاتم السيد ثوث القديم المزوَّد بختم، والرمز الذي فاجأت ستانلي كوتكس وهو يخربشه، والبوق المزوَّد بمانع صوت المرسوم على حمام السيدات في «سكوب».

لم يكن يحتاج لأن يقول: «أيا كان الأمر، الواضح أنهم لا يزالون نشطين».

«هل نبلغ الحكومة، أم ماذا؟».

«أنا واثق أنهم يعرفون أكثر مما نعرف». بدا التوتر على صوته، بدا انسحابيا فجأة. «لا، لو كنت مكانك لما فعلت ذلك. هذا ليس من شأننا، أليس كذلك؟».

---

(1) الإصدار العادي Regular، في مقابل الإصدار المؤقت أو المرحلي Provisional، الذي يصدر بصورة مؤقتة قبل الإصدار العادي.
(2) أوميدو تاسيس: بطريرك عائلة ثورن وتاكسيس- وبيرجامو: مدينة إيطالية تقع شمالي ميلانو.

t.me/ktabpdf مكتبة

عندها سألته عن الأحرف الأولى الخاصة بكلمة W.A.S.T.E، لكن الأوان كان قد فات بشكل ما. كانت قد فقدته، قال لا، ولكنه ربما كان يكذب، إذ كان قد خرج فجأة من موجة التناغم مع أفكارها. صبَّ المزيد من نبيذ الهندباء.

قال، بنبرة رسمية: «الجو صار صافيا الآن. قبل بضعة أشهر كان ضبابيا. تعرفين، في الربيع، عندما تبدأ أزهار الهندباء في التفتح ثانية، يبدأ النبيذ في التخمر. وكأنها تتذكر».

لا، فكرت أوديبا، حزينة. وكأن مقبرتها، موطنها، لا تزال موجودة بطريقة ما، في أرض يمكنك أن تمشي فيها، من دون حاجة إلى طريق شرق نارسيسكو السريع، وحيث تستطيع العظام، لا تزال، الرقود في سلام، مغذية أوراق الهندباء، من دون أن ينبشها أحد من تحت التراب. وكأن بقاء الموتى حقيقة، حتى ولو في زجاجة نبيذ.

5

رغم أن خطوتها التالية كان المفترض أن تكون الاتصال براندولف دريبليت ثانية، فقد قررت بدلًا من ذلك أن تتوجه بسيارتها إلى بيركلي. أرادت أن تعرف من أين أتى ريتشارد وارفنجر بمعلوماته عن تريسترو. وربما أيضا أن تعرف كيف كان المخترع جون نيفاستس يتسلّم بريده.

وكما حدث مع موتشو لدى مغادرتها كينريت، لم يبدُ ميتسجر متأثرا كثيرا لغيابها. وازنت، أثناء قيادتها باتجاه الشمال، بين التوقّف عند البيت في الطريق إلى بيركلي أم أثناء عودتها. ثم أدركت أنها قد فوَّتت المخرج إلى كينريت فحُسم الأمر. قرقرت سيارتها على طول الجانب الشرقي للخليج، وهي تصعد تلال بيركلي وتصل قرابة منتصف الليل إلى فندق على الطراز الباروكي الألماني، متعدد الطوابق، متمدد الأجنحة، مفروش بسجاد أخضر داكن، يقود إلى ممرات منحنية وثريّات مزخرفة. كانت هناك لافتة في البهو كُتب عليها «مرحبا بكم في اجتماع جمعية الصم والبكم الأمريكيين فرع كاليفورنيا». كان كل ضوء في المكان مستعرًا، ساطعا على نحو مقلق؛ وكان صمت كثيف بحق يسود المبنى. نطَّ موظف من خلف المكتب حيث كان نائما وبدأ يتحدث معها بالإشارة. فكرت أوديبا أن ترفع له إصبعها الوسطى لترى ماذا سيحدث. لكنها كانت قد قادت السيارة طوال الطريق بلا توقف، والتعب قد حل بها مرة واحدة.

t.me/ktabpdf مكتبة

اصطحبها الموظف إلى غرفة فيها صورة مستنسخة لـ«ريميديوس فيرو»، عبر ممرات منحنية بلطف مثل شوارع سان نارسيسكو، في صمت تام. راحت في النوم على الفور تقريبا، لكنها ظلت تستيقظ من كابوس حول شيء في المرآة، في مواجهة فراشها. لا شيء محدَّد، مجرَّد إحتمالية، لا شيء يمكن لها أن تراه. عندما استقرت أخيرا في نومها، حلمت بأن موتشو، زوجها، يمارس الحب معها على شاطئ أبيض ناعم لم يكن جزءا من أيّ كاليفورنيا تعرفها. وعندما استيقظت في الصباح، كانت تجلس منتصبة، تحدق في المرآة في ذلك الوجه المنهَك الذي هو وجهها.

وجدت «ليسترن برس» في بناية مكتبية صغيرة في جادة «شاتوك». لم يكن لديهم كتاب «مسرحيات فورد، ويبستر، تورنيير ووافرنجر» في مقرهم، لكنهم أخذوا منها شيكا بمبلغ 12.50 دولار، وأعطوها عنوان مخزنهم في «أوكلاند» وإيصالًا تبرزه هناك. وعندما حصلت على الكتاب، كان الوقت قد تجاوز الظهيرة. تفحّصته بحثا عن السطر الذي جاء بها طيلة هذا الطريق إلى هنا. وفي ضوء الشمس المتكسر على أوراق الشجر، تجمّدت.

كان المقطع الشعري يقول:

إن السماء المقدسة بنجومها لن تقف حرَسًا

لذلك الذي وقف ذات مرة لشهوات أنجيلو ضدًا

«لا»، احتجت صارخة. «لذلك الذي عقد مع تريسترو حِلفا». كانت الملاحظة المدوَّنة بالقلم الرصاص في النسخة ذات الغلاف الورقي قد أشارت إلى تنويعة أخرى. لكن النسخة ذات الغلاف الورقي يفترض أنها نسخة طبق الأصل من الكتاب الذي تمسكه بين يديها الآن. متحيّرة، رأت أيضا أن هذه الطبعة فيها هامش سفلي:

مكتبة t.me/ktabpdf

هذا بحسب طبعة الـ«ربع فرخ» (1687) فقط. أما في طبعة «فوليو» الأسبق فنجد مسافة بيضاء أُدرجت محل السطر الختامي. وقد رأى «داميكو» أن وارفنجر ربما كان يعقد مقارنة تشهيرية تتضمن شخصًا في البلاط، وأن «الاستعادة» اللاحقة للعبارة كانت في الواقع من عمل الطبَّاع، «إنيجو بارفستيبل». أما طبعة «وايتشابل» المشكوك في صحتها (حوالى عام 1670) ففيها «لهذه المواعدة أو الزيغ الذميم، يا نيكولو»، وهذا السطر، بخلاف كونه يُقحم بحرا سكندريا سمجًا[1]، ليس له أي معنى من الناحية النحوية، إلا إن قبلنا الشطحة غير التقليدية وإن كانت مقنِعة، التي أوردها «جيه. كيه. سيل»، بأن عبارة «لهذه المواعدة أو الزيغ الذميم» This tryst or odious awry ليست إلّا تلاعبا بالألفاظ على عبارة «هذا التريسترو يوم القيامة» This trystero dies irae، وهو التفسير الذي، مع ذلك، ويجب الإشارة إلى هذا الأمر، يترك السطر تقريبا بقدر فساده السابق، حيث لا معنى واضحا لكلمة «تريسترو»، إلا إن كانت تنويعة شبه مُطلْيَنة على «تريستي» triste (=شقي، رذيل)، لكن طبعة وايتشابل، إلى جانب كونها مجتزأة، تحفل بمثل هذه السطور الفاسدة وربما المنحولة، وغير جديرة بالثقة، كما سبق وذكرنا في موضع آخر.

تساءلت أوديبا، إذن من أين جاءت النسخة ذات الغلاف الورقي التي اشتريتُها من زاف بسطر «تريسترو» **الخاص بها**؟ هل هناك طبعة أخرى، غير طبعات الربع فرخ، والفوليو، وطبعة وايتشابل المجتزأة؟ مقدّمة

(1) البحر السكندري Alexandrine: يتألف فيه السطر الشعري من اثني عشر مقطعا.

t.me/ktabpdf

مكتبة

المحرر، الموقَّعة هذه المرة، باسم «إيموري بورتز»، بروفيسور اللغة الإنجليزية في جامعة كاليفورنيا، لم تأت على ذكر لذلك. قضت نحو ساعة أخرى، تبحث في كل الهوامش السفلية، فلم تجد شيئا.

«اللعنة!»، صرخت، وأدارت السيارة متوجهة إلى الجامعة في بيركلي، لتبحث عن البروفيسور بورتز.

كان عليها أن تتذكر التاريخ المكتوب على الكتاب- 1957. عالَم آخر. قالت الفتاة في مكتب قسم اللغة الإنجليزية لأوديبا إن البروفيسور بورتز لم يعد في هيئة التدريس. كان يدرِّس في كلية سان نارسيسكو، بسان نارسيسكو، كاليفورنيا.

بالطبع، فكرت أوديبا، ممتعضة، وأين يمكن أن يدرِّس؟ نسخت العنوان ومضت في طريقها محاولة تذكر اسم ناشر طبعة الغلاف الورقي. ولم تستطع.

كان الوقت صيفا، في يوم من أيام وسط الأسبوع، وفي ساعات الأصيل؛ وقت لا تكون فيه أية جامعة تعرفها أوديبا تضجّ بالحركة، لكن هذه بالتحديد كانت كذلك. نزلت منحدرا من مبنى «ويلر هول»، عبر بوابة «سيثر جيت» ودخلت إلى ساحة تغص بقطيفة مضلَّعة، جينز، سيقان عارية، شعور شقراء، نظّارات صدفية الحواف، درّاجات تتلألأ إطاراتها في الشمس، حقائب كتب، طاولات مقلقلة قابلة للطي، عرائض ورقية طويلة تتأرجح فتلامس الأرض، ملصَقات لاختصارات مبهمة: FSM، YAF، VDC،[1] زَبَد في النوافير، طلاب يتحاورون والأنف في الأنف، مضت وسط ذلك حاملة كتابها السميك، منجذبة، متشككة، غريبة، تريد أن تشعر بالانسجام، لكنها تدرك مدى الجهد الذي سيكون عليها أن

(1) FSM: حركة حرية التعبير. YAF: شبان أمريكيين من أجل الحرية. VDC: لجنة يوم فيتنام (تحالف من أجل مناهضة الحرب في فيتنام).

t.me/ktabpdf مكتبة

تبذله في استجلاء عالَمَيْن رديفَيْن. إذ كانت قد قضت سنوات دراستها في زمن التوتر والعقم والإحجام الذي لم يكن سائدا بين زملائها من الطلاب وحسب، ولكن أيضا في معظم البنيان المرئي حولهم وأمامهم، وكان ذلك ردة فعل قومية تجاه علل معينة في أماكن عليا لم يكن إلا الموت قادرا على مداواتها. أما بيركلي هذه فلا تشبه ريفيًا وسْنانًا قادمًا من ماضيها على الإطلاق، وإنما تشبه أكثر جامعات الشرق الأقصى أو أمريكا اللاتينية تلك التي تقرأ عنها، تلك الوسائط الثقافية المستقلة حيث يمكن لأعزِّ العادات قاطبة أن تتعرض للتشكيك، ويمكن لأكبر المعارضات فيضا أن أن تُطرح بلا مواراة، ويمكن لأكثر التعهدات انتحاريةً أن تُختار- هذا النوع الذي يُسقط الحكومات. لكن الإنجليزية هي اللغة التي كانت تسمعها وهي تقطع طريق «بانكروفت» بين الأطفال الشقر ودمدمة سيارات الهوندا والسوزوكي؛ إنجليزية أمريكية. أين ذهب الوزيران جيمس وفوستر والسيناتور جوزيف،(1) أولئك الأرباب الحمقى الأعزاء الذين كانوا بمثابة أمومة ترعرع شباب أوديبا المعتدل في أحضانها؟ في عالم آخر. على مسار له نسق آخر، سلسلة أخرى من القرارات اتُّخذت، وتحويلات أُغلقت. عمال التحويلة مصمَتو الوجوه الذين رموا بهم جميعا في هذا العالم قد نُقلوا الآن، وهُجروا، في الزنزانة، هاربون من قصّاصي الأثر، سكارى تلعب الخمر برؤوسهم، فوق صهوة الجياد، مدمنو خمر، متعصبون، يعيشون متخفين، موتى، يستحيل العثور عليهم ثانية. بينهم كانوا قد استطاعوا تحويل أوديبا الصغيرة إلى كائن نادر بحق، ليس مناسبا ربما مع المسيرات والاعتصامات، لكنه بارع في تعقب الكلمات الغريبة في النصوص اليعقوبية.

أوقفت سياراتها الـ«إمبالا» في محطة بنزين في مكان ما على الامتداد

---

(1) هم وزير الدفاع «جيمس فوريستال»، ووزير الخارجية «جون فوستر دولِس»، والسيناتور «جوزيف مكارثي».

مكتبة t.me/ktabpdf

الرمادي الجاف لجادة تليجراف وعثرت في دليل الهاتف على عنوان جون نيفاستس. ومن ثم قادت السيارة إلى بناية سكنية ذات مظهر مكسيكاني، وبحثت عن اسمه بين صناديق «بريد الولايات المتحدة»، ثم صعدت درَجًا خارجيا وسارت بطول صف من النوافذ مسدَلة الستائر حتى عثرت على بابه. كان شعره مقصوصًا قصة الغراب وله مظهر صبياني مثل كوتكس، لكنه كان يرتدي قميصًا مرسوم عليه تيمات بولينيزية ويعود لأيام إدارة ترومان.

بعد أن قدَّمت نفسها، ذكرت اسم ستانلي كوتكس. «قال إنك تستطيع إخباري إن كنت 'حساسة'».

كان نيفاستس يشاهد على تلفزيونه مجموعة من الصبية يرقصون نوعا من «الواتوسي»[1]. أوضح لها: «أحب مشاهدة برامج الشباب. هناك شيء في الكتكوتات الصغيرات من هذا السن».

قالت: «أنا أفهمك. زوجي كذلك».

ابتسم لها جون نيفاستس، ابتسامة بشوش، وأخرج «آلته» من معمل ملحق بخلفية البيت. بدت مثلما وُصفت في براءة الاختراع. «أتعرفين كيف تعمل؟».

«ستانلي أعطاني فكرة».

عندها بدأ، على نحو مذهل، يتكلم عن شيء يسمى «الأنتروبيا»[2]. أزعجتها الكلمة بقدر ما كانت تزعجها كلمة «تريسترو». لكن الأمر كان تقنيا جدا بالنسبة لها. مع ذلك فقد فهمت أن ثمة نوعين مميزين من هذه الأنتروبيا. واحد يتعلق بالمحركات الحرارية، والآخر بالاتصال. كانت

(1) واتوسي: رقصة فردية شاعت في الستينيات.
(2) الأنتروبيا entropy: القصور الحراري.

معادلة إحداهما، قديما في الثلاثينات، تبدو شبيهة جدا بمعادلة الأخرى. وتلك كانت صدفة. إذ لم يكن المجالان متصلَيْن بأي شكل إلا عند نقطة واحدة: عفريت ماكسويل. فبينما يجلس العفريت ويصنف جزيئاته إلى ساخنة وباردة، يقال إن النظام يفقد أنتروبيا. ولكن هذا الفقد تعوّضه بشكل ما المعلومة التي يحصل عليها العفريت بشأن الأماكن التي تتواجد فيها مختلف الجزيئات.

صاح نيفاستس: «الاتصال هو المفتاح. العفريت يمرر بياناته إلى الحسَّاس، والحسّاس يجب أن يرد بالطريقة نفسها. هناك مليارات لا حصر لها من الجزيئات في هذا الصندوق. العفريت يجمع البيانات حول كل جزيء منها. وعند مستوى روحاني عميق يجب أن يخترق الحاجز. ويكون على الحساس استقبال مجموعة الطاقات المتلجلجة، والرد بإعطاء ما يشبه الكمية نفسها من المعلومات. لتظل الدائرة تدور. على المستوى الدنيوي لا نستطيع أن نرى إلا مكبَسًا واحدا، نأمل أن يكون متحركا. ومع كل نبضة من الطاقة يتم تدمير حركة صغيرة، وسط هذا الكَمْ المعقَّد من المعلومات، مرة بعد مرة».

قالت أوديبا: «انقذني! لا أفهم شيئا».

تنهد نيفاستس: «الأنتروبيا مجاز، إذن، استعارة. استعارة تربط عالم الديناميكا الحرارية بعالم تدفق المعلومات. والآلة تستخدم العالَمَيْن. والعفريت لا يكتفي بجعل الاستعارة جميلة لفظيا، بل يجعلها حقيقة موضوعيا».

شعرت بأنها مهرطقة بشكل ما وهي تقول: «ولكن ماذا إذا كان العفريت موجودًا فقط لأن المعادلتين متشابهتين، لأن الاستعارة موجودة؟».

ابتسم نيفاستس، ابتسامة مستغلقة، هادئة، ابتسامة مؤمن. «لقد كان موجودا بالنسبة لكليرك ماكسويل قبل ظهور الاستعارة بزمن طويل».

لكن هل كان كليرك ماكسويل متعصّبًا إلى هذه الدرجة بشأن حقيقة العفريت؟ نظرت إلى الصورة على الصندوق من الخارج. كانت صورة بروفايل لكليرك ماكسويل ولم يكن يواجه عينيها. كانت جبهته مستديرة وناعمة، وثمة نتوء غريب في مؤخرة رأسه، مغطى بشعر متموج. بدت لها عينه المرئية وديعة ومراوغة، لكن أوديبا تساءلت أيّ اضطرابات عاطفية، أزمات، نوبات ذعر في منتصف الليالي، قد تتطور عن اللطائف الغامضة لفمه، المختفي وراء لحية طويلة.

قال نيفاستس: «انظري إلى الصورة وركزي على أسطوانة. لا تقلقي. إذا كنت حسّاسة ستعرفين أي واحدة. اتركي ذهنك مفتوحا، مستقبلا لرسالة العفريت. سأرجع لك». استدار إلى تلفزيونه، الذي كان الآن يعرض أفلام كارتون. جلست أوديبا متسمّرة أمام حلقتين من «الدب يوجي»، وحلقة من «الغوريلا ماجيلا»، وأخرى من «فرس النهر بيتر»، محدقة في البروفايل الملغز لكليرك ماكسويل، بانتظار أن يتواصل العفريت.

هل أنت هناك، يا صديقي الصغير، سألت أوديبا العفريت، أم أن نيفاستس يتلاعب بي؟ ما لم يتحرك أحد المكبسَيْن لن تعرف قط. كانت يدا كليرك ماكسويل مقصوصتان من الصورة الفوتوغرافية. ربما كان يمسك بكتاب. كان يحدّق بعيدا، في أفق ما في انجلترا الفيكتورية ضاع نوره إلى الأبد. ازدادت أوديبا قلقا. بدا خلف اللحية، أنه قد بدأ، بشكل خافت للغاية، يبتسم. شيء في عينيه، بالتأكيد، قد تغير...

وها هو. على الحافة العلوية لـما كانت تراه: ألم يتحرك المكبس الأيمن، قيد أنملة؟ لم يسعها النظرَ مباشرة، كانت التعليمات أن تثبت عينيها على كليرك ماكسويل. مرّت دقائق، وظل المكبسان متجمدَيْن مكانهما. وأصوات كوميدية مجلجلة تنبعث من التلفزيون. كانت قد رأت

مجرد اختلاجة في شبكية العين، خلية عصبية واحدة أخفقت في إصابة الهدف. هل يرى الحسّاس الحقيقي أكثر من ذلك؟ كان ثمة خوف في قولونها الآن، وصار يتنامى، من ألّا يحدث شيء. ما داعي القلق؟ قلقت؛ نيفاستس مجنون، انسِ الأمر، مجنون حقيقي. الحسّاس الحقيقي هو الشخص الذي يستطيع مشاركة هذا الرجل في هلوساته، هذا هو كل شيء.

قد يكون أمرا رائعا أن تشاركه في هذه الهلوسات. ظلت تحاول، على مدى خمس عشرة دقيقة أخرى؛ تكرر، إن كنت هناك، أيًّا ما كنت، فاظهر وبان، أنا بحاجة إليك، اظهر لي. لكن شيئا لم يحدث.

«معذرة»، نادت، وكانت لدهشتها على وشك البكاء في إحباط، وصوتها متهدج. «لا فائدة». اتجه إليها نيفاستس ووضع ذراعا حول كتفيها.

قال «لا بأس. أرجوكِ لا تبكي. تعالي على الكنبة. ستبدأ نشرة الأخبار حالا. نستطيع أن نفعلها هناك».

قالت أوديبا: «نفعلها؟ نفعل ماذا؟».

أجاب نيفاستس: «المواقعة الجنسية. ربما يتكلمون عن الصين هذه الليلة. أحب أن أفعلها وهم يتكلمون عن فيتنام، لكن الصين هي الأفضل. تفكرين في كل هؤلاء الصينيين. يتسافدون. هذه الحياة الفياضة. تجعل الأمر أكثر إثارة، صحيح؟».

«إع!»، صرخت أوديبا وهربت. بينما راح نيفاستس يطرقع أصابعه وراءها في الغرف المظلمة بطريقة هيبية سخيفة، بإشارة «طيري إذن يا كتكوتة» التي لا شك وأنه تعلمها من الفرجة على التلفزيون أيضا، ثم تابع «بلغي تحياتي لستانلي العجوز»، بينما طقطقت هي بحذائها نزولا على

مكتبة t.me/ktabpdf

الدَّرج، وغطت لوحة سيارتها بإيشارب «بابوشكا»[1]، ثم انطلقت بصرير حاد في جادة تليجراف. راحت تقود بشكل آلي نوعا ما حتى كاد صبي متسرّع في سيارة «موستانج»، وقد عجز ربما عن السيطرة على إحساس الفحولة الجديد الذي منحته له سيارته، أن يقتلها. وأدركت أنها على الطريق السريع، تمضي في طريق ليس فيه فتحات دوران إلى جسر «باي بريدج». كانت في ساعة الذروة. أصيبت أوديبا بهلع من المنظر، وقد كانت تظن أن تكدّسا مروريا مثل هذا لا يوجد إلا في لوس أنجليس أو ما شابهها. وإذ أطلت على سان فرانسيسكو بالأسفل بعد بضع دقائق من قمة قوس الجسر، رأت ضبابا دخانيا. شبورة، صححت لنفسها، اسمها شبّورة. إذ كيف يتكون ضباب دخاني في سان فرانسيسكو؟ الضباب الدخاني، وفقا للفلكلور، لا يبدأ إلا من نقطة بعيدة في الجنوب. لا بد وأنها زاوية الشمس.

وسط العادم والعرق والوهج والكدر المميزة لأمسية صيفية على طريق سريع أمريكي، راحت أوديبا تفكر في مشكلة «تريسترو» التي تواجهها. كل ذلك الصمت في سان نارسيسكو- السطح الهادئ لبحيرة في موتيل، الانحناءات التأملية للشوارع السكنية كما دوامات منقوشة على رمال حديقة يابانية- لم يكن قد أتاح لها التفكير بأناة كما أتاحه لها جنون الطرق السريعة هذا.

بالنسبة لجون نيفاستس (لنأخذ مثالا حديثا) اتَّفق لنوعين من الأنتروبيا، نوع ديناميكي حراري وآخر معلوماتي، لنقُل بمحض الصدفة، أن يتشابها، عند كتابتهما كمعادلة. لكنه نجح في إضفاء جدارة على صدفته البحتة، بمساعدة عفريت ماكسويل.

---

(1) إيشارب البابوشكا: غطاء رأس تقليدي روسي.

t.me/ktabpdf مكتبة

الآن ها هي أوديبا، في مواجهة استعارة مكوَّنة من أجزاء يعلم الله وحده عددها؛ أكثر من جزأين، بأية حال. ومع توالي تفتُّح المصادفات هذه الأيام حيثما نظرَت، لم يكن لديها سوى صوت، كلمة، «تريسترو»، لتجمعها معا.

كانت تعرف بعض الأمور عن هذا الـ«تريسترو»: لقد ناهض منظومة «ثورن وتاكسيس» البريدية في أوروبا؛ وكان يتخذ من البوق البريدي المكتوم رمزا له، وفي وقت ما سابق على عام 1853 ظهر في أمريكا وحارب «بوني إكسبرس» و«ويلز وفارجو»، إما في صورة مطاريد مدَّثرين بالسواد، أو متخفيا في ثوب هنود؛ وهو لا يزال موجودا حتى يومنا هذا، في كاليفورنيا، يعمل كقناة اتصال لأولئك الذين يحملون قناعة جنسية غير تقليدية، وللمخترعين الذين يؤمنون بأن عفريت ماكسويل حقيقي، وربما لزوجها هي نفسها، موتشو ماس (لكنها كانت قد ألقت بخطاب موتشو منذ وقت طويل، ولم تعد هناك طريقة لكي يفحص جنكيز كوهن الطابع، وهكذا فإذا أرادت التأكد من الأمر عليها أن تسأل موتشو نفسه).

إما أن «تريسترو» موجود، في حد ذاته، أو أنه مفترَض، أو ربما متخيَّل من قِبل أوديبا، عالقًا ومتداخلًا جدا مع تركة الراحل. هنا في سان فرانسيسكو، بعيدا عن كل الموجودات الملموسة للتركة، ربما لا تزال ثمة فرصة لجعل هذا الشيء برمّته يمضي بعيدًا ويتفكك في هدوء. عليها فقط أن تترك نفسها الليلة، أن تنجرف مع التيار، ولا ترى شيئا يحدث، لكي تقتنع أن المسألة ليست سوى مشكلة عصبية، شيء صغير يمكن أن يعالجه طبيبها النفسي. خرجت عن الطريق السريع في «نورث بيتش»، واستدارت بالسيارة، وأوقفتها أخيرا في شارع جانبي منحدر وسط مستودعات. ثم راحت تمشي في «برودواي»، وسط أول حشود الأمسية.

لكن لم تمر ساعة إلا ووقعت عيناها على بوق بريدي مكتوم. كانت

تتمشى في شارع مزدحم بصبية متقادمين في بدلات «روس أتكينز»[1] عندما اصطدمت بمجموعة من السواح يقودهم مرشد يخرجون من حافلة فولكسفاجن بصخب شديد، في طريقهم للتعرف على بعض مزارات سان فرانسيسكو الليلية. همس صوت في أذنها: «دعيني اضع هذا عليك، لأنني غادرت للتو»، ووجدت شخصا يشبك برشاقة فوق أحد ثدييها بطاقة تعريف بلون الكرز، مكتوب عليها «أهلا! اسمي أرنولد سنارب! وأريد قضاء وقت لطيف!». ألقت أوديبا نظرة حولها فرأت وجها طفوليا ملائكيا يختفي وهو يغمز لها وسط بدْلات بأكتاف مسدلة وقمصان مخططة، وبعيدا مضى أرنولد سنارب، باحثا عن وقت ألطف.

نفخ أحدهم في صافرة رياضية ووجدت أوديبا نفسها تُدفع وسط القطيع، مع مواطنين آخرين من حَمَلة البطاقات التعريفية، باتجاه بار يسمى «الطريق اليوناني». أوه، لا، فكرت أوديبا، ليس ملهى للشواذ، لا؛ ولدقيقة حاولت أن تصارع لتشق لنفسها طريق خروج وسط المد البشري، قبل أن تتذكر أنها كانت قررت تلك الليلة أن تنجرف مع التيار.

أوجز لهم المرشد، وعلى ياقته المغلقة تظهر مجسَّات داكنة من العرق، قائلا «الآن، في هذا المكان ستشاهدون أشخاصا ينتمون إلى الجنس الثالث، الفئة اللاوندية[2] التي اشتهرت بها عن جدارة هذه المدينة المطلة على الخليج. بالنسبة لبعضكم ربما تبدو هذه التجربة مشبوهة قليلا، لكن تذكروا، حاولوا ألا تتصرفوا مثل حفنة سواح. إذا راودوكم عن أنفسكم فسيكون ذلك مزاحًا، مجرد جزء من حياة الليل المثلية التي توجد هنا في 'نورث بيتش' الشهيرة. مشروبان، وعندما تسمعون الصافرة فذلك يعني

(1) روس أتكينز: سلسلة محلات للملابس الراقية في سان فرانسيسكو في ذلك الوقت.

(2) اللاوندیون: المقصود الرجال الذين يؤدون أدوار النساء في الاستعراضات.

الخروج، وعند سماع صافرتين، عودوا للتجمع هنا. إذا تصرفتهم بتهذيب سننتجه بعدها إلى 'فينوكيو'»[1]. نفخ الصافرة مرتين فاندفع السواح، وهم يصيحون، وكسحوا أوديبا إلى الداخل، في غارة محمومة على البار. بعدما هدأت الأمور وجدت نفسها بالقرب من الباب وفي قبضتها مشروب لم تتعرف عليه، محشورة مع شخص طويل في سترة من الجلد المدبوغ، وعندما اختلست النظر وجدت على صدره، مشغولا بإتقان على قطعة معدنية متلألئة شاحبة، ليس بطاقة أخرى كريزية اللون، وإنما مشبك زينة على شكل بوق «تريسترو»، البريدي. مكتوم وبكل التفاصيل.

قالت لنفسها: طيب، لقد خسرتِ. كانت محاولة جيدة، وكلفتكِ ساعة ليس أكثر. كان عليها أن تغادر عندها وتعود إلى بيركلي، إلى الفندق. لكنها لم تستطع.

بادرت صاحب المشبك «ماذا إذا قلتُ لك إنني واحدة من وكلاء ثورن وتاكسيس؟».

أجابها: «ماذا، وكالة للفنانين؟». كانت له أذنان كبيرتان، وشعر حليق حتى فروة الرأس تقريبا، وحَب شباب على وجهه، عينان خاويتان بشكل يثير الفضول، دارتا للحظة تجاه نهدي أوديبا. «كيف حصلتِ على اسم مثل أرنولد سنارب؟».

قالت أوديبا: «إذا أخبرتني كيف حصلت على هذا المشبك».

«معذرة؟».

حاولت استفزازه: «إذا كانت إشارة على أنك ذو ميول مثلية أو شيء من هذا القبيل، فهذا لا يزعجني هنا».

---

(1) فينوكيو: ملهى ليلي شهير في سان فرانسيسكو كان يقدم استعراضات لرجال في أزياء نسائية.

مكتبة t.me/ktabpdf

قال، بعينين لا يبدو عليهما أي تأثر: «لا ألعب في هذه المنطقة. ولا في منطقتك». أدار لها ظهره وطلب مشروبا. خلعت أوديبا شارتها، ووضعتها في منفضة سجائر وقالت، هامسة، محاولة ألا تبدو هستيرية:

«اسمع. عليك أن تساعدني. لأنني أظنني سأفقد عقلي فعلا».

«لقد اخترت الشخص الخطأ يا أرنولد. تكلم مع كاهنك».

توسلت إليه: «أنا أستخدم البريد الأمريكي لأنني لم أعرف غيره. لكنني لست عدوّة لك. ولا أريد أن أكون كذلك».

«وتريد أن تكون صديقي، أليس كذلك يا أرنولد؟».

«لا أعرف»، فكرت أن ذلك هو الرد المناسب.

نظر إليها، بخواء. «ماذا تعرفين إذن؟».

أخبرته بكل شيء. ولم لا؟ لم تُخفِ شيئا. وفي نهاية حديثها كان السُّواح قد سمعوا الصافرة وخرجوا وكان قد اشترى دورتين من المشروبات مقابل ثلاث دورات اشترتها أوديبا.

قال: «سبق لي وأن سمعت عن 'كيربي'. إنه اسم حركي، ليس شخصًا حقيقيًا. لكنني لم أسمع عن البقية، لا عن ذلك المولع بالآسيويات على الجانب الآخر من الخليج، ولا عن تلك المسرحية المقزّزة. لم أفكر أبدا أن ثمة تاريخ لهذا».

قالت، بقدر من الأسى: «أنا لا أفكر إلّا في هذا الآن».

قال وهو يهرش بعض الشعيرات النابتة في رأسه: «وليس لديك شخص آخر تخبرينه بهذا. فقط شخص لا تعرفين اسمه التقيتِهِ في أحد البارات؟».

لم تكن لتنظر إليه، «أظن ذلك».

«لا زوج، لا طبيب نفسي؟».

قالت أوديبا: «الاثنان، لكنهما لا يعرفان».

«لا تستطيعين إخبارهما؟».

نظرت في فراغ عينيه لثانية، وهزّت كتفيها.

«سأخبرك بما أعرفه إذن»، هكذا قرر. «المشبك الذي أضعه يعني أنني أحد أعضاء الـIA، الـ'إناموراتو المجهولون'. الإناموراتو هو العاشق. هذا هو الإدمان الأسوأ على الإطلاق».

قالت أوديبا: «شخص على وشك الوقوع في الحب، تذهب لتجلس معه، أو شيء من هذا القبيل؟».

«صح. الفكرة كلها هو أن تصلي إلى مرحلة لا تعودي فيها بحاجة إلى الحب. أنا كنت محظوظا. مررت بالتجربة صغيرًا. لكن هناك رجال في الستين من عمرهم، صدّقي أو لا تصدقي، ونساء أكبر من ذلك، يستيقظون في الليل وهم يصرخون».

«أنتم تعقدون اجتماعات إذن، مثل 'مدمنو الخمر المجهولون'».

«لا، بالطبع لا. تحصلين على رقم هاتف، خدمة للرد تستطيعين الاتصال بها. لا أحد يعرف اسم أحد؛ فقط رقم الهاتف تحسّبًا لأن تسوء الأمور أكثر من اللازم وتعجزين عن معالجتها بمفردك. نحن مستفردون، يا أرنولد. والاجتماعات سوف تدمّر الفكرة من الأساس».

«وماذا عن الشخص الذي يأتي ليجلس معك؟ ماذا لو وقعت في حبه؟».

قال: «إنه يرحل بلا عودة. لا ترينه مرتين أبدًا. خدمة الرد هي التي ترسل الأشخاص، وهم حريصون على تجنب أيّ إعادات».

من أين إذن جاء البوق البريدي؟ يعود ذلك إلى زمن تأسيسهم. في أوائل الستينيات كان ثمة مسؤول يعمل في يويوداين ويعيش بالقرب من

t.me/ktabpdf مكتبة

لوس أنجليس ويحتل وظيفة في النظام الجذري للشركة أعلى من المشرف ولكنها أقل من نائب الرئيس، وجد نفسه، في سن التاسعة والثلاثين، يُخرَج بشكل آلي من الوظيفة. ولما كان قد تعلم منذ سن السابعة تعليما إسخاطولوجيًّا[1] صارمًا لا يشير إلى أي مكان بخلاف الرئاسة والموت، وتدرّب على ألّا يفعل شيئا إلا التوقيع باسمه على مذكرات متخصّصة، لم يستطع أن يبدأ في التفهّم وتحمل اللوم على السعار المحتدم للبرامج المتخصصة التي فشلت لأسباب متخصصة كان عليه أن يشرحها له، كان طبيعيا أن تكون أولى الأفكار التي راودت المسؤول أفكارا انتحارية. لكن تدريبه السابق تمكن منه. لم يستطع اتخاذ قرار من دون مشاورة لجنة. وضع إعلانا في عمود الإعلانات الشخصية في صحيفة «لوس أنجليس تايمز»، يسأل فيه إن كان أي شخص ممن مرّوا بالورطة نفسها قد عثر على أية أسباب جيدة تمنعه من الانتحار. وكان افتراضه الحصيف أن أحدًا من المنتحرين لن يرد، ما يتركه بشكل آلي أمام المدخلات المتاحة. لكن افتراضه كان خاطئًا. فبعد أسبوع من المتابعة المتلهّفة لصندوقه البريدي مستخدما نظارة يابانية صغيرة كانت زوجته قد أعطتها له كهدية وداع (كانت قد هجرته في اليوم التالي لحصوله على الاستمارة الوردية) من دون أن يجد شيئا سوى تلك الأشياء التي تصل إلى قائمة المغفلين عبر خدمات التوصيل العادية التي تصل ظهيرة كل يوم، انتفض خارجا من حلم ليلة سُكر، بالأبيض والأسود، رأى فيه نفسه يقفز من فوق شبكة جسور «ستاك» إلى الشوارع المزدحمة بالمرور ساعة الذروة بالأسفل، لدى سماعه طَرْقًا لحوحا على الباب. كان الوقت متأخرا من بعد ظهيرة يوم أحد. فتح الباب فوجد صعلوكا مسنًّا على رأسه طاقية مشغولة ولديه خطّاف بدلا من إحدى يديه، قدَّم له حزمة من الخطابات وهرول مبتعدا

---

(1) الاسخاطولوجي: يسمى علم الأخرويات، مبحث ديني في نهاية العالم، والعالم الآخر.

t.me/ktabpdf مكتبة

من دون كلمة. معظم الخطابات كانت من منتحرين فشلوا في الانتحار، إما لرعونتهم أو لجبن تملَّكهم في الدقيقة الأخيرة. لا أحد منهم، بالطبع، كان قادرا على تقديم أيّ أسباب فاتنة للبقاء على قيد الحياة. مع ذلك ارتبك المسؤول: قضى أسبوعا آخر بصحبة مزقٍ من الورق كان يكتب عليها، في عمودين سماهما «المزايا» و«العيوب»، أسبابا مع، وأخرى ضد، اتخاذ قرار القفز[1]. وجد أن التوصل إلى قرار واضح أمر مستحيل في غياب محفِّز ما. وأخيرا لاحظ ذات يوم قصة في الصفحة الأولى من الـ «تايمز»، كانت مرفقة بصورة من وكالة «أسوشيتد برس»، عن راهب بوذي في فييتنام أشعل النار في نفسه احتجاجا على سياسات الحكومة. «رائع!»، صرخ المسؤول. ذهب إلى الجراج، وشفط كل البنزين من خزانة سيارته الـ«بويك»، وارتدى بدلته الخضراء المشتراة من «زكاري أُول»[2]، بالصديري، ودس كل خطابات المنتحرين الفاشلين في جيب معطفه، وذهب إلى المطبخ، وجلس على الأرض، وبدأ يغمر نفسه بالبنزين. كان على وشك القيام بنقرة الوداع لعجلة قدّاحته الـ«زيبو» المخلِصة، التي صاحبته عبر وشائع نورماندي، وغابات الأردين، وألمانيا، وأمريكا بعد الحرب، عندما سمع مفتاحا يدور في الباب الأمامي، وأصواتا. كانت زوجته بصحبة رجل ما، عرف على الفور أنه هو نفسه خبير الصلاحية في يويوداين الذي كان وراء استبداله بكمبيوتر IBM 7094[3]. وإذ فتنته المفارقة، جلس في المطبخ وأصاخ السمع، تاركًا ربطة عنقه مغموسة في

---

(1) اتخاذ قرار القفز: في الأصل taking his Brody (يقفز قفزة برودي)، وهي إشارة إلى واقعة جرت سنة 1886 عندما قفز «ستيف برودي» من فوق جسر بروكلين إلى نهر «إيست ريفر»، من ارتفاع يقرب من أربعين مترا، ونجا. دخلت العبارة إلى اللغة الانجليزية كتعبير عامي في بعض مناطق الولايات المتحدة- هذه العبارة ترتبط بحلمه السابق عن القفز من وسط الجسر.

(2) زكاري أول: محل ملابس شهير في لوس أنجليس في ذلك الوقت.

(3) IBM 7094: كان الكمبيوتر الأكثر تطورا في ذلك الوقت، ويشغل غرفة كاملة.

مكتبة t.me/ktabpdf

البنزين مثل فتيل. ومما تمكن من التقاطه، كان خبير الصلاحية يرغب في ممارسة الجنس مع زوجته على السجادة المغربية في غرفة المعيشة. ولم تكن الزوجة تمانع. سمع المسؤول ضحكة خليعة، وسحّاب يُفتح، وأحذية تدق على الأرض، وتأوّهات بأنفاس ثقيلة. أخرج ربطة عنقه من البنزين وبدأ يضحك ضحكة مكبوتة. أغلق غطاء ولاعته الزيبو. عندها قالت زوجته: «أسمع ضحكا». وقال خبير الصلاحية: «أشم رائحة بنزين». يدا بيد، عاريين، توجه الاثنان إلى المطبخ. شرح لهما المسؤول «كنت على وشك أن أفعل مثلما فعل الراهب البوذي». قال خبير الصلاحية متعجبا. «ثلاثة أسابيع تقريبا ليتخذ القرار. هل تعرف كم يستغرق الـIBM 7094؟ اثني عشر مايكرو ثانية. لا عجب أنه حلَّ محللك». رمى المدير رأسه إلى الوراء وراح يضحك لعشر دقائق كاملة، في أثنائها انسحبت الزوجة وصديقها، مذعورَيْن، وارتديا ملابسهما وخرجا يبحثان عن الشرطة. خلع المسؤول ملابسه، وأخذ حماما وعلّق بدلته على الحبل لكي تجف. ثم لاحظ شيئا غريبا. كانت الطوابع على بعض الخطابات في جيب بدلته قد تحولت إلى اللون الأبيض تقريبا. أدرك أن البنزين لا بد وأنه أذاب حبر الطباعة. بفتور، قشّر طابعا فرأى فجأة صورة بوق البريد المكتوم، وجِلد يده يظهر واضحا من وراء العلامة المائية. همس لنفسه «علامة. إنها علامة». لو أنه كان متديِّنا لخرَّ على ركبتيه. لكن والحالة تلك، اكتفى بالإعلان، بوقار شديد: «خطئي الأكبر هو الحب. من هذا اليوم أقسم بأنني سأظل بعيدا عن الحب: غيريا كان أو مثليا أو مزدوجا، كلبا أو قطا، كل أنواع الحب. سوف أؤسس جمعية للمستفردين، مخصصة لهذا الغرض، وهذه العلامة، التي كشفها البنزين نفسه الذي كاد يدمرني، ستكون شعارا لها». وقد فعل.

قالت أوديبا، التي كانت على درجة من السكر عندها: «وأين هو الآن؟».

t.me/ktabpdf مكتبة

قال الإناموراتو المجهول: «إنه مجهول. لماذا لا تكتبين له عبر منظومة WASTE التي تتحدثين عنها؟ لنقل 'مؤسس الـIA'».

قالت: «لكنني لا أعرف كيف أستخدمها».

تابع، وقد تملكه السكر هو الآخر: «فكّري في الأمر. عالم تحتي كامل من المنتحرين الذين فشلوا في الانتحار. جميعهم يتواصلون عبر تلك المنظومة البريدية السرية. ماذا يكتبون لبعضهم البعض؟». هز رأسه، مبتسما، ونزل متعثرا عن كرسيه، وذهب ليتبول، مختفيا وسط الزحام الكثيف. ولم يعد.

جلست أوديبا، وهي تشعر بالوحدة مثلما كانت دائما، ورأت الآن أنها المرأة الوحيدة في غرفة مليئة بالذكور السكارى من ذوي الميول المثلية. فكرت: إنها قصة حياتي، موتشو لن يتكلم معي، هيلارياس لن يصغي إليَّ، كليرك ماكسويل لم يُعنَ حتى بالنظر ناحيتي، وهذه المجموعة، الله أعلم. استولى عليها اليأس، كما هو الحال عندما لا تجد أية آصرة جنسية بينك وبين كل من حولك. عاينَت طيف الشعور القائم في المكان فوجدته يتراوح بين كراهية عنيفة (صبي ذو ملامح هندية خرج بالكاد من مراهقته، بشعر متجلِّد طويل حتى الكتفين مدسوس خلف أذنيه وحذاء «كاوبوي» مدبب) وبين استبصار خشن (شخص أشبه بعملاء المخابرات السرية يضع نظارة بإطارات صدفية راح يحدق في ساقيها، محاولا اكتشاف إن كانت رجلا متخفيا في ملابس نساء)، لا أحد هنا يمكن أن يفيدها بأي شيء. وهكذا نهضت بعد برهة وغادرت «الطريق اليوناني»، ودخلت المدينة مجدَّدا، المدينة الموبوءة.

وقضت بقية الليل في العثور على صور لبوق «تريسترو» البريدي. في الحي الصيني، في الواجهة الزجاجية المظلمة لمحل عطارة، ظنت أنها رأته على لافتة وسط رموز أخرى. لكن ضوء الشارع كان خافتا. لاحقا،

مكتبة t.me/ktabpdf

على أحد الأرصفة، رأت اثنين منه مرسومين بالطباشير، يبعد أحدهما عن الآخر عشرين قدما، بينهما تشكيلة معقدة من المربعات، بعضها فيه حروف، والبعض الآخر أرقام. لعبة أطفال؟ أماكن على خريطة؟ تواريخ من تاريخ سري؟ نسخت المخطط في مفكرتها. عندما رفعت رأسها، كان رجل، ربما رجل، في بدلة سوداء، يقف على باب على بعد نصف شارع، يراقبها. ظنت أنها رأت ياقة مقلوبة لكنها لم تجازف. عادت من الطريق الذي جاءت منه، ونبضها يرعد. توقفت حافلة عند الناصية التالية، فركضت لتلحق بها.

ظلت مع الحافلات بعد ذلك، تنزل من وقت لآخر ثم تسير حتى تظل مستيقظة. كل فُتات الأحلام التي تراءت لها كان لها علاقة بالبوق البريدي. لاحقا، ربما، ستجد مشكلة في تصنيف الليلة إلى حقائق وأحلام.

عند مقطع غير محدَّد من موسيقى الليل التصويرية الطنّانة، خطر لها أيضا أنها ستكون آمنة، أن شيئا ما، ربما سكْرها المتراجع تدريجا ليس أكثر، سيحميها. كانت المدينة لها، كما، وهي متزينة ومتأنقة انسجاما مع الكلمات والصور المعتادة (كوزموبوليتانية، ثقافية، عربات كهربية) لم تكن من قبل: لديها ممر آمن الليلة إلى شعابها الدموية البعيدة، سواء كانت شعيرات صغيرة لا تسمح إلا بالنظر داخلها، أو أوعية ممهوكة معا في ما يشبه عضّات جنسية وقحة محلية الطابع، تظهر آثارها على الجلد ليراها الجميع إلا السواح. لا شيء من الليل يمكن أن يمسسها؛ ولم يمسسها شيء. تكرار الرموز كان ليكون كافيا، من دون الحاجة إلى صدمة تُموه على ذلك أو حتى تخضَّه فتحرره من ذاكرتها. **كان مقصود لها أن تتذكر.** واجهت هذه الاحتمالية كما قد تواجه شارعا صغيرا من شرفة عالية، ركوبا في قطار الملاهي، أو وحوش في حديقة الحيوان ساعة الأكل – أي أمنية موت يمكن أن تكتمل بأقل حركة. لمست حافة مجالها الشهواني،

t.me/ktabpdf مكتبة

مدركة أنه سيكون جميلا ولا في الأحلام أن تستسلم لها ببساطة؛ أن لا قوة الجاذبية الأرضية، ولا قوانين المقذوفات، ولا الافتراس الوحشي، يخبئ لها فرحة أكبر. جرَّبَت العبارة، وهي ترتعد: مقصود لي أن أتذكر. كل مفتاح يأتي يُفترَض أن له إيضاحه الخاص، فرصته الخافتة للامتداد. لكن عندها تساءلت إن كانت «مفاتيح» هذه الأحجية الأشبه بلعبة ليست إلا نوعا من التعويض. تعويض عن فقدانها الـ«كلمة» المتلجلجة المباشرة، الصيحة التي قد تُبطل الليل.

في حديقة «جولدن جيت» دخلت وسط حلقة من الأطفال في ملابس النوم، قالوا لها إنهم يحلمون بهذا اللقاء. لكن الحلم كان في الحقيقة لا يختلف عما لو كانوا مستيقظين، لأنهم عندما يستيقظون في الصباحات يشعرون بالتعب، وكأنهم ظلوا مستيقظين معظم ساعات الليل. وبينما تظن أمهاتهم أنهم في الخارج يلعبون يكونون في الحقيقة ملتفين على أنفسهم في دواليب الملابس في بيوت الجيران، وفي طبليات عالقة فوق الأشجار، وفي جحور حُفرت سرا وسط الشجيرات، نائمين، يعوضون هذه الساعات. كان الليل خاليا من كل خوف بالنسبة لهم، كان لديهم وسط دائرتهم نار متخيلة، ولا يريدون شيئا سوى حِسّهم الجماعي المنيع هذا. كانوا يعرفون بأمر البوق البريدي، لكنهم لا يعرفون شيئا عن اللعبة المرسومة بالطباشير التي كانت أوديبا قد رأتها على الرصيف. شرحت لها فتاة صغيرة: تستندين إلى خيال واحد وهو أنك في إحدى ألعاب نط الحبل: وتنزلين بالتناوب في الحلقة، ثم في الجرس، ثم في كاتم الصوت، بينما تغني صديقتك:

تريستو، تريستو، واحد، اتنين، تلاته

ثور في التاكسي بياكل شوكالاته...

«تقصدون ثورن وتاكسيس؟».

لم يسمعوا العبارة قط بهذه الصيغة. ذهبوا ليدفئوا أيديهم على نار غير مرئية. ولكي تنتقم أوديبا، توقفت عن الإيمان بهم.

في مطعم مكسيكي رخيص مفتوح على مدار الليل متفرع من شارع 24، وجدت قطعة من ماضيها، في صورة المدعو «جيساس أرابال»،[1] الذي كان يجلس في ركن تحت جهاز تلفزيون، يقلّب بفتور سلطانية شوربته الـمُعتمة بِرجل دجاجة. حيا أوديبا قائلا: «هاي. أنت السيدة التي كانت في مازلتان». أومأ لها أن تجلس.

قالت أوديبا: «أنت تتذكر كل شيء يا جيساس؛ حتى السواح. كيف حال الـCIA معك؟». لم تكن تلك اختصارا للوكالة التي في ذهنك، وإنما لجماعة مكسيكسة سرية باسم Conjuration de los Insurgentes Anarquistas،يرجع تاريخها إلى زمن الأخوين «فلوريس ماجون» وتعاونت لاحقا مع زاباتا لفترة قصيرة.[2]

قال وهو يلوّح بذراعه مستعرضا المكان «كما ترين، في المنفى». كان شريكا هنا مع «يوكاتاني» لا يزال مؤمنا بالثورة. ثورتـهم. «وأنتِ. أما زلتِ مع هذا الجرينجو الذي يغدق عليكِ بالأموال؟ نصير الأوليجاركية، المعجزة؟».[3]

«لقد مات».

---

(1) جيساس: بالعربية «يسوع».

(2) اسم الجماعة بالأسبانية: وحيث أن كلمة conjuration تعني «مؤامرة» و«استحضار أرواح»، يكون اسم التنظيم «مؤامرة الأناركيين المتمردين» أو «استحضار أرواح الأناركيين المتمردين»- الأخوان فلوريس ماجون تزعما حركة أناركية مكسيكية في السنوات الأولى من القرن العشرين- زاباتا: أحد أبرز زعماء الثورة المكسيكية في العقد الثاني من القرن العشرين.

(3) يوكاتاني: من شبه جزيرة يوكاتان المكسيكية، والمنحدر من سلالة المايا- جرينجو: في لغة أمريكا اللاتينية تشير إلى الأغيار، وخاصة الأمريكي الأبيض- الأوليجاركية: حكم الأقلية.

t.me/ktabpdf مكتبة

«آه، بوبريسيتو». كانا قد التقيا جيساس أرابال على الشاطئ، حيث كان قد أعلن قبلها عن تظاهرة معارضة للحكومة. لم يأتِ أحد. وهكذا شرع يتكلم مع إنفيراريتي، الذي لا بد وأنه عدو، ليكون مخلِصا لمعتقده، ليتعلم. بيرس، بسبب سلوكياته الحيادية في وجود العدوانية، لم يكن لديه ما يقوله لأرابيل؛ راح يلعب دور الجرينجو الثري البغيض بمهارة شديدة حتى أن أوديبا رأت القشعريرة وهي تسري بطول ساعدي الأناركي، وليس تأثرا بنسيم الباسيفيك. سرعان ما ذهب بيرس لركوب الأمواج، وسألها أرابال إن كان حقيقيا، أم جاسوسا، أم يسخر منه. لم تفهم أوديبا.

«تعرفين ما هي المعجزة. ليست كما قال باكونين. المعجزة هي تداخل عالم آخر في هذا العالم. معظم الوقت نتعايش بشكل سلمي، لكن عندما نتلامس بحق تقع مصيبة. إن الأناركيين يؤمنون بعالم آخر، شأنهم شأن الكنيسة التي نكرهها. حيث الثورات تندلع تلقائيا ومن دون قيادة، وحيث مقْدرة الروح على الإجماع تسمح للجموع بالعمل معا من دون جهد، بشكل آلي مثل الجسد نفسه. مع ذلك يا سينيا،[1] إذا حدث شيء من هذا ذات يوم بهذا الكمال، سوف يكون عليَّ أنا أيضا أن أصرخ: معجزة. معجزة أناركية. مثل صديقك. إنه هو بالضبط تماما ومن دون شائبة واحدة عدوّنا الذي نحاربه. في المكسيك، في الأغلبية الساحقة من الحالات، يمكن استرداد الثريّ- ليصبح واحدًا من الشعب. ليس أمرا إعجازيًّا. لكن صديقك، إلّا إن كان يمزح، مرعب بالنسبة لي كما السيدة العذراء تتراءى لهندي».

في السنوات التي تلت تلك الواقعة تذكرت أوديبا جيساس لأنه رأى ذلك في بيرس ولم تره هي. وكأنما كان، بطريقة لا-جنسية، منافسا. الآن

---

(1) سينيا sena: اختصار لـ«سنيورا» بمعنى «سيدتي».

مكتبة t.me/ktabpdf

وهي تشرب قهوة ثقيلة فاترة من قِدْرٍ فخاريّ على العين الخلفية لموقد اليوكاتاني وتنصت لجيساس وهو يتحدث عن المؤامرات، تساءلت أمَا كان جيساس، من دون معجزة بيرس كي تطمئنه، ليترك الـCIA في نهاية المطاف وينضمّ مثل بقية الناس إلى حزب الأغلبية، بريستا، ومن ثم لا يُجبر أبدا على الرحيل إلى المنفى.

كان الرجل الميت، مثل عفريت ماكسويل، هو الملمح الرابط في مصادفة. من دونه ما كان لها، لا هي ولا جيساس، أن يتواجدا هنا تحديدا، الآن تحديدا. كان ذلك كافيا، تحذيرا مشفَّرا. ماذا كانت الاحتمالات الليلة؟ لذا فقد وقعت عيناها الآن على النسخة القديمة الملفوفة من صحيفة النقابي الأناركي المسماة «البعث».[1] كان التاريخ 1904 ولم يكن هناك طابع بجوار الختم، فقط صورة مرسومة يدويا للبوق البريدي.

قال أرابال: «إنها تصل. هل ظلت في البريد كل هذا الوقت؟ هل استُبدل اسمي باسم عضو مات؟ هل استغرقَت بالفعل ستين عاما؟ هل هي إعادة طبع؟ أسئلة فارغة. أنا جندي مشاة. المستويات الأعلى لديهم أسبابهم». عادت حاملة تلك الفكرة معها إلى داخل الليل.

هناك على شاطئ المدينة، بعدما أغلقت أكشاك البيتزا وألعاب الملاهي بوقت طويل، سارت من دون أن يتعرض لها أحد عبر سحابة حلمية منسابة من الصُيَّع في جاكيتات خفيفة صيفية من ذلك النوع الذي ترتديه العصابات مخيّط عليها البوق البريدي بخيط بدا فضيًّا صافيا تحت ما كان هناك من سَنا القمر. كانوا جميعا يدخنون، ويتعاطون شيئا بالشم أو الحقن، وربما لم يرونها من الأساس.

وحين استقلّت حافلة متضعضعة ممتلئة بالزنوج الذاهبين إلى ورديات

---

(1) البعث: بالأسبانية في الأصل.

مكتبة

t.me/ktabpdf

الجبَّانة[1] في كل أرجاء المدينة، رأته مُخربَشا على ظهر أحد المقاعد، يلتمع في عينيها في الداخل الساطع المليء بالدخان، ذلك البوق البريدي إلى جواره الكلمة الشهيرة «الموت». لكن بخلاف WASTE، كان شخص ما قد أتعب نفسه وكتب بالقلم الرصاص: «إياك وأن تعادي البوق».

وبالقرب من مسرح «فيلمور» عثرت على الرمز مثبَّتا على لوحة الأخبار الخاصة بمغسلة من تلك التي تعمل بالعملة، إلى جانب مِزق أخرى من أوراق تعلن عن كيٍّ رخيص وجليسات أطفال. كانت الورقة تقول «إذا كنت تعرف معنى هذا، فأنت تعرف أين يمكنك اكتشاف المزيد». من حولها تصاعدت رائحة الكلور المبيِّض صوب السماء، مثل بخور. كانت الماكينات تقرقر وتمخض بعنف. وباستثناء أوديبا، كان المكان مهجورًا، وبدا أن مصابيح الفلوريسنت تزعق بالبياض، الذي كُرِّس له كل شيء يلامسه نورها. كان حيًّا للزنوج. هل كان «البوق» مكرَّسا لهذه الدرجة؟ هل في هذا السؤال «معاداة للبوق»؟ من يمكنها أن تسأل؟

في الحافلات طوال الليل ظلت تستمع إلى راديوهات الترانزستور وهي تبث أغنيات من قاع قائمة أفضل 200 أغنية، أغنيات لن تنال شعبية قط، ألحانها وكلماتها ستختفي وكأنها لم تُغنَّ أبدا. فتاة مكسيكية، تحاول سماع واحدة منها عبر التشويش الهادر من محرك الحافلة، راحت تدندن مع الأغنية وكأنها ستتذكرها دائما، وهي ترسم بأحد أظافرها أبواقا بريدية وقلوبا على النافذة المغبَّشة بأنفاسها.

هناك في المطار، راحت أوديبا، وهي تشعر بأنها غير مرئية، تسترق السمع للعبة «بوكر» كان الخاسر الدائم فيها يواظب على تسجيل كل خسارة له بأناقة وإتقان في دفتر حسابات مزيَّن من الداخل بأبواق

---

(1) ورديات الجبانة: مرادف عامي لـ«ورديات الليل».

مكتبة t.me/ktabpdf

بريدية مخربشة. سمعته يقول: «أقترب من معدل عوائد 99.375 بالمائة يا رفاق». نظر له الآخرون، الغرباء عنه، بعضهم بخواء والبعض بضيق. واصل كلامه محاولا الابتسام: «أنا في طريقي لموازنة الرصيد، بعد 23 عاما. دائما هناك تلك النسبة المئوية الصغيرة على الجانب الخاطئ من معادلة الوصول إلى نقطة اللاربح ولا خسارة. ثلاثة وعشرون عاما. لن أنجح أبدا. لماذا لا أتوقف؟». لا أحد يجيب.

في أحد المراحيض كان ثمة إعلان للـAC-DC، التي تعني «طائفة الموت بمقاطعة ألاميدا»، إلى جانب رقم صندوق بريدي وبوق بريدي. يقال إنهم مرة في الشهر يختارون ضحية من الأبرياء، الأفاضل، المندمجين اجتماعيا، والمتأقلمين على نحو طيب، ويستخدمونه جنسيا، ثم يضحّون به. لم تنقل أوديبا الرقم.

في طريقه للحاق برحلة «تي دبليو إيه» المتجهة إلى ميامي كان ثمة صبي أخرق خطَّط لأن يتسلل ليلا إلى داخل أحواض المياه ويبدأ مفاوضات مع الدرافيل، الذين سيخلِفون الإنسان. كان يُقبّل أمه بحرارة قبلات الوداع، مستخدما لسانه. وظل يقول «سأكتب لك يا ماما». وقالت هي «اكتب لي على WASTE. تذكر. إذا استخدمت الأخرى سوف تفتح الحكومة الخطاب. وسوف تغضب الدرافيل». قال «أحبك يا ماما». أوصته «أحبب الدرافيل. واكتب على WASTE».

هكذا سارت الأمور. ظلت أوديبا تتلصص وتتنصت. من بين لقاءاتها الأخرى كان عامل لحام مشوَّه الوجه، معتز بقبحه؛ طفل يتجول في الليل وقد نجا من الموت قبل مولده كما يشتاق بعض المنبوذين لخواء المجتمع المهدهد المحبب[1]؛ امرأة زنجية لها ندبة معرَّقة بتعقيد على خدها

(1) اللعب على كلمة miss التي استخدمت في الجزء الأول من العبارة بمعنى «ينجو» وفي المعنى الثاني بمعنى «يشتاق».

t.me/ktabpdf

مكتبة

المنتفخ من الحمل وقد ظلت تدخل في طقوس إجهاض لسبب مختلف في كل مرة، عن عمد كما قد تدخل أخريات طقس الولادة، وكأنها ليست مرصودة للديمومة وإنما لنوع من الانقطاع؛ حارس ليلي مسنّ، يعضُّ في قالب «صابون أيفوري»، كان قد درّب معدته الفقيهة كذلك على تقبل الغسولات، معطرات الهواء، الأقمشة، التبغ، والشموع في محاولة يائسة لامتصاص كل شيء، كل الوعد، والإنتاجية، والخيانة، والقرحات، قبل فوات الأوان؛ بل وحتى مسافر آخر، معلَّق خارج أحد نوافذ المدينة التي لا تزال مضاءة، يبحث عن صورةٍ مَن يعرفُ ما هي بالتحديد. ومثل زينة تنمّق كل اغتراب، وكل صنف من صنوف الانسحاب، مثل أزرار الأكمام، والنقوش الطباعية، والرسوم العابثة، كان البوق البريدي هناك على نحوٍ ما دائما. صارت تتوقع رؤيته لدرجة أنها ربما لم تره بهذه الكثرة بحسب ما تذكرت لاحقا. مرتان ثلاثة كانت ستكون كافية بالفعل. أو أكثر من اللازم.

استقلّت حافلة وسارت بداخلها في الصباح البرّاق، مسلّمة نفسها لقدرية لم تعهدها. أين ذهبت أوديبا التي قادت سيارتها بشجاعة من سان نارسيسكو إلى هنا؟ ها قد أصبحت الطفلة المتفائلة أشبه بمحقق سري في دراما إذاعية من زمن فات، مؤمنة أن كل ما تحتاج إليه هو الجسارة، والدهاء، والتحرر من قواعد الضباط ضيقي الأفق، لتحل أي غموض مهما استغلق.

لكن المحقق السري عاجلا أم آجلا يجب أن يوسَع ضربا. وهذا الفيض الليلي من أبواق البريد، هذا الاستنساخ المتعمَّد، الخبيث، كان طريقتهم في أن يوسعوها ضربا. كانوا يعرفون نقاط ضعفها، والعُقد العصبية لتفاؤلها، وواحدة واحدة، قرصة محكمة بعد أخرى، كانوا يشلونها.

الليلة السابقة، ربما تساءلت أيّ جماعات سرية بخلاف الاثنتين اللتين عرفت بأمرهما تتواصل باستخدام منظومة WASTE، ومع شروق الشمس كان بوسعها أن تسأل سؤالا مشروعا: أي جماعات سرية لا تفعل؟ إذا

t.me/ktabpdf مكتبة

كانت المعجزات هي، كما قد افترض جيساس أرابال قبل أعوام على الشاطئ في مازلتان، تدخلات من عالم آخر في هذا العالم، ضربة افتتاحية لكرات بلياردو كونية، إذن هكذا لا بد وأن يكون كل بوق من الأبواق البريدية الليلية. إذ يعلم الله وحده هنا كم مواطنا اختار عمدًا ألّا يتواصل بالبريد الأمريكي. لم يكن ذلك مبعثه الخيانة، ولا التحدي حتى. لكنه كان انسحابا محسوبا، من الحياة في الجمهورية، من آليتها. من أي شيء حرموا أيضا بسبب الكراهية، واللامبالاة بقوة أصواتهم الانتخابية، والثغرات القانونية، والجهل البسيط. هذا الانسحاب كان انسحابهم، غير المعلن، الخاص. ولما لم يكن بمقدورهم الانسحاب إلى الفراغ (أكان بمقدورهم ذلك؟)، كان يجب أن يوجد العالم غير المعروف، الصامت، المنفصل.

قبيل ساعة الذروة الصباحية، خرجت من سيارة ركّاب كان سائقها العتيق يرجع كل يوم خاسرًا، في وسط البلد في شارع «هوارد»، وبدأت تسير باتجاه كورنيش «إمباركاديرو». كانت تعرف أن مظهرها بشع- براجمها مسودّة بمحدّد العيون والـ«مسكارا» من حيث كانت تفركها، وفمها ممتلئ ببقايا طعم الخمر والقهوة. عبر باب مفتوح، على الدَّرج الذي يقود إلى غبشة بيت يضم غرفا للإيجار ويفوح برائحة المطهّرات، رأت رجلا هرما متكبكبًا، يهتز بحزن لم تستطع سماعه. يداه، البيضاوان مثل الدخان، تغطيان وجهه. على ظهر اليد اليسرى تبينت البوق البريدي، موشومًا بحبر قديم بدأ الآن يبهت ويسيح. مأخوذة، خطت إلى ظلاله وصعدت الدرجات المقعقعة، مترددة على كل منها. عندما أصبحت على بعد ثلاث درجات منه انفتحت اليدان فتجمّدت لمرآى وجهه المحطم، والرعب المتمجِّد في عينين انفجرت شعيراتهما الدموية.

«هل أستطيع مساعدتك؟». كانت ترتعد، مجهدة.

قال: «زوجتي في فريسنو». كان يرتدي بدلة قديمة بصفَّيْ أزرار، وقميصا

رماديا مهترئا، وربطة عنق عريضة، ومن دون قبعة. «تركتها. قبل زمن طويل، لا أتذكر متى. الآن هذا من أجلها». أعطى أوديبا خطابًا بدا وأنه ظل يحمله معه لسنوات. «أسقطيه في» رفع الوشم وحدَّق في عينيها «تعرفين. لا أستطيع الذهاب إلى هناك. لقد أصبح بعيدا جدا الآن. وقد قضيت ليلة سيئة».

قالت: «أعرف. لكنني لست من البلدة. ولا أعرف مكانه».

«تحت الطريق السريع». أشار إليها في الاتجاه التي كانت ماضية إليه. «هناك واحد دائما. سوف ترينه». أُغمضت العينان. تُرى، حين كان يتسلل كل ليلة خارجا من الأخدود الآمن الذي يستيقظ جُرم المدينة كل شروق جاهزا لحرثه بكل نزاهة، أيّ أرض خصبة قلّبها، أيّ كواكب سيارة كشف سترها؟ أيّ أصوات تناهت إلى مسامعه، أيّ شظايا آلهة مشعة تراءت له وسط الزخارف النباتية على أوراق الحائط المبقعة، أيّ أعقاب شموع أُشعلت لتدور في الهواء من فوقه، متنبئة بالسيجارة التي لا بد وأنه، أو صاحبا له، سوف ينام يومًا أثناء تدخينها، ومن ثم تنتهي بين الأملاح السرية المتوهجة التي حافظت عليها كل تلك السنين الحشوة النهمة لمرتبةٍ استطاعت اقتناص أثر كل عَرق أعقب كابوسًا، أثر المثانة الفياضة العاجزة، أثر كل احتلام ضار تممته الدموع، مثل خزانة الذاكرة بالنسبة لكمبيوتر الضائعين؟ اجتاحتها فجأة رغبة في لمسه، وكأنها لا تستطيع الإيمان به، أو لن تتذكره، من دون ذلك. مرهَقة، تكاد لا تعرف ما تفعله، صعدت الدرجات الثلاث الأخيرة وجلست، أخذت الرجل بين ذراعيها، أو الأدَقّ أمسكت به، وهي تنظر بعينيها الملطختين إلى أسفل السلم، عائدة بهما إلى الصباح. شعرت ببلل على صدرها وعرفت أنه راح يبكي ثانية. كان لا يكاد يلتقط أنفاسه لكن الدموع انهمرت وكأنما بفعل مضخة. همست، وهي تهزه: «لا أستطيع مساعدتك. لا أستطيع مساعدتك». كانت المسافة إلى فريسنو طويلة جدا.

«هل هذا هو؟»، سأل صوت من خلفها، في أعلى الدَّرَج. «البحَّار؟».

«لديه وشم على يده».

«هل يمكنك مساعدته على الصعود، طيب؟ إنه هو». استدارت ورأت رجلا هرما يفوقه سنا حتى، وأقصر قامة، يعتمر قبعة هامبورج[1] ويبتسم لهما. «كنت أتمنى أن أساعدك لكنني أعاني من بعض الالتهابات في المفاصل».

قالت: «وهل يجب عليه أن يصعد؟ حتى عندك؟».

«وإلى أين يمكن أن يذهب يا سيدتي؟».

لم تكن تعرف. تركته للحظة، مترددة وكأنه طفلها، ورفع رأسه إليها. قالت: «هيا بنا». مدّ إليها يده الموشومة فتناولتها، وهكذا صعدا بقية الدرج في قَلبة السلم هذه، ومن ثم قلبتين أخريين: يدا بيد، ببطء شديد، حتى وصلا إلى الرجل المصاب بالتهاب المفاصل.

قال لها: «لقد اختفى ليلة أمس. قال إنه سيخرج للبحث عن سيدته العجوز. إنه يفعل ذلك بين حين وآخر». دخلا غرفا وممرات تشبه الجحور، تضيئها مصابيح خافتة، تفصلها قواطع من الخشب المضغوط. تبعهما الرجل الهرِم بخطى متصلبة. وفي النهاية قال: «هنا».

في الغرفة الصغيرة كانت توجد بدلة أخرى، وبضع منشورات دينية، وسجادة، وكرسي. صورة لقديس يحوّل ماء البئر إلى زيت لمصابيح عيد الفصح في أورشليم. مصباح آخر، ميت. السرير. المرتبة، تنتظر. مر بذهنها لحظتها مشهد يمكنها أن تلعب بطولته. ربما تبحث عن مالك هذا المكان، وتأخذه إلى المحكمة، وتشتري للبحّار بدلة جديدة من «روس أتكينز»، وقميصا، وحذاء، وتعطيه أجرة الحافلة إلى فريسنو في

---

(1) قبعة هامبورج: قبعة من اللباد ذات نقرة واحدة في الوسط.

t.me/ktabpdf مكتبة

نهاية المطاف. لكنه كان قد أفلت يدها بتنهيدة، أثناء كانت هي ضائعة في أحلامها حتى أنها لم تشعر به يتركها، وكأنه عرف اللحظة المثلى للانفصال.

قال: «أرسلي الخطاب فقط. الطابع ملصَق عليه». نظرت فرأت طابع البريد الجوي القرمزي المألوف فئة 8 سنت، وعليه طائرة نفاثة تحلق بالقرب من قبة الـ«كابيتول». لكن على رأس القبة كانت ثمة هيئة ضئيلة بالأسود الحالك، ذراعاها مفرودان إلى الأمام. لم تكن أوديبا واثقة ما الذي يوجد فوق قمة الكابيتول، لكنها كانت تعرف أنه ليس شيئا كهذا.

قال البحار: «أرجوكِ. اذهبي الآن. أنت لا تريدين البقاء هنا». نظرت في حقيبة يدها، وجدت ورقة بعشرة وورقة بدولار، أعطته العشرة. قال: «سأنفقها على الخمر».

قال المصاب بالتهاب المفاصل، وهو ينظر إلى العشرة: «تذكّر أصدقاءك».

قال البحار: «عاهرة! لماذا لم تنتظري حتى يذهب؟».

راقبته أوديبا وهو يعدل جسده ليستريح على المرتبة. هذه الذاكرة المكدسة، ماكينة الحسابات.

قال البحار: «أعطني سيجارة يا راميزيز. أعرف أن معك سيجارة».

هل ستقع الواقعة اليوم؟ صرخت: «راميريز!». أدار المصاب بالتهاب المفاصل رأسه على عنقه الصدئ. قالت: «سيموت».

قال راميريز: «ومن منا لن يموت؟».

تذكرت جون نيفاستس، وهو يتحدث عن آلته، والتدمير الشامل للمعلومات. هكذا عندما تشتعل هذه المرتبة حول البحّار، في جنازته التي ستقام على طريقة الفايكنج: فإن سنوات الخيبة المشفَّرة المخزَّنة،

والموت المبكر، ومناكدة النفس، واحتضار الأمل المحتوم، وكل هذه الزمرة من الرجال الذين ناموا عليها، كيفما كانت حيواتهم، لن يبق لها وجود، إلى الأبد، عندما تحترق المرتبة. كانت وكأنها قد اكتشفت للتو عملية غير قابلة للنقض. وأذهلها أن تفكر أن كل هذا القدْر يمكن أن يضيع، حتى قِسط الهلوسة الذي يخص البحَّار وحده والذي لن يعود العالم يملك منه أوهى أثر. عرفَت، لأنها كانت قد أمسكت به، أنه يعاني من الـDT، خلف هذين الحرفين كانت ثمة استعارة، «هذيان ارتعاشي» [تلك الحالة التي تصيب المدمنين جراء التوقف عن الشراب]، انبساط لتلافيف العقل المحروثة مصحوبة بالرعشات. إن القديس الذي يستطيع ماؤه أن يضيء المصابيح، والمستبصر الذي يزلُّ في تذكر الماضي فتخرج زلاَّته محَمَّلة بأنفاس الرب، والبارانودي الحقيقي الذي لأجله نُظم كل شيء في مدارات بهيجة أو متوعدة حول النبض المركزي لذاته، والحالم الذي تَسبر توررياته الأغوار والسراديب القديمة النتنة للحقيقة، كلهم يتمتعون بذلك الانسجام الخاص مع الكلمة، أو مع أيٍّ ما جاءت الكلمة، كصدَّادَة، لتحمينا منه. هكذا فإن فعل الاستعارة كان طعنة في كبد الحقيقة وكذبة، بحسب موقعك: بالداخل، آمنا، أم بالخارج، ضائعا. لم تكن أوديبا تعرف أين هي. مرتعشة، منبسطة التلافيف، انزلقت جانبا، تشق طريقها بصرير حاد عبر أخاديد السنين، لتسمع ثانية ذلك الصوت العالي الصادق لحبها الجامعي الثاني أو الثالث «راي جلوزينج» يتشكَّى بين التأوهات واللعقات المدغمة لتجويف ما، من التفاضل والتكامل المقرر على السنة الأولى؛ «dt»، ليساعد الرب هذا العجوز الموشوم، تعني أيضا زمنًا تفاضليًا، لحظة قصيرة سريعة الزوال حيث يواجَه التغيير أخيرا بحقيقته، حيث لا يمكن أن يواصِل التخفّي في صورة شيء حميد مثل متوسط معدل التغيير؛ حيث العجلة تسكن المقذوف رغم أن المقذوف

مكتبة t.me/ktabpdf

متجمد في منتصف رحلته، حيث يسكن الموت الخلية رغم أن الخلية يُنظر إليها في ذروة سرعتها. كانت تعرف أن البحَّار قد رأى عوالم لم يسبق لإنسان آخر رؤيتها ولو كان ذلك فقط لِما تتمتع به التورياتُ السفلية من سحرٍ علويّ، لأن الـDT [الهذيان الارتعاشي] يجب أن يفسح الطريق للـdt [الزمن التفاضلي] الخاص بالأطياف في ما وراء الشمس المعروفة، للموسيقى المصنوعة بالكامل من الوحدة والخوف الأنتاركتيكيين[1]. لكن لا شيء تعرفه سوف يحفظهم أو يحفظه. ودَّعته ونزلت الدَّرَج ثم تابعت طريقها، في الاتجاه الذي دلّها عليه. على مدار ساعة ظلت تجوس بين دعامات الطريق السريع الأسمنتية، غير المشمسة، تتعثر بسكارى، وصعاليك، وغلمانيين، ومومسات، وذهانيين متجولين، لا صندوق بريد سري. لكنها في النهاية بين الظلال عثرت على صفيحة لها غطاء شبه منحرف، من ذلك النوع الذي تُلقى فيه القمامة: قديمة وخضراء، ارتفاعها أربع أقدام. على الغطاء المتحرك رُسمت باليد حروف W.A.S.T.E. كان عليها أن تنظر عن كثب لترى النقاط بين الأحرف.

أراحت أوديبا ظهرها في ظل أحد الأعمدة. وربما غلبها النعاس. أفاقت لترى صبيا يُسقط حزمة من الخطابات داخل الصفيحة. اتجهت إليها وأسقطت خطاب البحار إلى فريسنو؛ ثم اختبأت ثانية وانتظرت. حوالى منتصف النهار ظهر شاب سكّير ممشوق القوام حاملا جوالا؛ فتح لوحا في جنب الصندوق وأخرج كل الخطابات. تركته أوديبا يتقدم مسافة نصف ناصية، ثم بدأت تتعقبه، مهنئة نفسها على أنها قد فكرت في انتعال حذاء مسطَّح، على الأقل. قادها ساعي البريد عبر سوق ثم بالقرب من «ساحة المدينة». في شارع قريب من البوابة الحجرية الشاحبة للساحة حتى أنه التقط عدوى رماديته، كان على موعد مع ساع آخر، وتبادلا

(1) الأنتاركتيكيين: نسبة إلى القارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا).

t.me/ktabpdf

مكتبة

جواليهما. قررت أوديبا أن تظل وراء ذلك الذي كانت تتبعه. ظلت في أعقابه قاطعة السوق الصاخب، المتعرج، المكدس بالقاذورات ثم في شارع «فيرست» إلى موقف الحافلات المتجهة إلى الجانب الآخر من الخليج، حيث اشترى تذكرة إلى «أوكلاند»، وكذا فعلت أوديبا.

استقلا الحافلة عبر الجسر دخولا إلى الوهج الخالي للأصيل الأوكلاندي. فقد المنظر كل ما كان به من تنوّع. نزل ساعي البريد في منطقة لم تستطع أوديبا التعرف عليها. تبعته لساعات في شوارع لم تعرف اسمها قط، عبر طرق شريانية حتى مع هدأة الأصيل كادت تقتلها، دخولا وخروجا من عشوائيات، صعودًا إلى سفوح تلال طويلة مكتظة ببيوت من غرفتين أو ثلاث، نوافذها لا تعكس إلا الشمس ببلادة. رويدًا رويدًا فرَغ جوال خطاباته. في نهاية المطاف استقل حافلة متجهة إلى «بيركلي». تبعته أوديبا. في منتصف شارع تليجراف نزل الساعي وقادها في الشارع إلى بيت سكني له مظهر مكسيكاني. لم ينظر وراءه ولو مرة واحدة. جون نيفاستس يعيش هنا. لقد رجعَت إلى حيث بدأَت، ولم تصدّق أن 24 ساعة قد انقضت. أكان يجب أن تستغرق أكثر أم أقل؟

عندما عادت إلى الفندق وجدت البهو ممتلئا بوفود الصم والبكم في قبّعات احتفالية، مصنوعة من ورق الكريشة على غرار هذه الأشياء الشيوعية الصينية التي نالت شعبية أثناء الصراع الكوري. كانوا جميعا سكارى، وشدّها بضع رجال، لكي يضموها إلى حفل في صالة الرقص الكبيرة. حاولت أن تتملص من السرب الصامت، المومئ، لكنها كانت أضعف من ذلك. كانت ساقاها تؤلمانها، وتشعر بطعم فظيع في فمها. جرفوها في طريقهم إلى قاعة الرقص، حيث اقتنصها من وسطها شاب وسيم في معطف تويد طراز «هاريس» وظل يدور بها ويدور في رقصة فالس، عبر خشخشة أصوات الصمت المختلطة، تحت ثريا هائلة مطفَأة.

كل ثنائي على الحلبة كان يرقص على ما كان في رأس الرفيق: تانجو، «ذات الخطوتين»، «بوسا نوفا»، «سلوب». لكن إلى متى سيستمر ذلك، فكرت أوديبا، قبل أن تصبح التصادمات عقبة حقيقية؟ كانت التصادمات ستحدث لا محالة. البديل الوحيد كان نظاما موسيقيا غير متصوَّر، متعدد الإيقاعات، كل المفاتيح في الوقت نفسه، تصميم للرقصات تتعشق فيه الحركات بسهولة، على نحو مقرر مسبقا. شيء يسمعونه جميعا بحاسة إضافية ضُمِّرت بداخلها. تحركت على خطى رفيقها، مرتخية بين يدي الشاب الأبكم، في انتظار بدء التصادمات. لكنها لم تأت. رُقِّصت لنصف ساعة قبل أن يأخذ الجميع، بإجماع غامض، استراحة، من دون أن تشعر بأية لمسة باستثناء لمسة رفيقها. جيساس أرابال كان سيسمي هذه معجزة أناركية. أما أوديبا، التي ليس لديها اسم لذلك، فكانت واهنة العزم ليس إلا. وهكذا انحنت بأدب ولاذت بالفرار.

في اليوم التالي، بعد اثنتي عشرة ساعة من النوم ومن دون أحلام تذكر، دفعت أوديبا حسابها وقادت سياراتها في شبه الجزيرة إلى كينريت. كانت قد قررت وهي في الطريق، حيث كان لديها الوقت للتفكير في اليوم السابق، أن تقوم بزيارة للدكتور هيلارياس طبيبها النفسي، وأن تخبره بكل شيء. إذ ربما كانت عالقة في خطاطيف الذهان الباردة التي تخترقها من دون جهد. كانت قد تأكدت بعينيها من وجود منظومة WASTE: رأت اثنين من سعاة بريد WASTE، وصندوق بريد لـWASTE، وطوابع WASTE، وأختام WASTE، وكانت منطقة الخليج بأكملها مشبعة بصورة البوق البريدي المكتوم. مع ذلك تمنت لو كان كل ذلك ضربا من الخيال- نتيجة واضحة لكل ما لديها من جراح، واحتياجات، وأقران أشرار. كانت تريد من هيلارياس أن يخبرها بأنها تعاني نوعا من الجنون وتحتاج إلى راحة، وأنه لا يوجد شيء اسمه «تريسترو». كما كانت تريد

مكتبة t.me/ktabpdf

أن تعرف لماذا صار احتمال أن يكون الأمر حقيقيا يشكل لها كل هذا الوعيد.

أوقفت السيارة في مدخل عيادة هيلارياس بُعيد الغروب. لم يبدُ نور مكتبه مضاء. كانت فروع اليوكاليبتوس تتطوّح بفعل تيار هواء قوي يهب من فوق التل، ويمتصه بحر المساء. في منتصف الطريق على الممر المرصوف بالأحجار، جفلت عندما أزّت حشرة بجوار أذنها، وأعقب ذلك صوت طلقة بندقية. لم تكن حشرة، فكرت أوديبا، عند تلك اللحظة، وهي تسمع طلقة أخرى، ربَطَت الأمور. في الضوء الخابي كانت هدفا واضحا؛ الحل الوحيد أن تتجه صوب العيادة. انطلقت إلى الباب الزجاجي، فوجدته مقفلا، والبهو بالداخل مظلما. التقطت أوديبا حجرا بجوار حوض زهور وألقته على الباب. ارتد بعيدا. كانت تنظر حولها بحثا عن حجر آخر عندما ظهرت هيئة بيضاء بالداخل، اتجهت مرتجفة صوب الباب وفتحته لها. كانت «هيلجا بلام»، مساعدة هيلارياس في بعض الأوقات.

«أسرعي»، قالتها مدمدمة، فيما انسلّت أوديبا إلى الداخل. كانت المرأة على شفا الهستيريا.

قالت أوديبا: «ما الذي حدث؟».

«لقد جُنّ. حاولت الاتصال بالشرطة، لكنه رفع كرسيا وهشَّم به لوحة الـ'سويتش'».

«الدكتور هيلارياس؟».

«يظن أن شخصا يطارده». كانت مسحات من الدموع قد تعرَّجت على عظام خدَّي الممرضة. «أقفل على نفسه المكتب مع تلك البندقية». بندقية جيفير 43[1]، من أيام الحرب. تذكرت أوديبا، كان يحتفظ بها كتذكار.

(1) جيفير 43: بندقية نصف آلية طورتها ألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية. (جيفير بالألمانية تعني بندقية).

t.me/ktabpdf مكتبة

«لقد أطلق النار باتجاهي. تظنين أن أحدا سيبلغ عن ذلك؟».

«طيب، لقد أطلق النار على نصف دستة من الناس»، أجابتها الممرضة بلام، وهي تقودها في ممر إلى مكتبها. «الأفضل أن يبلغ أحدهم الشرطة». لاحظت أوديبا أن النافذة تفتح على خط انسحاب آمن.

قالت: «كان بإمكانك الهرب».

رفعت بلام رأسها، وهي تفتح صنبور الماء الساخن في كوبين وتقلّب قهوة سريعة التحضير، متحيرة: «ربما يحتاج إلى أحد».

«ومن يظنه يطارده؟».

«قال إنهم ثلاثة رجال يحملون بنادق نصف آلية. إرهابيون، متعصّبون، هذا كل ما فهمته. ثم بدأ يهشم السويتش الداخلي». رمت أوديبا بنظرة عدائية. «الكثير من النسوان المجانين، هذا هو السبب. أصبحت كينريت مليئة بهنّ. لم يحتمل».

قالت أوديبا: «أنا كنت بعيدة منذ فترة. ربما أستطيع أن أفهم الموضوع. ربما لا يرى فيَّ خطرا».

لسعت بلام فمها بالقهوة. «ابدئي في التحدث معه عن مشكلاتك وعلى الأرجح سيطلق عليك الرصاص».

على بابه، الذي لم تتذكر رؤيته مغلقًا قط، وقفت أوديبا متقصّعة لبرهة، وهي تشك في سلامتها العقلية هي نفسها. لماذا لم تفرّ من نافذة بلام وتقرأ بقية الحكاية في الصحيفة؟

«من هناك؟»، صرخ هيلارياس، وقد انتبه لأنفاسها، أو شيء ما.

«السيدة ماس».

t.me/ktabpdf مكتبة

«فليتعفن شبير[1] ووزارته من المختلّين في الجحيم إلى الأبد. هل تعرفين أن نصف هذه الطقات 'فِشنك'؟».[2]

«هل لي أن أدخل؟ هل يمكن أن نتكلم؟».

قال هيلارياس: «أنا متأكد أنكم كلكم ستحبون ذلك».

«أنا لست مسلحة. تستطيع أن تفتشني».

«نعم، بينما تكسرين عمودي الفقري بحركة كاراتيه، لا شكرا».

«لماذا تعترض على كل اقتراح أقترحه؟».

قال هيلارياس بعد برهة: «اسمعي، هل سبق وأن رأيت عليَّ أعراضا فرويدية قوية؟ هل سبق وأن انحرفتُ انحرافا خطيرا؟».

قالت أوديبا: «كنت تلوي قسمات وجهك بتلك الطريقة من حين إلى آخر، لكن هذا أمر بسيط».

كانت ردة فعله ضحكة طويلة ممرورة. انتظرت أوديبا. ثم بدأ الطبيب النفسي يتكلم من وراء الباب، «لقد حاولت أن أخضع نفسي لذلك الرجل، لشبح هذا اليهودي المشاكس. حاولت أن أنمِّي بداخلي إيمانا بالحقيقة الحرفية لكل ما كتبه، حتى الحماقات والمتناقضات. كان ذلك أقل ما يمكنني فعله، نيشت فار؟ نوع من التكفير.

«ولا بد أن جزءا مني أراد أن يصدق- مثل طفل يسمع، في أمان تام، حكايات مرعبة- أن اللاوعي سيصبح شأنه شأن أية غرفة أخرى، فور أن يدخله النور. وأن الأشكال المظلمة سوف تتحلل إلى مجرد دمى لأحصنة

---

(1) شبير: ألبرت شبير، وزير التسلح والإنتاج الحربي للرايخ الثالث. اعترف بمسؤوليته عن التورط مع النظام النازي في محاكمات نورنبرج، وإن أنكر معرفته بالمحرقة. حكم عليه بالسجن عشرين عاما. ونشر مذكراته بعد إطلاق سراحه.

(2) فشنك: زائفة.

t.me/ktabpdf مكتبة

وأثاث على طراز 'بيدرماير'. وأن العلاج يمكن أن يروّضه في نهاية المطاف، أن يجلبه إلى المجتمع من دون خوف أن يرتد إلى حالته الأولى يوما ما. أردت أن أصدق، رغم كل ما مررت به في حياتي، هل تتخيلين؟».

لم تتخيل، إذ لم يكن لديها أدنى فكرة عما كان هيلارياس قد فعله قبل ظهوره في كينريت. من بعيد صارت الآن تسمع سرينات، من النوع الإلكتروني الذي يستخدمه رجال الشرطة المحلية، الذي يشبه في صوته الصافرة ذات الكبّاس حين تنطلق في إذاعة داخلية. وكانت تزداد علوا بتسارع لجوج.

قال هيلارياس: «نعم، أسمعها. هل تظنين أن بإمكان أي شخص حمايتي من أولئك المتعصبين؟ إنهم يخترقون الحوائط. إنهم يتناسخون: تهربين منهم، تنعطفين حول ناصية، فتجدينهم أمامك، يهجمون عليك ثانية».

قالت أوديبا: «هل تصنع لي معروفا؟ لا تطلق النار على الشرطة، إنهم في جانبنا».

قال هيلارياس: «الإسرائيليون تَبَعكِ قادرون على الحصول على أية ملابس موحدة. لا أستطيع ضمان سلامة 'الشرطة'. وأنت لا تستطيعين ضمان إلى أين سيأخذونني إن استسلمت، أليس كذلك؟».

سمعته يروح ويجيء في المكتب. وراحت أصوات سارينات لا-أرضية تتكالب عليهما من كل أرجاء الليل. قال هيلارياس: «هناك وجه أستطيع عمله. وجه لم ترينه من قبل؛ لم يره أحد في هذا البلد. لم أعمله إلا مرة واحدة في حياتي، وربما لا يزال الشاب الذي رآه حيا إلى الآن في أوروبا الوسطى، في حالة غيبوبة. سيكون الآن في مثل عمرك. مجنون إلى درجة ميؤوس منها. كان اسمه 'تسفي'. هل تخبرين 'الشرطة' أو أيا ما كانوا يسمّون أنفسهم الليلة، أنني أستطيع عمل ذلك الوجه ثانية؟

إنه يطلق شعاعا يصل مداه لمئات الياردات وقادر على دفع أي شخصٍ تَعسٍ بما يكفي لرؤيته إلى الأبد داخل زنزانة دفينة مظلمة، بين الأشكال الرهيبة، وإغلاق الكوّة فوقه على نحو بائن؟ شكرا لك».

كانت السرينات قد وصلت إلى واجهة العيادة. سمعت أبواب سيارات تُصفع، وشرطيين يصرخون، وفجأة صوت تهشم وهم يقتحمون المكان. عندها انفتح باب المكتب. أمسكها هيلارياس من وسطها، وشدها إلى الداخل، ثم أقفل الباب ثانية.

قالت أوديبا: «إذن أنا الآن رهينة».

قال هيلارياس: «أوه، هذا أنتِ».

«ومن كنت تظن أنك...».

«أناقش قضيتي معه؟ آخَر. هناك أنا، وهناك الآخرون. تعرفين، مع عقار الـLSD،[1] نجد الخطوط الفاصلة تبدأ في التلاشي. الأنوات تفقد حوافّها الحادة. لكنني لا أتعاطى العقار أبدا. أنا أختار أن أظل في حالة نسبية من البارانويا، حيث أعرف على الأقل مَن أنا ومَن الآخرون. ربما هذا هو السبب الذي جعلك أنت أيضا ترفضين المشاركة يا سيدة ماس؟». أمسك بالبندقية في وضع «كتفًا سلاح» وابتسم في وجهها. «طيب، إذن. كان يفترض بك توصيل رسالة إليّ، أتصوّر. منهم. ماذا كان يُفترض بك قوله؟».

هزت أوديبا كتفيها، واقترحت عليه: «واجه مسؤولياتك الاجتماعية. اقبل مبدأ الواقع. فهم يفوقونك عددا ويمتلكون قوة نارية أكثر تفوّقا».

«آه، يفوقونني عددا. كانوا يفوقوننا عددا هناك أيضا». نظر إليها نظرة خجول.

---

(1) LSD: معروف بـ«عقار الهلوسة» أو الـ«أسيد» acid. استخدم لأغراض العلاج النفسي في الأربعينيات، ومنع تداوله في الستينيات.

مكتبة t.me/ktabpdf

«أين؟».

«حيث عملت ذلك الوجه. حيث تلقيت تدريبي».

فهمَت عندها بالتقريب ما يتكلم عنه. لكن لمزيد من التأكد كررت: «أين؟».

. أجابها هيلارياس: «بوخنوالد»[1]. بدأ رجال الشرطة يدقّون على باب المكتب. مكتبة

صاحت عليهم أوديا: «معه بندقية، وأنا هنا بالداخل».

«من أنتِ يا سيدتي؟». أخبرته. «كيف تتهجين اسمك الأول؟». أخذ كذلك عنوانها، وسنّها، ورقم هاتفها، وأقارب الدرجة الأولى، ووظيفة الزوج، من أجل وسائل الإعلام. وطوال هذا الوقت كان هيلارياس يفتش في مكتبه بحثا عن المزيد من الذخيرة. «هل تستطيعين إقناعه بالاستسلام؟»، أراد الشرطي أن يعرف. «جماعةِ التلفزيون يريدون تصوير بعض اللقطات من النافذة. هل يمكنك أن تَشغليه؟».

نصحته أوديا: «ابقوا مكانكم. سوف نرى».

أومأ هيلارياس برأسه: «تمثيلية لطيفة تلك التي تمثلونها جميعا».

قالت أوديا: «تظن إذن أنهم يحاولون إعادتك إلى إسرائيل، لتحاكَم، مثلما فعلوا مع أيشمان؟»[2]. ظل الطبيب النفسي يومئ برأسه. «لماذا؟ ماذا فعلت في بوخنوالد؟».

---

(1) بوخنوالد: أحد معسكرات الاعتقال النازية.

(2) أيشمان: أدولف أيشمان، أحد أبرز المسؤولين عن ترحيل اليهود من أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية. بعد الحرب هرب إلى الأرجنتين، لكن الموساد الإسرائيلي نجح في القبض عليه ونقله إلى إسرائيل، حيث حوكم وحكم عليه بالإعدام شنقا عام 1962، وحرقت السلطات الإسرائيلية جثمانه وألقت برماده في البحر خارج المياه الحدودية الإسرائيلية.

t.me/ktabpdf
مكتبة

أخبرها هيلارياس: «كنت أعمل على الجنون المحفَّز تجريبيا. كان اليهودي المصاب بالشلل الكتاتوني مفيدًا مثل اليهودي الميت. دوائر حراس النخبة SS الليبرالية شعرت أن ذلك سيكون أكثر إنسانية». هكذا واجهوا الأشخاص موضع التجربة بأجهزة البندول، والأفاعي، والمقاطع الوصفية البرختية في منتصف الليالي، والاستئصال الجراحي لغدد معينة، وهلوسات الفوانيس السحرية،[1] وعقاقير جديدة، وتهديدات تُتلى من مكبّرات صوت خفية، والتنويم المغناطيسي، والساعات التي تدور إلى الخلف، والوجوه. أختير هيلارياس ليكون مسؤولا عن الوجوه. راح يتذكر: «قوات التحرير التابعة للحلفاء وصلت، لسوء الحظ، قبل أن نستطيع جمع ما يكفي من البيانات. بعيدا عن النجاحات الرائعة، كما في حالة تسيفي، لم يكن هناك الكثير مما يمكننا الإشارة إليه بطريقة إحصائية». ابتسم للتعبير الذي ارتسم على وجهها. «نعم، أنت تكرهينني. لكن ألم أحاول التكفير؟ لو كنت نازيًّا حقيقيا لاخترت يونج[2]، نيشت فار؟ لكنني اخترت فرويد بدلا من ذلك، اخترت اليهودي. رؤية فرويد للعالم لم يكن فيها بوخنوالدات. بوخنوالد، وفقا لفرويد، فور أن يدخله الضوء، سيصبح ملعبًا لكرة القدم، والأطفال البدينون سيتعلمون تنسيق الزهور والـ'صولفيج' في غرف الخنق. في 'أوشفيتز' ستتحول الأفران إلى 'بيتي فور' وكعكات أعراس، وصواريخ الـV-2[3] إلى مساكن شعبية لأقزام الجان. حاولت أن أؤمن بكل هذا. كنت أنام ثلاث ساعات في الليل وأنا أحاول ألّا أحلم، وأقضي الساعات الـ21 الباقية في استجلاب

---

(1) الفانوس السحري: الشكل الأول من جهاز تكبير وعرض الصور «البروجكتور».

(2) يونج: كارل يونج، أحد تلاميذ فرويد ومؤسس علم النفس التحليل. اتهم بالتعاون مع النازي.

(3) صواريخ V-2: أول صواريخ باليستية موجهة بعيدة المدى، اخترعها الألمان في الحرب العالمية الثانية.

الإيمان قسرًا. مع ذلك لم يكن تكفيري كافيا. فقد جاءوا مثل ملائكة الماء للنَّيْل مني، برغم كل ما حاولت فعله».

تساءل الشرطي: «كيف تسير الأمور؟».

قالت أوديبا: «روعة. سأخبرك إذا أصبح الأمر ميؤوسا منه». ثم رأت أن هيلارياس كان قد ترك الـ«جيفر» على مكتبه ووقف على الجانب الآخر من الغرفة متظاهرًا بمحاولة فتح خزانة ملفات. التقطت البندقية، وصوَّبتها إليه قائلة: «يجب أن أقتلك». كانت تعرف أنه أرادها أن تحصل على السلاح.

«أليس هذا ما أرسلوكِ لفعله؟». راح يـحْوِلُ عينيه ثم يبسطهما وهو ينظر إليها؛ وأخرج لسانه بتردّد.

قالت: «لقد جئتُ، على أمل أن تتكلم معي وتحرّرني من أحد خيالاتي».

صاح بها هيلارياس بقوة: «حافظي عليه. ما الذي يملكه أي منكم بخلاف ذلك؟ احكمي قبضتيك على مجسّاته الصغيرة بكل قوة، لا تدعي الفرويديين يخرجونه منك بالخداع، ولا الصيادلة يخرجونه منك بالسمّ. أيا كان ذلك، تمسكي به جيدا، لأنك عندما تفقدينه ستأخذين في التحول إلى الآخرين. ستبدأين في التوقف عن أن تكوني».

صاحت أوديبا: «ادخلوا».

انبثقت الدموع في عيني هيلارياس. «لن تطلقي النار؟».

حاول الشرطي مع الباب. ثم قال: «إنه موصد، هاي».

زعقت أوديبا: «اكسروه، وهتلر هيلارياس هنا سيدفع الفاتورة».

في الخارج، بينما كان عدد من رجال الدورية العصبيين يقتربون من هيلارياس، وفي أيديهم قمصان الأكتاف والهراوات التي لن يحتاجوا إليها، وبينما تزاحمت ثلاث سيارات إسعاف متنافسة في مرجة البناية،

تتسابق على المكان الأفضل، مما جعل هيلجا بلام وسط نشيجها تسبّ السائقين بسباب فاحش، أبصرت أوديبا بين الأضواء الكاشفة والحشود المحدقة وحدة بث متنقلة تابعة لـKCUF، وفي داخلها زوجها موتشو، يتحدث بطلاقة في مايكروفون. سارت متثاقلة مرورا بطقطقات أضوية الكاميرات وألصقت رأسها في الشباك. «هاي».

ضغط موتشو زر الإيقاف الموقّت للحظة، لكنه اكتفى بالابتسام. بدا الأمر غريبا. كيف يمكن أن يسمعوا ابتسامة؟ دخلت أوديبا، محاولة ألّا تحدث ضوضاء. دفع موتشو المايكروفون في وجهها، وهو يتمتم:

«إنه دورك، كوني على طبيعتك». ثم بأكثر أصواته الإذاعية جدية: «كيف تشعرين تجاه هذا الأمر الفظيع؟».

«شعور فظيع»، قالت أوديبا.

قال موتشو: «رائع». جعلها تواصل لكي تعطي المستمعين ملخَّصا لما حدث في المكتب. وفي النهاية اختتم المقابلة قائلًا: «شكرا لك سيدة 'إدنا موش' على شهادتك العيان على هذا الحصار المثير عند عيادة هيلارياس للطب النفسي. كانت معكم وحدة البث المتنقلة الثانية لـKCUF، نعود الآن إلى 'رابيت وارنر' في الاستوديو». أطفأ الجهاز. شيء ما لم يكن على ما يرام.

قالت أوديبا: «إدنا موش؟».

قال موتشو: «سوف تُسمع بالشكل الصحيح. كنت أحسب حساب التشويه في هذه المعدات، عندما يضعونها على الشريط».

«إلى أين سيأخذونه؟».

قال موتشو: «إلى المستشفى العام، أعتقد، لوضعه تحت الملاحظة. أتساءل ما الذي يمكنهم ملاحظته».

قالت أوديبا: «إسرائيليون يتقدمون من النوافذ. لو لم يحدث ذلك فإنه مجنون». توجه إليهم رجال الشرطة وتكلموا لبرهة. قالوا لها أن تظل في محيط كينريت تحسبا لأن يكون هناك أي داعٍ قانوني. في نهاية المطاف عادت إلى سيارتها المستأجَرة ومضت خلفَ موتشو حتى الاستوديو. الليلة كانت لديه ورديّة من الواحدة حتى السادسة على الهواء.

في الردهة خارج غرفة كتابة البرقيات الصاخبة بأصوات السقاطات، وبينما كان موتشو في الطابق العلوي في المكتب يطبع قصته على الآلة الكاتبة، التقت أوديبا بمخرج البرنامج، «سيزار فونش». حيّاها قائلًا: «سعيد بعودتك»، وكان واضحًا أنه نسي اسمها الأول.

قالت أوديبا: «أوه؟ ولماذا؟».

أسر لها فونش: «بصراحة، منذ غادرتِ، لم يعد ميندل هو نفسه».

قالت أوديبا، وهي تحاول أن تستثير غضبها لأن بونش كان محقا «ومن أصبح إذن، 'رينجو ستار[1]'؟». انكمش بونش. تابعته باتجاه البهو وهي تواصل: «'تشابي تشيكر'؟ 'رايتشس براذرز'؟ [2] ولماذا، خبِّرني؟».

قال فونش، وهو يحاول حماية رأسه: «كل ما سبق يا سيدة ماس».

«أوه، ناديني إدنا. ماذا تقصد؟».

كان فونش يئنّ: «من خلف ظهره ينادونه 'الأخوة N'. إنه يفقد هويته. إدنا، كيف أقولها لك؟ يوما بعد يوم، لا يعود وينِدِل هو نفسه، يصبح أكثر شمولية. إنه يدخل اجتماعات الموظفين فتمتلئ الغرفة فجأة بالأشخاص، تعرفين؟ إنه جمهرة من الأشخاص تمشي على قدمين».

---

(1) رينجو ستار: كاتب أغاني وعازف ومغني وممثل. اكتسب شهرة واسعة عندما أصبح عازف «درامز» مع فريق الـ«بيتلز».

(2) تشابي تشيكر: مغني، من أبرز من روَّجوا لرقصة «تويست». «رايتشس براذرز» Rightous Brothers: هما الثنائي الموسيقي «بوبي هاتفيلد» و«بيل ميدلي».

t.me/ktabpdf

مكتبة

قالت أوديبا: «إنه خيالك. لقد ظللت تشرب تلك السجائر التي لا تحمل اسما ثانية».

«سوف ترين. لا تسخري مني. يجب أن نبقى معا. من غيرنا سيهتم لأمره؟».

جلست وحدها على مقعد طويل خارج استوديو A، تُنصت إلى التسجيلات التي يشغلها زميل موتشو «رابيت وارنر». نزل موتشو الدَّرج وهو يحمل نسخته، مشمول بسكينة لم ترها من قبل. كان من عادته أن يحدِّب كتفيه ولديه معدل سريع للطرف بعينيه، وقد اختفى الاثنان الآن. «انتظري»، ابتسم لها، وراح يتضاءل مبتعدا في الردهة. تفحَّصَته من الخلف، محاولة أن ترى أطيافا قزحية، أو هالات.

كان أمامهما بعض الوقت قبل أن يخرج على الهواء. استقلا السيارة وتوجها إلى وسط البلد، إلى مطعم بيتزا وبار، وتواجها عبر العدسة الذهبية المثلَّمة لإبريق البيرة.

قال: «كيف تسير الأمور مع ميتسجر».

قالت: «لا شيء يُذكر».

قال موتشو: «ليس بعد، على الأقل. استطعت أن أعرف ذلك عندما كنت تتكلمين في المايكروفون».

قالت أوديبا: «هذا أمر رائع». لم تستطع أن تتبين التعبير على وجهه.

قال موتشو: «إنه أمر غير معهود. كل شيء أصبح- انتظري. أنصتي». لم تسمع شيئا غير مألوف. قال موتشو: «هناك سبعة عشر كمانا في هذه المقطوعة، وأحدها- لا أستطيع أن أحدد أين لأن الصوت هنا غير مجسم، اللعنة». خطر لها أنه يتكلم عن موسيقى «موتساك» الناعمة، فقد كانت تنفذ إلى الداخل، بطريقتها المعهودة غير المحددة منذ دخولهما، موسيقى مليئة بالوتريات، وآلات النفخ، والنحاسيات المكتومة.

قالت، وهي تشعر بالقلق: «ما الأمر».

قال موتشو: «وتر الـE تَبَعه دُوزانه أكثر حدة ببضع لفَّات. لا يمكن أن يكون موسيقي استوديو. هل تظنين أن شخصا ما يستطيع أن يعيد خلق الديناصور من عَظْمة بهذا الوتر الوحيد، يا أود؟ فقط من تلك المجموعة من النغمات في هذه المقطوعة. أن يحدد شكل أذنه، ثم الهيكل العضلي ليديه وذراعيه، وأخيرا الرجل بالكامل. يا إلهي، ألن يكون ذلك رائعًا».

«ولماذا ترغب في ذلك؟».

«لقد كان حقيقيا. لم يكن ذلك اصطناعيا. بإمكانهم التخلي عن الموسيقيين الـ«لايف» إن أرادوا. وأن يجمعوا معا كل نغمات الجواب المضبوطة في مستويات الطاقة المضبوطة فتخرج مثل كمان. مثل...» تردّد قبل أن ينفرج وجهه في ابتسامة مشعَّة، «تظنين أنني مجنون، يا أود. لكنني أستطيع فعل الأمر نفسه بالمعكوس. أنصت إلى أي شيء وأفككه ثانية. تحليل طيفي، في رأسي. أستطيع أن أفكك الأكوردات، والطبقات الموسيقية، والكلمات أيضا إلى كل الترددات والهارمونيات الأساسية، بكل ارتفاعاتها الصوتية المختلفة، ثم أُنصت لها، لكل نغمة صافية، ولكن لكلها في الوقت نفسه».

«وكيف يمكنك ذلك؟».

قال موتشو، منفعلًا: «كأنني أمتلك قناة منفصلة لكل نغمة. وإذا احتجت أكثر ليس عليَّ إلّا أن أتوسع. أن أضيف ما أحتاجه. لا أعرف كيف يعمل الأمر، لكن مؤخَّرا أصبح بإمكاني أن أفعل ذلك مع كلام الناس أيضا. قولي ’غني، تشوكولاتي، سماء‘».

قالت أوديبا: «غني، تشوكولاتي، سماء».

«نعم»، قال موتشو ثم غرق في الصمت.

سألت أوديبا بعد دقيقتين، وفي صوتها بعض الحدة: «نعم ماذا؟»

t.me/ktabpdf

مكتبة

«لاحظت الأمر قبل بضع ليال وأنا أسمع 'رابيت' وهو يسجل إعلانًا. لا يهم من الذي يتكلم، فأطياف الطاقة المختلفة تظل نفسها، أقل أو أكثر بنسبة قليلة. إذن فأنت ورابيت لديكما شيء مشترك الآن. وأكثر من ذلك. كل شخص يقول الكلمات نفسها هو الشخص نفسه إذا كانت الأطياف هي الأطياف نفسها والفرق الوحيد أنها تحدث في لحظات مختلفة من الزمن، فاهمة؟ لكن الزمن عشوائي. حددي نقطة الصفر الخاصة بك في أي مكان تريدين، بهذه الطريقة تستطيعين تحريك الخط الزمني الخاص بكل شخص جانبا، حتى تتزامن جميعا. ثم سيكون لديكِ هذا القدر، يا إلهي، ربما كورال من مئات الملايين يقول 'غني. تشوكولاتي، سماء' في الوقت نفسه معًا، وسيكون ذلك بالصوت نفسه».

«موتشو»، قالتها في صبر نافد، وإن كان يداعبها أيضا شك وحشي. «هل هذا ما يقصده فونش عندما يقول إنك أصبحت مثل غرفة كاملة مليئة بالناس؟».

قال موتشو: «هكذا أنا. صحيح. الجميع كذلك». حدَّق فيها، متخيلا، ربما، رؤيته حول الإجماع كما يتخيل الآخرون الأورجازم. وجهه الآن ناعم، ودود، في سلام، لم تعرفه. وبدأ الذعر يصعد خارجا من منطقة مظلمة في رأسها. تابع قائلًا: «كلما وضعتُ السماعات على رأسي الآن، أفهم بحق ما أسمعه. عندما يغني هؤلاء الأولاد أغنية 'إنها تحبك[1]' نعم، طيب، تعرفين، فهي تحبني، إنها أي عدد من الناس، في كل أرجاء العالم، وفي عودة عبر الزمن، ألوان مختلفة، مقاسات مختلفة، أعمار مختلفة، أشكال مختلفة، مسافات من الموت مختلفة، لكنها تحب. والـ'أنت' هو كل شخص. وهي. أوديبا، الصوت الإنساني، تعرفين، إنه معجزة فظيعة». عيناه طافحتان، تعكسان لون البيرة.

«حبيبي»، قالتها، عاجزة، من دون أن تعرف ماذا يمكن أن تفعل لأجله، وخائفة عليه.

---

(1) إنها تحبك She Loves You: إحدى أغنيات الـ«بيتلز».

وضع قنينة بلاستيكية صافية صغيرة على المائدة بينهما. حدَّقت في الحبوب بداخلها، ثم فهمت. قالت «إنه LSD؟». رد موتشو عليها بابتسامة. «من أين أتيتَ به؟»، وكانت تعرف.

«هيلارياس. لقد وسّع برنامجه ليشمل الأزواج».

قالت أوديبا، وهي تحاول أن تبدو كمن يتكلم في «بيزنس»: «اسمع إذن، منذ متى، منذ متى وأنت تتناول هذه؟».

بأمانة، لم يستطع أن يتذكر.

«لكن هناك احتمال ألّا تكون قد أدمنت بعد».

نظر إليها مرتبكا. «أود، أنت لا تدمنين. لا تكونين مثل 'البرشامجي'. أنت تأخذينه لأنه جيد. لأنك تسمعين وترين أشياء، بل وتشمينها، وتتذوّقينها كما لا يمكنك أن تفعلي من دونها. لأن الكلمة فيّاضة للغاية. لا نهاية لها، يا حبيبتي. أنتِ هوائي، يبث النسق الخاص بك إلى مليون حياة في كل ليلة، وهي حيواتك أنت أيضا». كان لديه هذا الصبر، والنظرة الأمومية الآن. أرادت أوديبا أن تلكمه على فمه. «الأغنيات، لا تقول شيئا وحسب، إنها هي شيء، حين يكون الصوت نقيا. شيء جديد. وأحلامي قد تغيرت».

«أوه، عظيم». قلبت شعرها مرتين، ثائرة. «لا كوابيس بعد الآن؟ طيب. إذن فقد فَعَلتها معك صديقتك الصغيرة الأخيرة، أيا من كانت. في هذا السن، تعرف، يحتاجون إلى كل ما يستطيعون الحصول عليه من نوم».

«لا توجد فتاة يا أود. اتركيني أحكي لك. الأحلام السيئة التي اعتدتُ على رؤيتها طوال الوقت، عن ساحة السيارات، تتذكرين ذلك؟ لم يكن بوسعي حتى أن أقصَّها عليك. لكنني أستطيع الآن. لم تعد تزعجني. كانت فقط تلك اللافتة في الساحة، هذا ما كان يخيفني. في الحلم كنت أقضي يوم عمل عاديا وفجأة، من دون تحذير، تظهر تلك اللافتة. كنا أعضاء في 'الجمعية الوطنية لتجار السيارات' N.A.D.A. فقط هذه

اللافتة المعدنية ذات الصرير التي تقول 'نادا، نادا' على خلفية من السماء الزرقاء. كنت أستيقظ وأنا أصرخ».

تذكَّرَت. لن يُروَّع بعد الآن، ليس ومعه تلك الحبوب. لم تستطع أن تُدخل في رأسها فكرة أن اليوم الذي غادرت فيه موتشو متجهة إلى سان نارسيسكو كان اليوم الذي رأته فيه لآخر مرة. كان قدر كبير منه قد تبعثر بالفعل.

كان يقول «أوه، اسمعي. أود، ركِّزي... » لكنها لم تستطع حتى التعرف على النغمة.

عندما حان وقت عودته إلى المحطة، أومأ برأسه تجاه الحبوب: «يمكنك أن تأخذيها».

هزت رأسها رافضةً.

«ستعودين إلى سان نارسيسكو؟».

«الليلة، نعم».

«لكن رجال الشرطة».

«سأصبح هاربة». لاحقا لم تستطع أن تتذكر إن كانوا قد تبادلوا أية كلمات أخرى. في المحطة تبادلوا قبلات الوداع، جميعهم. وعندما مضى موتشو في طريقه كان يصفر بشيء معقد، نغمات اثنا عشرية. جلست أوديبا وجبهتها مستندة على عجلة القيادة وتذكرت أنها لم تسأله عن ختم تريستيرو على خطابه. لكن ساعتها كان الأوان قد فات، ولم يعد هناك فرق.

6

عندما عادت إلى «ساحات الصدى»، وجدت مايلز، ودين، وسيرج، وليونارد ملتفّين حول وفوق لوح الغطس في طرف حمام السباحة مع معداتهم، هادئين وساكنين للغاية حتى أن مصورًا فوتوغرافيًّا ما، مختفيًا عن أوديبا، ربما كان يلتقط لهم صورا لألبوم غنائي.

قالت أوديبا: «ما الذي يحدث؟».

أجابها مايلز: «الشاب تَبَعك، ميتسجر، غدر بسيرج، 'كونتر-تينور' الفرقة. الولد جُنَّ من الهمّ».

قال سيرج: «إنه مصيب يا سيدتي. بل إنني كتبت أغنية في هذا الشأن، توزيعها الموسيقي لا يشمل أحدا غيري، وتقول كلماتها:

أغنية سيرج

أيّ فرصة أمام راكب أمواج صبي وحيد

لتحبه راكبة أمواج صبية،

وسط ذكور القطط أشباه همبرت همبرت[1]

الذين يتوافدون بأجسادهم المقززة العفيَّة؟

---

(1) همبرت همبرت: بطل رواية «لوليتا» لفلاديمير نابكوف، وهو أستاذ جامعي في منتصف العمر يقع في حب فتاة في الثانية عشرة.

t.me/ktabpdf مكتبة

بالنسبة لي، كانت صغيرتي امرأة،
بالنسبة له كانت مجرد حورية صغيرة أخرى؛
لماذا اختارا خيانتي، لماذا اختارت إهانتي،
وجعلتني مستاء لهذه الدرجة؟
طيب، طالما أنها صارت بعيدة بعيدة،
عليَّ أن أجد امرأة جديدة
والجيل الأكبر سنًّا
علمني ما يجب أن أفعله-
أمس كنت على موعد مع فتاة في الثامنة،
وهي مثلي، لها علاقات متعددة،
يمكنكم إذن أن ترونا أي ليلة هناك في ملعب الكرة،
خلف المدرسة العامة رقم 33 (أوه بيه)،
وسنكون على أروع ما يكون.

قالت أوديبا: «هل تحاول أن تخبرني بشيء؟».

وهكذا، فقد حكوا لها الأمر نثرا. ميتسجر هرب مع الكتكوتة تَبَع سيرج إلى نيفادا، ليتزوَّجا. وسيرج، بعد استجواب، اعترف بأن الجزء الخاص بالفتاة ذات الثمانية أعوام لا يزال حتى الآن خياليا، لكنه يواظب على التسكع حول الملاعب ويجب أن يأتي لهم بخبر جديد بين يوم وآخر. فوق جهاز التلفزيون في غرفتها كان ميتسجر قد ترك لها رسالة يخبرها فيها ألا تقلق بشأن التركة، أنه قد أحال قوامته إلى شخص في «راب، ويستفول، كوبيتشيك ومكمنجس»، وأنهم سيكونون على اتصال معهم، وأن الأمور سُوِّيَت مع محكمة التركات أيضا. لا كلمة واحدة تذكر

أن أوديبا وميتسجر كانا أكثر من مجرد شريكين في تنفيذ وصية.

وهذا يعني، فكرت أوديبا، أننا لم نكن أكثر من ذلك. كان الأجدر بها أن تشعر بمهانة أكثر كلاسيكية، لكن كانت لديها أمور أخرى في ذهنها. أول شيء فعلته بعد إخراج الأمتعة كان أن هاتفت راندولف دريبليت، المخرج. بعد نحو عشرة أجراس أجابت سيدة عجوز. «أنا آسفة، ليس لدينا ما نقوله».

قالت أوديبا: «من الذي يتكلم؟».

تنهيدة. «أنا أمه. سيكون هناك بيان ظهر الغد. محامينا سوف يقرأه». أغلقت الخط. الآن ماذا بحق الجحيم، تساءلت أوديبا: ما الذي حدث لدريبليت؟ قررت أن تهاتفه في وقت لاحق. عثرت على رقم الدكتور إيموري بورتز في الدليل وكان حظها أفضل. أجابتها زوجة اسمها جريس، محاطة بمجموعة من الأطفال. أخبرت أوديبا «إنه يصب أسمنت الـ'تراس'.[1] وهي نكتة شاعت هنا، أطلقت منذ أبريل تقريبا. إنه يجلس في الشمس، يشرب البيرة مع الطلبة، ويحدف النوارس بالزجاجات الفارغة. الأفضل أن تتكلمي معه قبل أن تصل الأمور إلى هذا الحد. 'ماكسين'، لماذا لا تذهبين وتلقين هذا على أخوك، إنه أسرع في الحركة مني. هل تعرفين أن إيموري قد أخرَج طبعة جديد من وارفنجر؟ سوف تُطرح في—» لكن تاريخ الإصدار راح في طي النسيان على وقع صوت تهشّم هائل، وضحكٍ طفوليّ مخبول، وصرخات حادة عالية. «أوه يا ربي. هل سبق وأن رأيت أمًّا تقتل أطفالها؟ تعالي، ربما تكون هذه هي فرصتك الوحيدة».

أخذت أوديبا حمّاما، ارتدت سويتر، وجونلة، وانتعلت حذاء رياضيا،

---

(1) يصب أسمنت التراس: ربما تعني أنه يصب الشراب لطلابه.

t.me/ktabpdf

مكتبة

ولفَّت شعرها في عقصة كما تفعل الطالبات، ووضعت زينة خفيفة، منتبهة برعب غامض أن النداء لم يأتها من بورتز، ولا من جريس، وإنما من الـ«تريسترو».

في طريقها مرَّت على محل زاف للكتب المستعملة، وفزعت عندما وجدت كومة من الأنقاض المتفحمة حيث كان المحل قائما قبل أسبوع واحد. كانت رائحة الجلد المحترق لا تزال منتشرة في الجو. توقفت وذهبت إلى المحل المجاور، وكان منفذا لبيع فائض المنتجات الحكومية. أبلغها المالك أن زاف، الأحمق اللعين، أشعل النار في متجره من أجل الحصول على التأمين. زمجر هذا الشريف: «أي ريح خفيفة، كانت ستأخذني معه. لقد بنوا هذا المجمَّع ليظل قائما لخمس سنوات فقط على أية حال. لكن هل كان زاف لينتظر؟ كُتب؟». يراودك إحساس أن تنشئته الطيبة فقط هي التي منعته من أن يبصق بعدها. نصح أوديبا قائلًا: «هل تريدين بيع شيء مستعمل. اكتشفي ما الذي يطلبه الناس. هذا الموسم الناس يطلبون البنادق. جاءني رجل بعد الظهر، واشترى مائتين منها لفرقته الاستعراضية. كان بإمكاني أن أبيعه مائتين من أشرطة الذراع ذات الصليب المعقوف أيضا، فقط لم تكن لديَّ الكمية الكافية، اللعنة».

قالت أوديبا: «فائض حكومي من الصلبان المعقوفة؟».

«اللعنة، لا». غمز لها في تواطؤ، ثم أخبرها: «هذه جئت بها من مصنع خارج سان دييجو. هاتِ عشرة زنوج، مثلا، وسوف يمكنهم بالتأكيد صنع هذه الشارات. سوف تندهشين كم يبيع هذا العدد الصغير. نشرتُ إعلانا في بضع أعداد من مجلات الصور العارية، وكان عليَّ أن أستأجر زنجيين آخرين الأسبوع الماضي فقط لمتابعة ما يصلني من رسائل بريدية».

قالت أوديبا: «ما اسمك؟»

«’وينثروب تريمان‘»، أجاب المتعهد المتحمس «أو وينر، اختصارا.

اسمعي، الآن نحن بصدد اتفاق مع أحد أكبر مصانع الملابس الجاهزة في لوس أنجليس لنرى كيف سيكون الإقبال على أزياء الـSS في الخريف. نحن نعمل فيها مع حملة 'العودة إلى المدارس'، مجموعة من 37 شورت طويل، تعرفين، قياسات الصبية المراهقين. الموسم التالي ربما نسير في الطريق إلى آخره ونصنع نسخة معدلة للسيدات. ما رأيك في هذا؟».

قالت أوديبا: «سأجعلك تعرف. سأفكر في الأمر». غادرت، متسائلة إن كان عليها أن تشتمه، أو تضربه بواحدة من البضائع الثقيلة غليظة الحواف التي كانت في متناولها. لم يكن هناك شهود. فلماذا لم تفعلها؟

أنتِ جبانة، قالت لنفسها، وهي تربط حزام مقعدها. هذه أمريكا، وأنت تعيشين فيها، اتركي الأمور تحدث. نفِّسي عن نفسك. قادت بوحشية على الطريق السريع، محاولةً مطاردة سيارات الفولكسفاجن. وعندما دخلت في التفريعة التي تقود إلى بورتز، مستوطنة على الضفاف على طراز بحيرات فانجوسو، كانت ترتعد وتشعر ببعض الغثيان في المعدة.

كانت في استقبالها فتاة بدينة صغيرة وجهها ملطخ بمادة زرقاء. قالت أوديبا: «أهلا، لا بد وأنك ماكسين».

«ماكسين في الفراش. لقد ألقت واحدة من زجاجات بيرة بابا على تشارلز فخرجت من النافذة وماما صفعتها بقوة على مؤخرتها. لو كانت ابنتي لأغرقتها».

«لم أفكر في هذه الطريقة من قبل»، قالتها جريس بورتز، وهي تتجسد في تقدمها من غرفة المعيشة المعتمة. «هيا ادخلي». بقماشة مبللة بدأت تنظف وجه طفلتها. «كيف استطعتِ الهروب من أطفالك اليوم؟».

قالت أوديبا، وهي تتبعها إلى المطبخ: «ليس عندي أطفال».

بدت الدهشة على وجه جريس. قالت: «هناك نوع معين من الإرهاق

تتعرفين عليه مع الوقت. كنت أظن أن الأطفال وحدهم هم الذين يسببونه. أعتقد لا».

كان إيموري بورتز يرقد منثنيا في سرير معلق، محاطا بثلاثة من طلبة الدراسات العليا، ذكران، وأنثى، جميعهم متخمون بالشراب، وكومة مذهلة من زجاجات البيرة الفارغة. أبصرت أوديبا واحدة ممتلئة وجلست على العشب. وفورا، قفزت في البحر: «أريد أن أعرف شيئا عن وارفنجر التاريخي. لا المؤلِّف».

دمدم واحد من طلبة الدراسات العليا من وراء لحية طويلة، وهو يفتح زجاجة أخرى: «شكسبير التاريخي. ماركس التاريخي. يسوع التاريخي».

هز بورتز كتفيه: «إنه محق. كلهم ماتوا. ماذا تبقى؟».

«الكلمات».

قال بورتز: «اختاري بعض الكلمات. عن هذه يمكننا أن نتكلم».

اقتطفت أوديبا: «'إن السماء المقدسة بنجومها لن تقف حرسًا/ لذلك الذي عقد مع «تريسترو» حلفًا' مأساة مرسال، الفصل الرابع، المشهد الثامن».

طرف بورتز عينيه باتجاهها. قال: «وكيف تمكنت من الدخول إلى مكتبة الفاتيكان».

عرضت عليه أوديبا الكتاب ذا الغلاف الورقي الذي يحتوي على ذلك السطر. تحسسه بورتز بيده، وهو يضيِّق عينيه باتجاه الصفحة، بحثا عن بيرة أخرى. ثم أعلن: «يا ربي. لقد تعرضتُ للسطو، أنا ووارفنجر، تعرضنا لتنقيح[1] أو ما شابه». قلَّب الصفحات وصولا إلى المقدمة، ليرى

---

(1) تنقيح: في الأصل Bowdlerized، نسبة إلى «توماس بودلر» Thomas Bowdler، الذي أصدر طبعة «مهذبة» من أعمال شكسبير في أوائل القرن التاسع عشر، وقد دخلت المفردة إلى اللغة الانجليزية.

مكتبة t.me/ktabpdf

من الذي أعاد تحرير نسخته الخاصة بوارفنجر. «لقد خجل من التوقيع على النسخة. اللعنة. سيكون عليَّ أن أكتب للناشرين. 'كيه دا تشينجادو وشركاه'.[1] هل سبق وسمعتِ بهم؟ في نيويورك». نظر باتجاه الشمس عبر صفحة أو اثنتين. «طباعة أوفسيت». قرَّب أنفه أكثر من النص. «طباعة 'مضروبة'. فاسدة». أسقط الكتاب على العشب ونظر إليه باحتقار. «كيف تمكنوا هم من الدخول إلى الفاتيكان إذن؟».

سألَت أوديبا: «ماذا يوجد في الفاتيكان».

«نسخة بورنوجرافية من مأساة مرسال. لم تتح لي رؤيتها حتى عام 61، وإلّا كنت أشرت لها في طبعتي القديمة».

«لكن ما رأيته في مسرح 'تانك' لم يكن بورنوجرافيا».

«المسرحية التي أخرجها راندي دريبليت؟ لا، أظنها كانت عفيفة إجمالا». نظر بحزن إلى ما ورائها باتجاه شريط من السماء. «كان رجلا أخلاقيا على وجه خاص. لا يكاد يشعر بأية مسؤولية تجاه الكلمة، حقا؛ وإنما تجاه المجال غير المرئي المحيط بالمسرحية، روحها، كان دائما قوي الإيمان. لو كان هناك من يستطيع استدعاء وارفنجر التاريخي الذي تبحثين عنه، لكان راندي هو ذلك الشخص. لم أعرف شخصا آخر كان قريبا إلى ذلك الحد من المؤلف، في العالم المصغر للمسرحية، كما ولا بد أحاط بالعقل الحي لوارفنجر».

«لكنك تستخدم الزمن الماضي»، قالتها أوديبا، وقلبها يدق، متذكرة السيدة العجوز على الهاتف.

«ألم تسمعي؟»، نظروا جميعا إليها. انساب الموت برفق، بلا ظل، بين فوارغ الزجاجات على العشب.

---

(1) تشينجادو Chingado: بالأسبانية تعني fucker.

أخيرا، أخبرتها الفتاة، وكانت عيناها حمراوان طوال الوقت: «نزل راندي الباسيفيك قبل ليلتين. في بدلة جينارو. لقد مات، والموت صحوة».

«حاولت الاتصال به صباح اليوم»، كان كل ما فكرت أوديبا في قوله.

قال بورتز: «حدث ذلك بعد تفكيك ديكور مأساة مرسال مباشرة».

قبل شهر واحد، كان سؤال أوديبا التالي سيكون «الماذا؟» لكنها الآن حافظت على الصمت، مترقبة، وكأنما لينوِّرها أحد.

إنهم ينسلخون عني، قالتها بلا صوت- شاعرة بأنها ستارة مرتعشة في نافذة شاهقة العلو، تتطاير إلى الأعلى ثم تجنح فوق الهاوية- إنهم ينسلخون بعيدا، واحدا بعد آخر، رجالي. طبيبي النفسي، الذي كان يتعقبه إسرائيليون، جُنَّ جنونه؛ وزوجي، يتعاطى LSD، يتحسس طريقه مثل طفل أبعد وأبعد في غرف بعد غرف في صف لا ينتهي من ذاته التي تشبه بيتا من الحلوى،[1] مبتعدا بلا أمل مما قد مضى. كنت آمل في الأبدية، في الحب؛ صاحبي الوحيد خارج إطار الزوجية هرب مع فتاة منحلّة في الخامسة عشر؛ أفضل مرشد عندي للتريسترو انتحر. أين أنا؟

«أنا آسف»، كان بورتز قد تابع، وهو يراقبها.

ظلت أوديبا على حالها. قالت وهي تشير إلى الطبعة ذات الغلاف الورقي: «هل استخدم هذه فقط، لكتابة النص؟».

متجهّمًا، قال: «لا. لقد استخدم الطبعة ذات الغلاف المقوّى، طبعتي».

«لكن ليلة شاهدتَ أنت المسرحية». كان ضوء الشمس الساطع ينعكس على الزجاجات، والصمت يحيط بهم جميعا. «كيف أنهى الفصل الرابع؟ ماذا كانت سطوره، سطور دريبليت، سطور جينارو، عندما حاولوا التجمع عند البحيرة، بعد المعجزة؟».

---

(1) بيتا من الحلوى: candy house، وتعني أيضا بالعامية: مكان بيع المخدرات.

t.me/ktabpdf مكتبة

تلا بورتز: «'ذلك الذي عِلِمنا أخيرا أنه «ثورن وتاكسيس»/ لا سيِّدَ له الآن إلا ذؤابة الخنجرْ/ والبوق الذهبي الذي كان معقودا يوما، مُضمَرْ'».

وقال طلاب الدراسات العليا: «نعم، بالضبط».

«هذا كل شيء؟ ماذا عن الباقي؟ المقطع الآخر؟».

قال بورتز: «في النص الذي أتفق معه شخصيا، هذا المقطع الآخر طُمس فيه السطر الأخير. الكتاب في الفاتيكان ليس إلا محاكاة فاحشة، السطر الأخير الذي يقول 'لذلك الذي عقد مع «تريسترو» حلفًا'-أضافه طابع نسخة الربع فرخ لسنة 1687. نسخة 'وايت تشابل' فاسدة. وهكذا اختار راندي الحل الأفضل- أن يترك الجزء المشكوك فيه تماما».

قالت أوديبا: «لكن ليلة كنتُ هناك، استخدم دريبليت بالفعل سطور الفاتيكان. لقد نطق بكلمة تريسترو».

ظل وجه بورتز محايدا. «الأمر يخصّه. لقد كان المخرج والممثل، صحيح؟».

«لكن هل يمكن أن تكون تلك مجرد»، صنعت دوائر بيديها، «مجرد نزوة؟ أن يستخدم سطرين آخرين بهذه الطريقة، من دون أن يخبر أي شخص؟».

تذكَّر طالب الدراسات العليا الثالث، وهو فتى مدكوك يضع نظارة بإطارات صدفية: «راندي، عندما كان يضايقه شيء من الداخل، كان يُخرجه عادة، بصورة أو بأخرى، إلى الخارج، على الخشبة. جائز أنه ألقى نظرة على الكثير من النسخ، ليطوِّر شعوره تجاه روح المسرحية، ليس بحثا عن الكلمات بالضرورة، وهكذا التقى بنسختك ذات الغلاف الورقيّ هناك، وبها هذه التنويعة».

استنتجت أوديبا: «إذن، لا بد وأن شيئا قد حدث في حياته الشخصية،

لا بد وأن شيئا قد تغير بصورة عنيفة تلك الليلة، وهذا ما جعله يدرج السطرين».

قال بورتز: «ربما، وربما لا. هل تظنين أن عقل الرجل طاولة بلياردو؟».

«أتمنى ألّا يكون كذلك».

«تعالي معي وشاهدي بعض الصور الفاحشة»، دعاها بورتز، وهو ينزل عن السرير المعلّق. تركا الطلبة يشربون البيرة. «صور مايكروفيلم محرَّمة للرسوم التوضيحية في طبعة الفاتيكان تلك. هُرِّبت سنة 61. أنا وجريس كنا هناك في منحة».

دخلا غرفة تجمع بين الورشة والمكتب. في طرف آخر من المنزل كان الأطفال يصرخون، وعلا أنين مكنسة كهربية. فتح بورتز الستائر، وفتش في علبة من شرائح الصور، واختار بعضها، وشغل جهاز العرض وصوَّبه إلى أحد الحوائط.

كانت الرسوم التوضيحية مطبوعة من أصل محفور على الخشب، منفَّذة بهذا التسرع الخشن في سبيل رؤية المنتج النهائي، ذلك الذي يميِّز الهواة. البورنوجرافيا الحقيقية لا تخرج إلا من محترفين يتمتعون بصبر هائل.

قال بورتز: «الفنان مجهول، وكذا الشُّويعر الذي أعاد كتابة المسرحية. هنا باسكال، تتذكرينه، أحد الأشرار؟ يتزوج بالفعل من أمه، وهناك مشهد كامل عن ليلة زفافهما». غيَّر الشريحة «تحصلين على فكرة عامة. لاحظي كم مرة تحوِّم هيئة الموت في الخلفية. الغضب الأخلاقي، إنه تسلُّف، إنها العصور الوسطى. لم يصل أي بيوريتاني لهذه الدرجة من العنف.

t.me/ktabpdf مكتبة

باستثناء ربما 'السكيرفيين[1]'، داميكو يعتقد أن هذه الطبعة كانت مشروعا 'سكيرفيًا'».

«سكيرفيُّون؟».

كان 'روبرت سكيرفام' قد أسس، في عهد تشارلز الأول، طائفة من البيوريتانيين الأكثر نقاء. هاجسهم المركزي يتعلق بالجبرية. كان هناك نوعان. لا شيء بالنسبة للسكيرفيين يحدث بالصدفة، كان «الخلق» آلة معقَّدة شاسعة. لكن جزءا منها، الجزء السكيرفي، يتحرك بقوة المشيئة الإلهية، وهي المحرك الأول. بينما يتحرك الآخرون بـ«مبدأ» مناقض، شيء أعمى، بلا روح؛ آلية غاشمة تقود إلى الموت الزؤوام. الفكرة كانت ترغيب المتحولين في الأخوية السكيرفية الربانية والبنَّاءة. لكن على نحو ما، وجد هذا العدد القليل من السكيرفيين الذين نالوا الخلاص أنفسهم يراقبون بَهْرَج الآلية الزنبركية في دواخل المشؤومين بنوع من الرعب المريض والمذهل، وكان ذلك أمرا قاتلًا. لقد تمكن منظر الهلاك الفتَّان من إغوائهم واحدا بعد آخر، حتى لم يتبقَ في الطائفة أحد، ولا حتى روبرت سكيرفام، الذي، مِثل ربان سفينة، كان آخر من قفز.

سألت أوديبا: «وما علاقة ريتشارد وارفنجر بهم؟ لماذا ينتجون نسخة فاحشة من مسرحيته».

«كعبرة أخلاقية. لم يكونوا مغرَمين بالمسرح. كانت تلك طريقتهم في إزاحة المسرحية بعيدا عنهم، في دفعها إلى الجحيم. أية وسيلة للعنها إلى الأبد أفضل من تغيير كلماتها؟ تذكري أن البيوريتانيين كانوا شديدي الإخلاص للكلمة، شأنهم شأن النقّاد الأدبيين».

---

(1) السكيرفيون Scurvhamite: طائفة متخيلة من البيوريتانيين، اخترعها المؤلف، ولا وجود لها في الحقيقة.

t.me/ktabpdf مكتبة

«لكن السطر الخاص بتريسترو ليس فاحشا».

هرش رأسه. «ولكنه منسجم، أليس كذلك؟ 'السماء المقدسة بنجومها' هي مشيئة الرب. لكن حتى تلك لا تستطيع أن تحرس، أو تحمي، شخصا لديه موعد مع تريسترو. أقصد، لنقل إنك تتحدثين فقط عن معارضة شهوات أنجيلو،(1) اللعنة، سيكون أمامك عدد لا يحصى من الطرق للإفلات من هذه الشهوات. مغادرة البلاد مثلا. أنجيلو مجرد رجل. لكن 'الآخر' الغشوم، الذي يُبقي العالم اللا-سكيرفيّ دائرا بحركته الزنبركيَّة، فهذا شيء آخر. الواضح أنهم شعروا أن تريسترو سيكون مثالا جيدا يرمز لـ'الآخر'».

لم يكن أمامها إلا تأجيل الموضوع. عندما خرجت ثانية إلى النور، وانتابها ذلك الإحساس المدوِّخ بأنها ترفرف فوق هاوية، سألت عما جاءت لتسأل عنه. «ما هو تريسترو».

قال بورتز: «واحد من المناطق الجديدة العديدة التي فُتحت بعد أن أنجزت طبعتي في 57. من وقتها صادفنا بعض المصادر القديمة المثيرة. يقولون لي إن نسختي المحدَّثة ستصدر في وقت ما العام القادم. حتى ذلك الوقت». ذهب لينظر في خزانة زجاجية مليئة بالكتب القديمة. «هاك»، وهو يخرج كتابا بغلاف بني داكن ومتقشّر من الجلد الطبيعي. «أحتفظ بالتركة الوارفنجرية الخاصة بي مقفول عليها هنا حتى لا يصل إليها أطفالي. تشارلز بوسعه أن يسأل أسئلة لا نهاية لها ما زلتُ أصغر من أن أتجاوب معها». كان عنوان الكتاب «وقائع الارتحالات الفريدة للدكتور دقلديانوس بلوب بين الطليان، مرصَّع بحكايا من التاريخ الحقيقي لذلك العرق الهمجي الغرائبي».

---

(1) معارضة شهوات أنجيلو: الإشارة هنا إلى السطر البديل: «ذلك الذي وقف ذات مرة لشهوات أنجيلو ضدا».

قال بورتز: «من حسن حظي. وارفنجر، مثل ميلتون، كان يداوم على دفتر للمعارف العمومية، يخربش فيه مقتطفات وأشياء من قراءاته. بهذه الطريقة عرفنا بأمر ارتحالات بلوب».

كان مليئا بالكلمات التي تنتهي بحروف e's وs's تبدو مثل f's، وأسماء بحروف كبيرة، وحروف y's حيث لا ينبغي أن تكون. قالت أوديبا: «لا أستطيع قراءة هذا».

قال بورتز: «حاولي. لا بد أن أذهب لأودّع أولئك الأولاد. أظن أنها في الفصل السابع تقريبا». واختفى، ليترك أوديبا أمام المعبد. تبيّن أن ما تبحث عنه موجود في الفصل الثامن، تقرير عن مقابلة المؤلف مع عصابة «تريسترو». كان دقلديانوس بلوب قد اختار تجاوز مُنبَسطٍ من الريف الجبلي الموحش في عربة بريد تخص منظومة «تورّي وتاسيس»، والتي أدركت أوديبا أنه ولا بد الاسم الإيطالي لثورن وتاكسيس. من دون تحذير، وعلى سواحل بحيرة أشار لها بلوب باسم «بحيرة التّقوى»، كرَّت عليهم أعداد من الخيالة ذوي العباءات السود، واشتبكوا معهم في معركة شرسة وصامتة وسط الريح الثلجية التي تهبّ من البحيرة. قطّاع الطرق استخدموا النبابيت وبنادق الـ«أرقيبوس»، والسيوف، والخناجر، وفي النهاية مناديل حريرية، للإجهاز على من لا يزال يتنفَّس. جميعهم عدا الدكتور بلوب وخادمه، اللذان كانا قد عزلا نفسيهما عن المعمعة منذ البداية، زاعمين بصيحات عالية أنهما من رعايا بريطانيا، بل وجازفوا، من وقت إلى آخر، «بإنشاد بعض من أفضل تراتيل كنيستنا». اندهشت أوديبا لنجاتهما، في ضوء ما بدا وأنه حرص تريسترو على تأمين نفسها.

«هل كانت تريسترو تحاول افتتاح محل في انجلترا؟»، هكذا رجَّح بورتز، بعد أيام.

---

(1) الكالفينية: أحد المذاهب البروتستانتية، نسبة إلى جون كالفن.

مكتبة t.me/ktabpdf

لم تكن أوديبا تعرف. «لكن لماذا يبقون على مغفَّل لا يُحتمل مثل دقلديانوس بلوب؟».

قال بورتز: «تستطيعين اكتشاف ثرثار كهذا من على بعد ميل. حتى في البرد، حتى مع احتدام شهوتك للدم. إذا أردتُ للخبر أن يصل إلى إنجلترا، من أجل تمهيد الطريق، لفكَّرتِ في أنه نموذجي. تريسترو كانت تنعم بالثورة المضادة في تلك الأيام. انظري إلى انجلترا، الملك على وشك أن يفقد رأسه. مكيدة من نوع ما».

بعد أن جمع قائد قطّاع الطرق أجولة البريد، أنزل بلوب من العربة وخاطبه بإنجليزية سليمة: «سيدي، لقد شهدت سخط تريسترو. فاعرف أننا لسنا بلا رحمة. قل لمليكك والبرلمان ما فعلناه. قل لهم إن السيادة لنا. لا إعصارا يجدي ولا مغالبة تنفع. لا الضواري، ولا وحشة الصحارى، ولا حتى المغتصبين غير الشرعيين لتركتنا المستحقة، يمكن أن تردع مراسيلنا». ثم تركوهما وتركوا لهما محافظهما، واستداروا وعباءاتهم تطقطق مثل أشرعة سود، واختفوا في غبشة جبالهم.

سأل بلوب في الأرجاء عن منظومة تريسترو، فلم يجد إلا أفواه مُصمتة أينما ولَّى وجهه تقريبا. لكنه استطاع أن يجمع فُتات قليلة. وهكذا كان حال أوديبا، في الأيام التي تلت. من دوريات طوابع مبهمة زوَّدها بها جنكيز كوهن، ومن هامش غامض في كتاب «موتلي»: «صعود الجمهورية الهولندية»، وهو منشور عمره 80 عاما حول جذور الأناركية الحديثة، وكتاب مواعظ وضعه أخ لبلوب اسمه «أوجستين» وكان أيضا من بين «التركة الوارفنجرية» الخاصة ببورتز، إلى جانب المفاتيح الأصلية الواردة في كتاب بلوب، استطاعت أوديبا أن تخرج بالتقرير التالي حول نشأة المنظمة:

في عام 1577، كانت المقاطعات الشمالية في الأراضي المنخفضة،

مكتبة t.me/ktabpdf

بقيادة النبيل البروتستانتي «وليام الأورانجي»، في صراع منذ تسعة أعوام من أجل الاستقلال عن أسبانيا الكاثوليكية وعن امبراطور روماني كاثوليكي مقدس. في أواخر ديسمبر، دخل الأورانجي، السيد الفعلي للأراضي المنخفضة، بروكسل منتصرا، وقد دعته لجنة الثمانية عشر. كانت هذه اللجنة مجلسًا عسكريا من الـ«كالفينيين»[1] المتعصبين الذين شعروا أن مجلس طبقات الأمة، الذي تتحكم فيه الطبقات الميسورة، ولم يعد يمثل العمال المهرة، قد فقد اتصاله الكامل مع الشعب. أقامت اللجنة كُميونة من نوع ما في بروكسل. سيطروا على الشرطة، وأمْلوا كل قرارات مجلس الطبقات، وأطاحوا بالعديد من ذوي المناصب العليا في بروكسل. من بين هؤلاء «ليونارد الأول»، بارون تاكسيس، ومسؤول الغرفة الامبراطورية الخاصة وبارون «بويسنجن»، ووريث السيد الأعلى للبريد في الأراضي المنخفضة، والقيِّم على منظومة «ثورن وتاكسيس» الاحتكارية. وقد حل محلّه المدعو «جان هنكارت»، لورد «أوهين»، التابع المخلص للأورانجي. عند هذه النقطة يدخل الشخص المؤسس المشهد: «هيرناندو خواكين التريستروني الكالافيري»، رجل مجنون ربما، ثوري مخلص ربما، ووفقا للبعض داهية محتال. زعم التريستروني أنه ابن عم جان هنكارت، من الفرع الإسباني والشرعي للعائلة، واللورد الحقيقي لأوهين- والوريث الشرعي لكل ما كان يملكه جان هنكارت، بما في ذلك منصبه الأخير كسيد أعلى للبريد.

منذ عام 1578 وحتى استعاد «ألكساندر فارنيسي» بروكسل ثانية لحساب الامبراطور في مارس 1585، واصل التريستروني معارك احتدمت حتى وصلت إلى حرب عصابات ضد ابن عمه- إن كان

---

(1) برجامو: مدينة إيطالية.

(2) نابا فالي: في ولاية كاليفورنيا الأمريكية.

مكتبة t.me/ktabpdf

هنكارت ابن عمه. ولكونه أسبانيًّا، لم يحظ إلا بقليل من الدعم. بل كانت حياته مهددة أغلب الأحيان من جهة أو أخرى. مع ذلك، فقد حاول أربع مرات اغتيال سيد بريد أوريجون، وإن من دون نجاح.

جُرِّد جان هنكارت من أملاكه على يد فارنيسي، وأعيد ليونارد الأول، السيد الأكبر لـ«ثورن وتاكسيس»، إلى منصبه. لكنه كان زمن عدم استقرار كبير لمنظومة «ثورن وتاكسيس» الاحتكارية. كان الامبراطور «رودلف الثاني»، الذي توجَّس من الميول البروتستانتية القوية في الفرع البوهيمي من العائلة، قد سحب رعايته لبعض الوقت. وأصبحت المنظومة البريدية على وشك الإفلاس.

ربما كانت رؤيا ذلك الهيكل القوي الممتد بعرض القارة، والذي كاد يستولي عليه هنكارت، وقد أُضعف الآن وصار متداعيا، هي التي ألهمت التريستروني أن يقيم منظومته الخاصة. ويبدو أنه كان شديد التقلُّب، مستعدا في أي وقت للظهور في محفل عام والبدء في إلقاء خطبة. ثيمته الدائمة، الحرمان من الميراث. كانت المنظومة البريدية الاحتكارية تخص لورد أوهين بحق الغزو، وأوهين كانت تخص التريستروني بحق الدم. لقب نفسه بـ«إل ديسيريدادو»، المحروم من الميراث، واستحدث بزَّة سوداء لأتباعه، حيث يرمز السواد للشيء الوحيد الي كان يخصهم حقا في منفاهم: الليل. ثم سرعان ما أضاف إلى منظومة أيقونتيه البوق البريدي المكتوم وظربان ميت أرجله الأربع في الهواء (البعض قال إن اسم تاكسيس جاء من الإيطالية تاسو، بمعنى ظربان، مما يشير إلى القبعات المصنوعة من فراء الظربان التي كان يرتديها مراسيل مدينة برجامو[1] الأوائل). وبدأ حملة تحت أرضية من العرقلة والترويع والسلب بطول الدروب البريدية لثورن وتاكسيس.

قضت أوديبا أياما عديدة بعد ذلك تدخل وتخرج من مكتبات

ونقاشات جادة مع إيموري بورتز وجنكيز كوهن. خافت قليلا على أمنهما في ضوء ما كان يحدث لكل من تعرفه. اليوم التالي لقراءة «ارتحالات» بلوب، حضرَت، برفقة بورتز وجريس وطلاب الدراسات العليا، مراسم دفن راندولف دريبليت، وأنصتوا إلى تأبين مؤثر واهن من أخ أصغر، ورأوا الأم، مثل طيف في ضباب الأصيل الدخاني، تبكي، ثم عادوا ليلًا ليجلسوا على القبر ويشربوا نبيذ عنب الـ«موسكات» المصنوع في «نابا فالي»[2]، الذي كان دريبليت قد خزَّن براميل منه. لم يكن ثمة قمر، وكان الضباب الدخاني يحجب النجوم، والجو مظلم كخيَّال من خيَّالة تريسترو. جلست أوديبا على الأرض، والبرودة تسري في مؤخرتها، تتساءل إن لم تكن، كما سبق ورجَّح دريبليت تلك الليلة من داخل الدوش، نسخة من نفسها قد اختفت معه. ربما عقلها سيظل يقبض عضلات روحانية لم يعد لها وجود؛ ويتعرض للخيانة والاستهزاء من نفسٍ شبحيةٍ مِثل مجدوع يخدعه طَرفٌ شبحيٌ. يوما ما ربما تستبدل ما تفقده، أيا كان، بجهاز تعويضي، فستان بلون معيَّن، أو عبارة في خطاب، أو حبيب جديد. حاولت أن تمد يديها لتتلمس أي جزء متين مشفَّرًا من البروتين ربما، على نحو بعيد الاحتمال، يكون لا زال متماسكا تحت ستة أقدام، لا يزال يقاوم التحلل- أي هجوع عنيد ربما يجمع نفسه لدفقة أخيرة، تَدَافُعٍ أخير بالمناكب في اتجاه سطح الأرض، مجرد بصيص، يجمع بآخر ما تبقى له من قوة كيانا مجنَّحا عابرًا، بحاجة للاستقرار على الفور في العائل الدافئ، أو التبدد السرمدي في الظلام. إذا جئتَ لي، توسلت أوديبا، أحضر معك ذكرياتك عن الليلة الأخيرة. أو إذا كنت تريد تخفيف حمولتك، الدقائق الخمس الأخيرة- ستكون كافية. فهكذا سأعرف إن كان نزولك البحر له أي علاقة بتريسترو. إذا تخلصوا منك للسبب الذي جعلهم يتخلصون من هيلارياس وموتشو وميتسجر- ربما

t.me/ktabpdf مكتبة

كان ذلك لأنهم ظنوا أنني لم أعد بحاجة إليك. لقد كانوا مخطئين، فقد كنت بحاجة إليك. فقط اجلب لي هذه الذكرى، وتستطيع بعدها أن تعيش معي لما تبقى من عمري. تذكَّرَت رأسه، وهو محلّق في الحمّام، يقول، تستطيعين أن تقعي في حبي. لكن أكان بإمكانها إنقاذه؟ رفعت رأسها إلى الفتاة التي نقلت لها خبر موته. أكانا عاشقين؟ أكانت تعرف لماذا أضاف دريبليت هذين السطرين الإضافيين تلك الليلة؟ بل هل كان هو يعرف لماذا؟ لا أحد يستطيع أن يشرع في تتبع الأمر. مائة هاجس، متضافرة، مجتمعة- جنس، مال، مرض، يأس من تاريخ هذا الزمان والمكان، من كان يعرف؟ تغيير النص لم يكن له دافع أكثر وضوحا من انتحاره. النزوة واضحة في كليهما. ربما- شعرت للحظة بشيء يخترقها، وكأن الشيء المجنح الساطع قد استطاع بالفعل الوصول إلى قدس أقداس قلبها- ربما أن إضافة هذين السطرين، اللذين انبثقا من المتاهة الزلقة نفسها، بطريقة لا يمكن شرحها، كانت بمثابة بروفة لليلة وداعه في المغطس الشاسع لدم الباسيفيك الأولي. انتظرت أن تعلن الإشراقة المجنحة وصولها سالمة. لكن لم يكن هناك سوى الصمت. نادت: دريبليت. وجاءتها الإشارة يتردد صداها عبر أميال ملتوية من تلافيف المخ. دريبليت! لكنها الآن كما كانت مع عفريت ماكسويل. إما أنها عاجزة عن التواصل، أو أنه غير موجود.

لم تخبرها المكتبات بأي شيء عن تريسترو باستثناء أصولها. إذ على حد علم تلك المكتبات، لم تنجُ قط من الصراع على استقلال هولندا. لمعرفة البقية، كان عليها أن تبحث من ناحية «ثورن وتاكسيس». وهذا كانت له مخاطره. بالنسبة لإيموري بورتز بدت تتحول إلى لعبة قنص لطيفة. لقد تمسك، مثلا، بنظرية المرآة، والتي تقضي بأن أي فترة قلاقل مرت بها «ثورن وتاكسيس» يجب أن يكون لها انعكاس في دولة الظل

t.me/ktabpdf مكتبة

الخاصة بتريسترو. وقد طبَّق هذا على لغز عدم ظهور الاسم المروِّع مكتوبا إلا في منتصف القرن السابع عشر أو نحو ذلك. كيف استطاع مؤلف التورية الكامنة في عبارة «هذا التريسترو يوم القيامة this Trystro dies irae» تجاوز تردده؟ كيف وجد نصف المقطع الفاتيكاني، مع حذف سطر «تريسترو»، طريقه إلى داخل طبعة الـ«فوليو»؟ من أين جاءت الجَسارة لمجرد الإشارة إلى الخصم «ثورن وتاكسيس»؟ أكد بورتز أن تريسترو لا بد عانت من أزمة خطيرة منعتها من الانتقام. ربما الأزمة نفسها التي منعتهم من البطش بالدكتور بلوب.

لكن أكان على بورتز أن يطرح جِلد الكلمات المجرّدة الوارفة، ليعرِّي تلك الوردات غير الطبيعية، التي يتلوى تحتها، بين غبشتها العطرة الحمراء، التاريخ الأسود خلسة؟ عندما توفي «ليونارد الثاني فرانسيس»، كُونْت ثورن وتاكسيس، عام 1628، خلفته زوجته «ألكساندرين الراينية» في حمل لقب سيدة البريد، وإن كانت ولايتها لم تعتبر قط رسمية. وقد تقاعدت في 1645. ثم ظل مركز القوة الحقيقي في المنظومة الاحتكارية متذبذبا حتى عام 1650، عندما تقلد المنصب الوريث الذكر التالي، «لامورال الثاني كلود فرانسيس». في تلك الأثناء، في بروكسل وأنتويرب كانت طلائع الانهيار في المنظومة قد ظهرت. وكانت مكاتب البريد المحلية الخاصة قد اغتصبت الرخص الإمبراطورية، حتى أن المدينتين أغلقتا مكاتب ثورن وتاكسيس فيهما.

سأل بورتز، كيف كانت تريسترو لترد على ذلك؟ مفترضا عندئذ أن فصيلا ميليشياويا ما قد أعلن أن اللحظة الحاسمة حانت أخيرا. داعيا إلى السيطرة على الأوضاع بالقوة، بينما عدوّهم لا يزال مستضعَفا. لكن الرأي المحافظ كان ليفضّل البقاء في المعارضة، تماما كما ظلت تريسترو على مدار تلك الأعوام السبعين. كذلك ربما كان هناك، لِنقُل،

t.me/ktabpdf مكتبة

بعض الحالمين: رجال يتجاوزون آنية عصرهم ممن يفكرون على نحو تاريخي. واحد منهم على الأقل سيكون عصريا بما يكفي للتنبؤ بنهاية «حرب الثلاثين عاما»، و«صلح ويستفاليا»، وتفكك الامبراطورية، والتردّي الوشيك إلى الخصوصية المحلية.

صاح بورتز: «رجل أشبه بكيرك دوجلاس، يحمل سيفا، ويمتلك اسما فخما مثل 'كونراد'. إنهم يلتقون في الغرفة الخلفية لإحدى الحانات، وهاته النسوان في بلوزات الفلاحات يطفن عليهم بالأقداح، الجميع متحمس ويصيح، وفجأة يقفز كونراد فوق إحدى الطاولات. يصمت الحشد. يقول كونراد 'خلاص أوروبا يتوقف على الاتصال، صحيح؟ إننا نواجه فوضى من أمراء ألمان حاقدين، مئات منهم يدبّرون المكائد والمكائد المضادة. صراعات داخلية، تتبدد كل طاقة الامبراطورية في مماحكاتهم العقيمة. لكن من يستطيع السيطرة على خطوط الاتصال بين كل هؤلاء الأمراء، سوف يسيطر عليهم. هذه الشبكة يمكن يوما ما أن توحّد القارة. لذا فأنا أقترح أن نندمج مع أعدائنا القدامى ثورن وتاكسيس'- صيحات: لا، أبدا، القوا بالخائن إلى الخارج، إلى أن تأتي تلك الساقية، النُّجَيْمة الصغيرة، المغرمة بكونراد، وتضرب أعلى غرمائه صوتًا بقدح من البيرة على رأسه فيفقد الوعي. يقول كونراد: 'معا، يمكن لمنظومتَيْنا أن يكوِّنا كيانا لا يقهر. بإمكاننا أن نرفض الخدمة وفقا لأية قواعد إلّا قاعدة الامبراطورية. لن يستطيع أحد أن يحرك قوات، أو ينقل محاصيل، أو يفعل أي شيء، من دوننا. أي أمير يحاول أن يؤسس منظومة بريدية جديدة سوف نسحقها. نحن، الذين حُرمنا من الميراث لذلك الزمن الطويل، يمكننا أن نكون ورثة أوروبا!'. هتاف مطوَّل».

لفتت أوديبا انتباهه: «لكنهم لم يمنعوا الامبراطورية من التفكك».

قال بورتز متراجعًا: «إذن، فقد تحارَبَ المقاتلون والمحافظون حتى

t.me/ktabpdf مكتبة

تجمَّد الوضع، وحاول كونراد ومجموعته الصغيرة من الحالمين، كونَهُم أناسًا طيبين، التوسّط بين المتعاركين، وعندما عاد الهدوء إليهم جميعا، كانوا كلهم قد استُنفذوا، وكانت الامبراطورية قد تفكّكت، وثورن وتاكسيس لا تريد اتفاقات».

وبنهاية الامبراطورية الرومانية المقدَّسة، ضاعت إلى الأبد الأسس التي قامت عليه ثورن وتاكسيس، بين ما ضاع من ضلالات جليلة أخرى. وأصبحت دواعي البارانويا وفيرة. إذا كانت تريسترو قد استطاعت الحفاظ ولو على قدر من السرية، إذا لم يكن لثورن وتاكسيس فكرة واضحة عن ماهية غريمها، أو مدى تأثيره، إذن فلا بد أن الكثيرين منهم أصبحوا يؤمنون بشيء يشبه كثيرا «الإله-الضد» الآلي، الأعمى، الخاص بالـ«سكيرفيَّة». أيا كان هذا الإله-الضد، فهو قادر على قتل خيَّالتهم، وإرسال انهيارات صخرية تقطع طرقهم. وبمد الخط على استقامته، يستطيع أن يعيد المنافسة المحلية إلى الوجود، بل وربما تتبعها احتكارات بريدية للدولة؛ ما يفكك امبراطوريتهم. إنه شبح العصر بالنسبة لهم، وقد خرج ليضع مؤخرة ثورن وتاكسيس في قوس المقلاع.

لكن على مدار القرن والنصف التالية تراجعت البارانويا، إذ اكتشفوا تريسترو الدنيوية. وهكذا نقلوا القوة، والعلم الكلي، والحقد العنيد، تلك الخصائص التي كانوا قد أسبغوها في الماضي على مبدأ تاريخي ما، على «زايتجايست»[1] ما، إلى عدوّ بشري. إلى حد أنه، بحلول عام 1795، قيل إن تريسترو هي التي دبّرت الثورة الفرنسية بأكملها، فقط كذريعة لإصدار إعلان «التاسع من فريمير»، في السنة الثالثة من الجمهورية، والذي أنهى الاحتكار البريدي لثورن وتاكسيس في فرنسا والأراضي المنخفضة.

---

(1) زايتجايست Zeitgeist: مصطلح ألماني دخل الانجليزية بمعنى "روح العصر"

t.me/ktabpdf مكتبة

قالت أوديبا: «من الذي قال ذلك؟ هل قرأت ذلك في مكان ما؟».

قال بورتز: «لا بد وأن شخصًا أثار الأمر. وربما لا».

لم تجادل أكثر، إذ بدأت تشعر بالتردد حيال مواصلة أي شيء. لم تكن قد سألت جنكيز كوهن، على سبيل المثال، عما إذا كانت «لجنة الخبراء» الخاصة به قد ردّت عليه بشأن الطوابع التي أرسلها لهم. كانت تعرف أنها إذا عادت إلى «دار فيسبرهافن» لكي تتكلم ثانية مع السيد «ثوث» العجوز بشأن جده، ستكتشف أنه مات هو الآخر. كانت تعرف أن عليها أن تكتب إلى «كيه دا تشينجادو»، ناشر تلك الطبعة غير المبرَّرة ذات الغلاف الورقي من كتاب «مأساة مرسال»، لكنها لم تفعل، وأيضا لم تسأل بورتز إن كان قد فعل. والأسوأ على الإطلاق، أنها وجدت نفسها غالبا ما تمضي في طرق عبثية الطول لتتجنب الكلام عن «راندولف دريبليت». كلما ظهرت الفتاة، تلك التي كانت في الجنازة، كانت أوديبا تجد الأعذار لتغادر الجمع. كانت تشعر أنها تخون دريبليت ونفسها. لكنها لم تتمادى في شعورها، إذ خافت أن تصل الحقيقة المتجلية أمامها إلى نقطة لا تتمدد بعدها. أو أن تتضخم تلك الحقيقة، ربما، فتستولي عليها. عندما سألها بورتز ذات مساء إن كان يستطيع دعوة «داميكو»، الذي كان في جامعة نيويورك، رفضت أوديبا، بسرعة بالغة، وعصبية بالغة. لم يذكر لها الأمر ثانية، ولا، بالطبع، ذكرته هي.

مع ذلك، فقد عادت إلى «سكوب» ذات ليلة، متململة، وحيدة، مرتابة مما قد تكتشفه. وجدت مايك فالوبيان، بلحية أطلقها منذ بضعة أسابيع، يرتدي قميصا زيتونيا مغلق الأزرار حتى العنق، وبنطالا مموها مجعدا بلا ثنيات ولا حلقات حزام، وجاكيت مموَّها بزرَّين، ومن دون قبَّعة. كان محاطًا بالنسوة، يشربون كوكتيلات الشمبانيا، ويجأرون بأغان هادئة. عندما أبصر أوديبا منحها الابتسامة الواسعة وأشار لها أن تتقدم.

t.me/ktabpdf مكتبة

قالت: «تبدو رائعا. وكأنك دائم الترحال. تدرّب الثوار في الجبال». نظرات عدائية من البنات الملتفات حول الأجزاء المتاحة من فالوبيان.

«إنه سر ثوري»، ضحك ورمى ذراعيه إلى أعلى نافضا اثنتين من أتباع المعسكر. «اذهبن، الآن، كلكن. أريد أن أتكلم مع هذه». عندما ابتعدن عن مرمى السمع حدجها بنظرة متعاطفة، منزعجة، ربما شهوانية قليلا: «كيف يجري بحثك؟».

قدمت له تقرير حالة سريع. ظل صامتًا وهي تتكلم، تعبيره يتغير ببطء إلى شيء لم تستطع التعرف عليه. ضايقها ذلك. ولتستفزه قليلا، قالت: «أنا مندهشة أن جماعتكم لا تستخدم المنظومة هي الأخرى».

عاد إلى حاله، وقال لها بوداعة: «هل نحن جماعة سرية. هل نحن منبوذون؟».

«لم أقصد-».

قال فالوبيان: «ربما لم نجدهم بعد. ربما لم يتصلوا بنا. ربما أننا نستخدم W.A.S.T.E، ولكنه سرّ». ثم، بينما بدأت الموسيقى الإلكترونية ترشح داخل الغرفة، «لكن هناك زاوية أخرى أيضا». استشعرت ماذا سيقول وبدأت، تلقائيا، تصرُّ على أضراسها الخلفية. عادة عصبية كانت قد اكتسبتها في الأيام القليلة الأخيرة. «هل خطر ببالِك من قبل، يا أوديبا، أن شخصا يتلاعب بك؟ أن كل هذا خدعة ليس إلّا، ربما شيء أعدّه لك إنفيراريتي قبل موته؟».

كان قد خطر ببالها. لكن، كما تفكر أنك ستموت يوما ما، كانت أوديبا ترفض بعناد أن تفكر في هذا الاحتمال، لا بشكل مباشر، ولا في أي ضوء بخلاف أكثر الأضواء صدفَوية. قالت «لا. هذا سخف».

نظر إليها فالوبيان بإشفاق. ثم قال لها بهدوء: «كان عليكِ. حقا، كان

عليكِ أن تفكري في الأمر. اكتبي ما لا يمكنك إنكاره. معلوماتك الثابتة. لكن بعدها اكتبي ما كان من وحي توقعاتك فقط، افتراضاتك. وانظري ماذا لديك. افعلي ذلك على الأقل».

قالت، باردة: «أكمل، أفعل ذلك على الأقل. ثم ماذا بعد ذلك؟».

ابتسم، ربما يحاول الآن أن ينقذ ما كان يتحطم بلا صوت، ذلك اللوح غير المرئي بينهما، الذي يتكاثر عليه بأناة سرطان الزجاج. «أرجوك، لا تغضبي».

واصلت أوديبا، بعذوبة: «أتحقق من مصادري، أظن. صحيح؟».

لم يقل المزيد.

نهضت، متسائلة إن كان شعرها في مكانه، إن كان يبدو عليها أنها مهجورة أو هستيرية، إن كان الناس يتفرجون عليهما. قالت: «كنت أعرف أنك ستكون مختلفا يا مايك، فالجميع يتغيرون تجاهي. لكن الأمر لم يصل إلى كراهيتي».

«كراهيتك». هز رأسه وضحك.

«إذا احتجت لأشرطة أذرع أو المزيد من الأسلحة، أنصحك بالذهاب إلى 'وينثروب تريمان'، هناك على الطريق السريع. محل تريمان للصلبان المعقوفة قل له اسمي».

«نحن على تواصل بالفعل، شكرا». غادرته، في طاقم ملابسه الكوبي المعدَّل، ينظر إلى الأرضية، في انتظار عودة نسوانه.

طيب، ماذا عن مصادرها؟ كانت تتجنّب السؤال، نعم. ذات يوم هاتفها جنكيز كوهن، وبدا منفعلا، وطلب منها أن تأتي لترى شيئا وصله للتو بالبريد، البريد الأمريكي. تبين أنه طابع أمريكي قديم، عليه صورة لآلة البوق البريدي المكتوم، والظربان المقلوب، والشعار: WE AWAIT

SILENT TRISTERO'S EMPIRE [نترقب صامتين امبراطورية تريسترو].

قالت أوديبا: «إذن هذه هي العبارة التي تشير إليها الأحرف الأولى (WASTE). من أين جئت به؟».

قال كوهن، وهو يتصفح نسخة بالية من «كتالوج سكوت لطوابع العالم»: «من صديق في سان فرانسيسكو». كالعادة لم تواصل ولم تسأله عن أي اسم أو عنوان. «غريب. قال لي إنه لم يجد الطابع مثْبَتا. لكنه هنا. في ملحق. انظري». في ظهر غلاف الكتاب كانت ورقة ملصقة. الطابع، المرقم 16311أأ، كان قد طبع مجددا تحت عنوان «بوستة تريسترو السريعة، سان فرانسيسكو، كاليفورنيا» وكان من المفترض أن يدرج بين المثبتات المحلية 139 (مكتب بريد الجادة الثالثة، نيويورك)، و140 (بريد الاتحاد، أيضا في نيويورك). سارعت أوديبا، وقد انتابها نوع من العلوِّ الحدسي، بالانتقال إلى الصفحة الأخيرة، فوجدت ملصق «زاف للكتب المستعملة».

احتجّ كوهن: «بالطبع. لقد ذهبت بالسيارة إلى هناك ذات يوم لأرى السيد ميتسجر، بينما كنتِ أنتِ في الشمال. هذا هو كتاب 'سكوت المتخصص' للطوابع الأمريكية، وهو كتالوج لا أرجع إليه عموما. إذ إن مجال اختصاصي هو الطوابع الأوروبية والكولونيالية. لكن فضولي قد استثير، لذلك-».

«طبعا»، قالت أوديبا. أي شخص بإمكانه إلصاق ملحق. قادت سيارتها عائدة إلى سان نارسيسكو لتلقي نظرة أخرى على قائمة أصول إنفيراريتي. وكما هو متوقَّع، تبين لها أن مجمَّع التسوق، الذي يستضيف «زاف للكتب المستعملة» ومحل «تريمان لفائض السلع الحكومية»، مملوك بأكمله لبيرس. ليس ذلك وحسب، وإنما مسرح تانك أيضا.

طيب، قالت أوديبا لنفسها، وهي تذرع الغرفة، وأمعاؤها خاوية، في انتظار شيء رهيب بحق. طيب. الأمر لا يمكن تجنّبه. أليس كذلك؟ كل الطرق التي تقود إلى تريسترو إن تتبعناها إلى الوراء يمكن أيضا أن تقود إلى تركة إنفيراريتي. حتى إيموري بورتز، بنسخته من «ارتحالات» بلوب (المشتراة، لم يكن لديها شك أنه سيخبرها إن سألته، أيضا من «زاف»)، يدرِّس في كلية سان نارسيسكو، التي وقف عليها الراحل الكثير من أمواله.

ما معنى ذلك؟ أن بورتز، هو وميتسجر، وكوهن، ودريبليت، وكويتكس، والبحّار الموشوم في سان فرانسيسكو، وسعاة W.A.S.T.E الذين رأتهم- أنهم كلهم رجال بيرس إنفيراريتي؟ استأجرهم؟ أم أنهم مخلصين، مجّانا، للمرح، لملعوبٍ متكلِّفٍ نصَبَه، فقط من أجل إحراجها، أو إرهابها، أو تطويرها أخلاقيا؟

غيّري اسمك إلى مايلز، دين، سيرج، و/أو ليونارد، يا حبيبتي، نصحَت صورتها المنعكسة في الصالة؛ الضوء المنعكس على مرآة الزينة هذه في الأصيل. أيا كان الأمر، سيسمّونه بارانويا. هُم. إما أنك تعثرتِ حقا، من دون مساعدة من LSD أو غيره من القلويدات الإندولية،[1] في كنز سري وسط حلم كثيف خفيّ؛ في شبكة يتواصل من خلالها عدد معين من الأمريكيين بينما يحتفظون بكذباتهم، بترديدهم للخيانات الروتينية القاحلة للفقر الروحاني، من أجل منظومة التوصيل الحكومية الرسمية؛ بل وربما تعثَّرتِ حتى في بديل حقيقي للا-مفرِّيـــــــَّة، لغياب المفاجآت في الحياة، التي تجرف رأس كل أمريكي تعرفينه، ورأسك أنتِ أيضا، يا حلوتي. أو أنك تهلوسين. أو أن مكيدة قد نُصبت لك، غالية ومسترسلة،

---

(1) القلويدات الإندولية indole alkaloids: القلويدات من المركبات العضوية التي تضم نطاقا واسعا من المواد المخدرة أو المنشقطة، أشهرها الكافيين والكوكايين والمورفين والكودايين، والإندول: مركب عضوي ثنائي الحلقات.

مكتبة t.me/ktabpdf

تتضمن أمورا مثل تزوير طوابع وكتب قديمة، مراقبة دائمة لتحركاتك، تثبيت صوَرٍ لبوق بريدي في كل أرجاء سان فرانسيسكو، ورشوة مكتبات، واستئجار ممثلين محترفين، وغير ذلك مما لا يعرفه إلا بيرس إنفيراريتي وحده، مُوِّلَت جميعا من التركة بطريقة إما سرية جدا أو متشابكة جدا بشكل يعجز عقلك اللا-قانوني عن معرفته، حتى وأنت قيِّمة مشاركة، بشكل متاهيٍّ لا بد أن له معنى يتجاوز الملعوب. أو أنك تتخيلين مكيدة كهذه، وفي تلك الحالة فقد جننتِ، يا أوديبا، فقدتِ عقلك.

كانت تلك هي البدائل كما تراها، الآن وهي تنظر إليها. هذه النظائر الأربعة لم يعجبها أيّ منها، لكنها كانت تأمل أن تكون مريضة عقليا؛ أن يكون هذا هو الأمر وكفى. تلك الليلة جلست لساعات، تشعر بخدر حتى أنها لا تستطيع تناول الشراب، تعلِّم نفسها أن تتنفس في فراغ. إذ كان ذلك، يا ربي، خواءً حقا. لم يكن ثمة شخص يستطيع مساعدتها. لا أحد في العالم كله. كانوا جميعا مُتعاطين شيئا، مجانين، أعداء محتملين، موتى.

بدأت الحشوات القديمة في أسنانها تزعجها. قضت ليالٍ تحدّق في سقف يضيئه الوهج الوردي لسماء سان نارسيسكو. في ليالٍ أخرى كان بوسعها النوم لثماني عشرة ساعة مخدَّرة ثم تستيقظ، رخوة، لا تكاد تستطيع الوقوف. في مداولاتها مع المستشار الجديد للتركة، ذلك الرجل العجوز الحريص سريع الكلام، كان مدى انتباهها يقاس غالبا بالثواني، وكانت تضحك بعصبية أكثر مما تتكلم. كانت موجات من الغثيان، تستمر خمس إلى عشر دقائق، تضربها في أوقات عشوائية، وتسبب لها بؤسًا عميقا، ثم تختفي وكأنها لم توجد قط. كانت هناك نوبات صداع، وكوابيس، وآلام طمث. ذات يوم قادت سياراتها إلى لوس أنجليس، واختارت طبيبة بشكل عشوائي من دليل الهاتف، وذهبت إليها، وأخبرتها أنها تظن أنها حبلى. اتفقا على موعد للاختبارات. أعطتها أوديبا اسمها كـ«جريس بورتز» ولم تذهب إلى موعدها التالي.

جنكيز كوهن، الذي كان من قبل شديد الخجل، بدا الآن أنه يخرج بأشياء جديدة كل يومين- ثَبْتٌ في كتالوج «زومستين»، صديق في جمعية جامعي الطوابع الملكية وقد راودته ذكرى معتمة عن بوق بريدي صامت شوهد خلسة في كتالوج مزاد أقيم في دريسدن 1923؛ ذات يوم نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة، أرسلها صديق آخر في نيويورك. كان يفترض أنها ترجمة لمقالة من عدد صدر سنة 1865 من «بيبليوتيك دي تيمبروفيل» لـ«جان بابتيست موين». مقالة تشبه واحدة أخرى من درامات بورتز التاريخية، تحكي عن انشقاق عظيم في صفوف تريسترو أثناء الثورة الفرنسية. وفقا لمذكرات «راؤول أنطوان»، كونت «فوزييه» وماركيز «تور إيه تاسيس»، المكتشَفة والمفكوكة شفرتها مؤخرا، فإن إحدى الفئات المنتمية لتريسترو لم تقبل قط نهاية الامبراطورية الرومانية المقدسة، ورأت الثورة جنونًا وقتيا. أبناء هذه الفئة، الذين شعروا، كونهم جزءا من الأرستقراطية، بضرورة مساعدة ثورن وتاكسيس على تجاوز ورطتها، جسّوا نبض العائلة ليروا إن كانوا مهتمين بتلقّي الدعم. وتسببت هذه الخطوة في شقاق واسع داخل صفوف تريسترو. وفي مؤتمر عُقد في ميلانو، احتدم الجدال لأسبوع، ونشأت عداوات أبدية، وانقسمت عائلات، وأريقت دماء. وفي نهاية الأمر فشل التوصل إلى قرار بدعم ثورن وتاكسيس. واعتبر الكثير من المحافظين أن ذلك حكم سيعانون منه لألف سنة، فأنهوا ارتباطهم بالتريسترو. وهكذا، خلصت المقالة بنبرة متعجرفة، دخلت المنظمة الظل المشعشع للخسوف التاريخي. فمنذ معركة «أوسترليتز» وحتى متاعب العام 1848، ظلت تريسترو تنجرف بلا هدى، وقد حُرمت تقريبا من كل الشخصيات النبيلة التي سبق وحافظت عليهم؛ فانحدرت وصارت لا تتولى إلا مراسلات الأناركيين، فلم يعد لها إلا وجود هزيل: في ألمانيا مع جمعية فرانكفورت (الوطنية) المشؤومة،

وفي بودابست عند المتاريس، وربما حتى بين ساعاتِيِّة جبال جورا، مبشّرة إياهم بمجيء ميخائيل باكونين.[1] مع ذلك، ففي ذلك الوقت كان العدد الأكبر قد فرَّ إلى أمريكا أثناء 50-1849، حيث بلا شك يقدمون خدماتهم لأولئك الساعين إلى إخماد نيران الثورة.

أوديبا، وقد صارت أقل حماسةً مما كانت عليه ربما حتى قبل أسبوع، عرضت المقالة على إيموري بورتز. بدا له أن «كل لاجئي تريسترو منذ انتكاسة عام 1849 يصلون إلى أمريكا مفعَمين بالآمال. لكن ما الذي يجدونه؟». لم يكن يسأل حقا؛ كان ذلك جزءا من اللعبة. «مشاكل». حوالي عام 1845 كانت حكومة الولايات المتحدة قد طبقت إصلاحا بريديا كبيرا، فقلصت من إيراداتهم، وأخرجت معظم الدروب البريدية المستقلة خارج العمل. وبحلول السبعينيات والثمانينيات، كانت أي شركة بريد مستقلة تحاول منافسة الحكومة تُسحق على الفور. لم تكن فترة 1850-1849 فترة مناسبة لأن يفكر المهاجر المنتمي إلى تريسترو في الانطلاق من حيث توقف هناك في أوروبا.

قال بورتز: «وهكذا بقوا ببساطة في سياق المؤامرة. مهاجرين آخرين يأتون إلى أمريكا يبحثون عن التحرر من الطغيان، والقبول من الثقافة، والاندماج فيها، والانصهار في بوتقتها. تأتي الحرب الأهلية، معظمهم، لأنهم ليبراليون، يشتركون في الحرب من أجل الحفاظ على الاتحاد. لكن ليس على تريسترو. كل ما قد فعلوه هو تغيير شكل المعارضة. بحلول عام 1861 كانت أحوالهم قد استقرت، ولم يعودوا مهدَّدين بالقمع. وبينما تتحدى «بوني إكسبريس» الصحاري، والهمج، والحيّات ذات الأجراس، كانت تريتسرو تعطي لموظفيها دورات تدريبية مكثفة في

(1) ميخائيل باكونين: أحد رموز الأناركية.

اللهجتين الـ'سيوية' والـ'أتابسكية'.[1] ويرتحل مراسلوهم باتجاه الغرب متنكرين كهنود. يصلون إلى الساحل في كل مرة، معدل تناقص صفر، ولا خدش فيهم. تأكيدهم بالكامل الآن باتجاه الصمت، والانتحال، ومعارضة تتخفى في ثوب موالاة».

«ماذا عن طابع كوهن؟ We Await Silent Tristero's Empire؟».

«كانوا أكثر انفتاحا في شبابهم. لاحقا، مع هجمات الفيدراليين، انتقلوا إلى الطوابع التي كانت بريئة في مظهرها، لكنها ليست كذلك».

كانت أوديبا تحفظها عن ظهر قلب. في الطابع الأخضر الداكن فئة 15 سنت من 1893، الإصدار الخاص بالمعرض الكولومبي («كولومبوس يعلن عن اكتشافه»)، وجوه ثلاثة من رجال البلاط، يتلقون الأخبار في الجانب الأيمن من الطابع، بُدِّلت ببراعة لتعبّر عن جزع خارج عن السيطرة. وفي الطابع فئة 3 سنت، إصدار «أمهات أمريكا»، والصادر في عيد الأم، عام 1934، الأزهار في الركن السفلي الأيسر لأم ويستلر استُبدلت بنباتات خنَّاق الذباب، وستّ الحسن، والسماق السام ونباتات أخرى لم يسبق لأوديبا رؤيتها[2]. وفي طابع «بوستة القرن»، الذي يحيي ذكرى الإصلاح البريدي العظيم الذي كان يهدف إلى وضع بداية النهاية لشركات البريد الخاصة، رأس خيَّال بوني إكسبريس في الركن السفلي الأيسر أديرت بزاوية مزعجة لا يعرفها الأحياء. والإصدار البنفسجي الداكن فئة 3 سنت العادي لسنة 1954 تظهر فيه ابتسامة خافتة متوعّدة

(1) السيوية والأتابسكية: من لغات الأمريكيين الأصليين في شمال الولايات المتحدة.

(2) اللوحة المشار إليها هي لوحة Arrangement in Grey and Black no. 1، والمعروفة باسمها الشائع «أم ويستلر» Whitler's Mother، للفنان الأمريكي «جيمس مكنيل ويستلر» (1871).

t.me/ktabpdf مكتبة

على وجه تمثال الحرية. وإصدار «معرض بروكسل» لسنة 1958 تظهر فيه، ضمن الصورة الملتقطة من السماء لجناح الولايات المتحدة في بروكسل، وبعيدا قليلا عن بقية رواد المعرض، صورة ظلية لا تخطئها العين لحصان وخيَّال. كذلك كان هناك طابع «بوني إكسبرس» الذي عرضه عليها كوهن في زيارتها الأولى، طابع لنكولن فئة 4 سنت مع عبارة «بوستة الولايات المتحدة»، وطابع البريد الجوي المشؤوم فئة 8 سنت الذي سبق ورأته على خِطاب البحّار الموشوم في سان فرانسيسكو.

قالت: «طيب، إنه أمر مثير، إذا كانت المقالة حقيقية».

«التحقق من ذلك أمر يسير». يحدّق بورتز في عينيها مباشرة. «لماذا لا تتحققين؟».

اشتد ألم أسنانها، حلمت بأصوات منفلتة لا مهرب من خبثها، بمرايا مظللة بغبشة ناعمة على وشك أن يخرج منها شخص ما، بغرف خاوية تنتظرها. ما كانت حُبلى به لن تجد له اختبارا عند طبيبة أمراض النساء.

ذات يوم هاتفها كوهن ليخبرها أن الترتيبات الأخيرة قد أُعدّت لطرح مجموعة طوابع إنفيراريتي في المزاد. سوف تباع «نسخ تريسترو المزيَّفة»، تحت اسم القطعة [لوت] 49. «وشيء مربك للغاية، يا سيدة ماس. لقد ظهر على الساحة واحد جديد من 'مزايدي الكُتب' لم أسمع عنه من قبل، لا أنا ولا الشركات التي تعمل في المجال. وهذا أمر نادر الحدوث».

«مزايدي ماذا؟».

شرح لها كوهن أن هناك «مزايدي القاعة»، الذين يحضرون المزاد بشخوصهم، و«مزايدي الكُتب»، الذين يرسلون عروضهم بالبريد. وتقوم المؤسسة المشرفة على المزاد في إدراج تلك العروض في كتاب

t.me/ktabpdf مكتبة

خاص، ومن هنا جاء الاسم. والعادة ألّا تعلَن أسماء الأشخاص الذين يزايد «الكِتاب» لحسابهم.

«كيف عرفت إذن أنه غريب».

«الأخبار تتناقل. لقد أحاط نفسه بسرية فائقة- حيث يعمل من خلال وكيل، هو «سي موريس شرفت»، رجل شريف يمتلك سمعة طيبة للغاية. موريس تواصل مع القائمين على المزاد أمس ليخبرهم أن عميله يريد فحص طوابعنا المزيفة، القطعة 49، مقدَّما. في المعتاد لا يعترضون إذا كانوا يعرفون من الذي يريد رؤية القطعة، وإذا كان مستعدا لدفع كافة مصاريف النقل إضافة إلى التأمين، ولإعادة كل شيء في غضون 24 ساعة. لكن موريس تكلم بغموض شديد عن الأمر، ورفض أن يصرِّح باسم عميله أو بأي شيء آخر عنه. باستثناء كونه، على حد علم موريس، شخص من الخارج. وهكذا، ولأن دار المزادات تتسم بالمحافظة، كان من الطبيعي أن يعتذروا ويقولوا لا».

«وماذا تظن أنت»، قالت أوديبا، وهي تعرف الإجابة تقريبا.

قال كوهن: «أظن أن مزايدنا الغامض قد يكون من تريسترو. ورأى وصف القطعة في كتالوج المزاد. ويريد أن يُبعد دليل وجود تريسترو عن أيدي الفضوليين. أتساءل ما هو السعر الذي سيعرضونه».

عادت أوديبا إلى «ساحات الصدى» لتشرب الـ«بوربرون» حتى غربت الشمس وصارت الظلمة على أحلك ما تكون. ثم خرجت وقادت سيارتها على الطريق السريع لبرهة ومصابيحها مطفأة، لترى ما الذي سيحدث. لكن الملائكة كانت تحرسها. بُعيد منتصف الليل وجدت نفسها في كابينة هاتف، في حي معزول وموحش ومظلم من أحياء سان نارسيسكو. ضربت رقم «الطريق اليوناني» في سان فرانسيسكو، وإذ أجابها صوت موسيقيٌّ أعطته أوصاف الـ«إناموراتو» المجهول ذي الشعر الخشن والوجه المغطّى

بحَبّ الشباب الذي كانت قد تحدثت معه هناك، وقد بدأت دموع لا تفسير لها تشكل ضغطا حول عينيها. نصف دقيقة من قعقعة الأكواب، وهدير الضحكات، وموسيقى جهاز تشغيل الأغاني. ثم جاء.

قالت، بصوت مختنق: «أنا أرنولد سنارب».

قال: «كنت في حمّام الصبيان. حمام الرجال كان مزدحما».

أخبرَته، بسرعة، مستنفدة دقيقة لا أكثر، بما عرفته عن تريسترو، وما حدث لهيلارياس، وموتشو، وميتسجر، ودريبليت، وفالوبيان. قالت: «وها أنت إذن الشخص الوحيد الذي تبقى لي. لا أعرف اسمك، ولا أريد. لكن يجب أن أعرف هل رتّبوا الموضوع معك. أن تلتقي بي صدفة، وتخبرني بقصتك عن البوق البريدي. لأن ذلك قد يكون ملعوبًا بالنسبة لك، لكنه لم يعد كذلك بالنسبة لي منذ بضع ساعات. لقد سكرتُ وخرجتُ بسياراتي إلى تلك الطرق السريعة. في المرة التالية قد أكون أكثر إصرارا. بحق الرب، الحياة الإنسانية، بحق أي شيء تُـجلّه، أرجوك. ساعدني».

«أرنولد»، قالها. ثم سادت لحظة طويلة من صخب البار.

قالت: «الأمر انتهى، لقد أشبعوني. من الآن فصاعدا سأغلق هذا الباب أمامهم. أنت حر. منعتق. يمكنك أن تخبرني».

قال: «لقد فات الأوان». مكتبة

«بالنسبة لي؟».

«بالنسبة لي». قبل أن تتمكن من سؤاله عن قصده، كان قد أغلق الخط. لم يكن بحوزتها المزيد من العملات الفضية. وعندما استطاعت أن تفك ورقة نقدية، كان قد غادر. وقفت بين كابينة الهاتف العمومية والسيارة المستأجَرة، في الليل، اكتملت عزلتها، وحاولت أن تولي وجهها شطر

البحر. لكنها كانت قد فقدت الاتجاهات. استدارت على كاحل مكتنز، فلم تجد الجبال أيضا. وكأن لا حدود يمكن أن تقوم بين نفسها وبين بقية الأرض. سان نارسيسكو ضائعة في تلك اللحظة (ضياع خالص، آني، كروي، صوت تناغم أوركسترالي صاف عالق بين النجوم يضرب بخفة)، تخلت عما تبقى من تفرُّدها من أجلها؛ أصبحت اسما من جديد، أعيدت ثانية إلى القشرة والوشاح الأمريكيين وما لهم من خلود.[1] بيرس إنفيراريتي كان ميتا حقا.

سارت على شريط سكة حديدية بموازاة الطريق السريع. قضبان تمتد من هنا وهناك دخولا إلى أرض المصانع. بيرس ربما كان يمتلك هذه المصانع أيضا. لكن هل يهم الآن إن كان قد امتلك سان نارسيسكو كلها؟ كانت سان نارسيسكو اسمًا؛ كانت حدثا عارضًا في سجلاتنا المناخية التي ترصد الأحلام وما تتحول إليه الأحلام وسط أضواء نهاراتنا المتراكمة، خط عواصف لحظي، أو نقطة تماس الإعصار مع الأرض بين المناخات الأعلى، الأكثر وقارا- منظومات عواصف من المعاناة والحاجة الجماعية، وريح رخاء طاغية. هنا يكمن الخلود الحقيقي، سان نارسيسكو لم يكن لها حدود. لا أحد يعرف بعد كيف يرسمها. كانت قد كرَّست نفسها، قبل أسابيع، لتضفي معقولية على ما خلَّفه إنفيراريتي وراءه، ولم تشتبه قط أن التركة كانت أمريكا.

لكن، أيمكن أن تكون أوديبا ماس وريثته؛ هل ورد ذلك في الوصية، مشفَّرا، ربما من دون أن يعرف بيرس نفسه، حيث كان في ذلك الوقت قد سقط فريسة لتمدد طائش من تمددات ذاته، لزيارة ما، لتوجيه نوراني؟ مع أنه لم يكن بوسعها العودة مجددا لاستدعاء أيّ صورة للرجل الميت لكي

---

(1) القشرة والوشاح: من طبقات الأرض (قشرة- وشاح- لب).

تهندمها، تُوقفها أمامها في وضعية ما، تتكلم معه وتخرج بإجابة، ولا هي ستفقد رأفة جديدة بحاله وهو يحاول الخروج من الطريق المسدود الذي علق به، من الأحجية التي خلقتها جهوده.

رغم أنه لم يسبق له قط أن تكلم معها في الأعمال، فقد عرفت أن تلك الأعمال مجرد كسرٍ منه لم يستطع أن يُقسم على اثنين، وسيظل يحمل إلى الأبد كَسرًا عشريًا لا نهائي؛ لقد ظل حُبها، على ضَعفه، غير متكافئ مع حاجته إلى الامتلاك، إلى تغيير الأرض، إلى جلب آفاق جديدة، وعداءات شخصية، ومعدلات نمو إلى الحياة. «لا تجعلي الكرة تتوقف عن النط»، هكذا قال لها ذات مرة. «هذا هو السر، لا تجعليها تتوقف عن النط». لا بد وأنه قد عرف، حين كان يكتب وصيته، في مواجهة الشبح، أن النط سيتوقف. ربما كتب تلك الوصية فقط ليشاكس امرأة كانت محظية له ذات مرة، فمع ثقته المتهكّمة في قرب اندثاره لم يكن له أن يأمل في أكثر من ذلك. ربما شعر بالمرارة تتوغل بداخله إلى ذلك الحد. لم تكن تعرف. ربما هو نفسه اكتشف تريسترو، وشفَّر هذا في وصيته، مشتريا ما يكفي من الأشياء للتيقن من أنها ستجده. أو ربما حتى أنه حاول النجاة من الموت، بوصفه بارانويا؛ بوصفه مؤامرة خالصة ضد شخص كان يحبه. هل سيتضح في النهاية أن سليل الضلال ذلك كان بالغ الحرص فلم يستطع الموت نفسه أن يباغته، هل تمكن أخيرا من نصب مكيدة شديدة الإسهاب حتى أن الملاك الأسود نفسه لا يستطيع استيعاب احتمالاتها كافة داخل رأس «نائب الرئيس» العابسة التي يحملها على كتفيه؟ هل زَلَّ شيء عن موضعه واستطاع إنفيراريتي هزيمة الموت بهذا الفارق الضئيل؟

لكنها كانت تعرف، ورأسها منكس، وهي تتعثر في فراش الحصى ومن رقدوا عليه قديما، أن الاحتمال الآخر لا يزال قائما. أن يكون

t.me/ktabpdf

مكتبة

كل ذلك حقيقيا. أن يكون إنفيراريتي قد مات وحسب، ولا شيء آخر. لنفترض، يا ربي، أن تريسترو موجودة فعلا وأنها قد تعثرت فيها بالصدفة. إذا كانت سان نارسيكسو والتركة لا تختلفان حقا عن أي بلدة أخرى، ولا عن أي تركة أخرى، فوفقا لـ«معادلة الاستمرار» كانت- ربما- ستعثر على التريسترو في أي مكان في «جمهوريتها»، عبر واحد من مائة مدخل مستتر برشاقة، مائة انسلاخ، فقط لو كانت قد نظرت. توقفت لدقيقة بين القضبان الحديدية، رافعة رأسها وكأنما لتستنشق الهواء. أصبحت واعية بالوجود الصلب المتوتر الذي تقف عليه- دارية، وكأن ثمة خرائط تومض لأجلها في السماء، بمسارات القضبان، وكيف تتقاطع مع أخرى، وأخرى، دارية بأن تلك تربط، تعمّق، توثّق الليل الجسيم من حولها. فقط لو كانت قد نظرت. تذكرت الآن عربات قطارات «بولمان» القديمة، وقد تُركت حيث نضبت النقود أو اختفى الزبائن، على أرض منبسطة في حقل بعيد، إلى جوار ملابس معلقة، ودخان ينبعث متراخيا من غلايين ملتوية.

هل كان سكان العشوائيات هناك على اتصال مع آخرين، عبر تريسترو؛ هل كانوا يساعدون في استمرارية هذا الحرمان من الميراث الذي استمر 300 عاما مع تلك العائلة؟ لا بد وأنهم نسوا الآن ما الذي كان يفترض بتريسترو وراثته؛ مثلما قد تنسى أوديبا يومًا ما. ما الذي قد بقى ليورِّث؟ أمريكا تلك المشفَّرة في وصية إنفيراريتي، من يملكها؟ فكرت في عربات شحن أخرى معطلة، حيث يجلس صبية على ألواح الأرضية الخشبية ويرددون الأغاني، فرحين، وراء ما يصدح من راديو الجيب الخاص بأمّهم أيا كان؛ وفي نزلاء آخرين يبسطون القماش لإنشاء عُشش وراء لافتات إعلانية متبسمة بطول الطرق السريعة، أو ينامون في مقالب نفايات في هياكل جرداء لسيارات «بليموث» خربة، أو حتى، بتهوّر، يقضون الليل فوق عمود ما في خيمة عامل مد الأسلاك

مثل اليرقات، متأرجحين على شبكة من أسلاك الهاتف، يعيشون في التجهيزات النحاسية نفسها التي تشكل معجزة الاتصالات المدنية، لا يلقون بالّا لذلك الجهد الكهربي الأبكم الذي يرتعش بطولها الذي يمتد لأميال، طوال الليل، في آلاف الرسائل غير المسموعة. تذكرت مشرَّدين أصغَت لهم، أمريكيون يتحدثون لغتهم بحرص، بفصاحة، كما لو كانوا منفيين من مكان آخر غير مرئي لكنه منسجم مع الأرض البهيجة التي تعيش فيها؛ ومشَّائين على طول الطرق في الليل، يقتربون ويبتعدون من أضواء سيارتها الأمامية من دون أن يرفعوا رؤوسهم، بعيدين جدا عن أي بلدة يمكن أن تكون وجهة حقيقية. والأصوات قبل وبعد صوت الرجل الميت التي قد ضربت رقمها بشكل عشوائي في ساعات الليل الأكثر ظلمة وتمهلا، باحثة بلا توقف بين العشرة ملايين احتمال التي يتيحها قرص الهاتف عن تلك «الأخرى» السحرية التي ستكشف عن نفسها خارجة من زئير نقاط الاتصال، والابتهالات الرتيبة للإهانة، والفحش، والخيال، والحب التي ينبغي أن يستدعي تكرارها الوحشي يوما ما ذلك الفعل الذي لا يُسمّى، الاعتراف، «الكلمة».

كم شخص تشاركوا سر تريسترو، ومنفاها؟ ماذا سيقول قاضي التركات عن توزيع نصيبٍ ما عليهم جميعا، هؤلاء الذين لا اسم لهم، ربما كدفعة أولى؟ يا ربي! سينقضُّ عليها في جزء من الثانية، سيفسخ قوامتها على الوصية، سيشتمونها، ويشهِّرون بها عبر كل مقاطعة «أورانج» بوصفها واحدة من دعاة إعادة توزيع الثروة وشيوعية، ويدفعون بالرجل العجوز من «وارب، ويستفول، كوبيتشك ومكمنجس» كـ«مدير للأموال التي لم تشملها إدارة أخرى» ولتذهبي بلا رجعة يا عزيزتي الشفرة، والكويكبات، وورثة الظل. من يعرف؟ ربما يصل بهم الأمر يوما إلى اتهامها بأنها نفسها عضو في تريسترو، إن كان لها وجود، في غبشتها،

وتحفظها، وانتظارها. الانتظار فوق كل شيء؛ إن لم يكن لأن تظهر مجموعة أخرى من الاحتمالات وتحل محل تلك التي هيأت الأرض لقبول سان نارسيسكو بين لحمها الأكثر رقّة من دون نفضة أو صيحة، إذن على الأقل، على أقل القليل، انتظار أن تتفكك خيارات متناغمة، أن تزيغ عن الطريق. لقد سبق أن سمعت كل شيء عن «قانون استبعاد الوسط»[1]؛ كان خراء، يجب تجنبه؛ فكيف حدث لها ذلك، رغم أن الفرص كانت في لحظة من اللحظات مناسبة جدا للتنوع؟ إذ كان الأمر الآن يشبه المشي وسط مصفوفات كمبيوتر رقمي هائل، الأصفار والآحاد كتوائم في السماء، عالقة مثل ألعاب الأطفال المعلّقة فوق مهادهم، تتمايل يمينا ويسارا، عالية، كثيفة، وربما أبدية. وراء هذه الشوارع الهيروغليفية سيكون هناك إما معنى سامٍ، أو الأرض فحسب. الأغنيات التي غناها مايلز، دين، سيرج، وليونارد كانت تحمل إما جزءا ما من جمال الحقيقة القدسي (كما يعتقد موتشو الآن) أو فقط «طيف قدرة». إعفاء تيرمان بائع الصلبان المعقوفة من الحريق الهولوكوستي كان إما ظلمًا، أو غيابا للريح؛ عظام قوات «جي آي» في قاع بحيرة إنفيراريتي كانت هناك إما لسبب يهم العالم، أو للغواصين ومدخّني السجائر. آحاد وأصفار. هكذا كانت الثنائيات ترتِّب نفسها. في دار «فيسبرفهافن» إما تم التوصل إلى اتفاق، كريم نوعا، مع شبح الموت، أو أن لا شيء هناك سوى الموت واليومي، والتجهيزات الرتيبة له. ثمة نسق آخر من المعنى وراء ما يبدو، أو لا نسق. إما أن أوديبا تعاني من نشوة مدارية ناجمة عن بارانويا حقيقية، أو أن تريسترو هي الحقيقية. حيث إنه إما ثمة تريسترو ما وراء مظهر أمريكا المتوارثة، أو أن لا شيء هناك إلا أمريكا، فإن كان لا شيء

---

(1) قانون استبعاد الوسط: من قوانين الاحتمالات، وينص على أن كل عبارة تكون إما صحيحة أو خاطئة، ولا خيار ثالث.

t.me/ktabpdf مكتبة

إلا أمريكا لن يكون أمامها سوى طريق واحد تكمل السير فيه، وتستطيع أن تتلاءم معه، طريق دائري منتظم الحواف، غريب عن الأرض، يقودوها إلى بارانويا من نوع ما.

في اليوم التالي، مع الشجاعة التي تجدها في نفسك عندما لا يكون لديك ما تخسره أكثر من ذلك، تواصلَت مع «سي موريس شرفت»، واستفسرت عن ذلك العميل الغامض.

«لقد قرر حضور المزاد بشخصه»، هذا كل ما قاله لها شرفت. «ربما تقابلينه هناك». ربما.

عُقد المزاد بحسب الأصول المتبعة، في أصيل يوم أحد، في مبنى ربما كان الأقدم في سان نارسيسكو، إذ يعود تاريخه إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية. وصلت أوديبا مبكرة بضع دقائق، بمفردها، في بهو بارد ألواح أرضيته من خشب أحمر أملس يفوح برائحة الشمع والورق، التقت بجنكيز كوهن، الذي بدا محرَجا على نحو حقيقي.

تشدّق بنبرة جدية «أرجوكِ لا تسمي هذا تضارب مصالح. كانت هناك بعض الطوابع الموزمبيقية المثلَّثة التي لم أستطع مقاومتها. هل تسمحين أن أسأل إن كنتِ جئتِ للمزايدة يا سيدة ماس».

قالت أوديبا «لا. أنا حِشَريَّة لا أكثر».

«نحن محظوظون. 'لورين باسيرين'، أفضل بائع مزادات في الغرب، سوف يصيح اليوم».

«سوف ماذا؟».

قال كوهن: «نحن نقول إن بائع المزادات يصيح على بَيْعَة».

«سحاب بطلونك مفتوح»، همسَت أوديبا. لم تكن واثقة ما الذي ستفعله عندما يكشف المزايد عن نفسه. فقط كانت لديها فكرة ضبابية

t.me/ktabpdf مكتبة

أن تفتعل مشاجرة عنيفة تكفي لجلب الشرطة إلى المزاد ومن ثم اكتشاف حقيقة الرجل. وقفت في بقعة مشمسة، بين ذرّات غبار ساطعة تتطاير إلى أعلى وأسفل، محاولة أن تحظى ببعض الدفء، متسائلة إن كانت ستستطيع أن تفعل ذلك.

«لقد حان الوقت»، قالها جنكيز كوهن، مقدّما لها ذراعه. كان الرجال في صالة المزادات يرتدون بدلات من الموهير الأسود، ولهم وجوه قاسية. راقبوها وهي تدخل، وكل منهم يحاول إخفاء أفكاره. لورين باسيرين، على منبره، كان يحوم فوق الجميع مثل محرّك عرائس، عيناه لامعتان، ابتسامته مجرَّبة ومتصلبة. حدّق فيها، مبتسما، وكأنما يقول، لقد فوجئت أنكِ أتيتِ حقا. جلست أوديبا وحيدة، قرب مؤخرة الصالة، ناظرة إلى الأقْفِية، محاولة أن تخمّن أيهم هدفها، أو عدوها، أو ربما دليلها. أغلق أحد المساعدين الباب الثقيل على نوافذ البهو وعلى الشمس. سمعت قفلا يوصد بتكّة؛ تردد رجع الصوت لحظة. فرد باسيرين ذراعيه في إيماءة بدت أنها تنتمي لكهنوت ثقافة بعيدة؛ بزاوية منحدرة ربما. تنحنح بائع المزادات. أراحت أوديبا ظهرها إلى الخلف، وانتظرت الصيحة على القطعة 49.

مكتبة
تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات
t.me/ktabpdf

صيحة
القطعة 49

توماس بنشون

مكتبة ٣٨٩

في هذه الرواية، تتبدى الملامح الأساسية لكتابات بينشون: مساعيه لحل لغز المؤامرة المجهولة التي ينسجها الوجود ضد الإنسان؛ سخريته من التنميط؛ ازدراؤهللنظام الرأسمالي؛سخريته من اللغة الفصيحة والعامية؛ عينه التي لا تصدق شيئا وتحث القارئ على إعادة اكتشاف كل الأشياء وعدم القبول بأي مسلمات؛ خياله الجامح المعقد، والمتثاقف أحيانا، وكأنه يطلب من القارئ أن يتحلى بقدر كبير من المعرفة، وقدرة على استشفاف الجموح لكي يفهم مقصده، لكن حين يفهمه، يستمتع به أيما استمتاع، لأنه خيال نادر، يداعب خلايا في الدماغ لا تغازلها الكتابات الأدبية عادة، فيلكزها وينشطها.

رواية " صيحة القطعة ٤٩ " هي تراجيديا ساخرة، مزحة ومأساة طويلة ومعقدة. شبكة من الحبكات التي تتطور في ظروف خالية من الحب. متاهة تخوضها البطلة، ومعها القارئ، في دهاليز العوالم الظاهرة والخفية، في أضابير الحبكات والمؤامرات، في مسارات مهلوسة، حافلة برسائل وشفرات، ذات معان واضحة جلية، أو ليس لها أي معنى على الإطلاق.

إنها رحلة ممتعة داخل متاهة تصنعها البطلة بنفسها، كما تلف القطة نفسها في بكرة من الخيط. إنها محاولة للبحث عن "حقيقة كبرى" قد لا يكون لها وجود. إنها أمريكا كما لم يكتبها أحد من قبل.

تصميم الغلاف نجاح طاهر

9 789776 483941

التنوير
القاهرة – بيروت – تونس